حكايا لم تكتمل
ولاء جمال يوسف
رواية

أسم المؤلف: ولاء جمال يوسف

اسم الكتاب :حكايا لم تكتمل

تدقيق لغوي: جهاد البية

غلاف: نسمة موسى

تنسيق داخلي: سفانة العبيدي

أشراف عام :أسامة الوحش

جميع الحقوق محفوظة @

لموقع مشاعر غالية للنشر الإلكتروني

http://rwayatmash33rghalia.blogspot.com

حكايا لم تكتمل

(رواية)

ولاء جمال يوسف

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

إهداء

إلي كل الأرواح المعذبه وبقايا

القلوب العالقة بسراب الحب

إليكم أهدي تلك الحكايا رغم كونها لم تكتمل

ولاء

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

مقدمة

هي تلك الأسرار الكامنة بقلب كل منا..الشطر الآخر من المرآة حيث لا ندري ما يعتمل بأنفسنا..

نصف الحقيقة الغائب ، هي الحكايا العالقة تأبي الانمحاء وتأبي الإكتمال

مشاعر غالية
رُبّ كلمة أشعلت حُلماً

الفصل الأول

"أرجوك لا تسألني اليوم عن الحزن....سيأتي في موعده فدعنا على الأقل ننساه في هذه اللحظة"بهاء طاهر.

بينما تسير بغير هدى في ذلك المكان الذي لا تدري له معالم لمحت ذلك العقد اللؤلؤي فجذب نظرها وهرعت إليه فرحة ، التقطته بين يديها وتأملت حبيباته البراقة بنشوة ولكن فجأة ظهرت لها تلك الحية التي أفزعتها وبترت فرحتها.

ألجمتها المفاجأة لحظات حتى كتمت أنفاسها وسقط من يدها العقد وانفرطت حباته وشعرت بقلبها يهوي وبين دموعها نظرت لتلك الحية التي تواجهها بنظراتها دون أن تتحرك تجاهها وكأنها تنومها مغناطيسيا فتمالكت خوفها وانحنت تجمع تلك الحبات المنفرطة عسى أن تعيدها إلى هيئتها الأولى وقبل أن تنتهي من تجميعها اقتربت منها الأفعى كأنها تهمّ بالتهامها انسابت الدموع من عينيها وحاولت الصراخ لكن دون جدوى فقد انحشر صوتها وفجأة قامت فزعة على دقة منبه هاتفها وهي تتلفت في قلق حولها وأنفاسها تلهث مما رأت بمنامها ثم نظرت فوجدته بجوارها فهدأت أنفاسها قليلا وشعرت بالطمأنينة .

نظرت للساعة فوجدتها لم تتجاوز السابعة ،فركت عينيها بأصابعها محاولة طرد النوم من عينيها وأزاحت خصلات شعرها القصيرة السوداء إلى الخلف ثم نظرت إليه ممددا وكأنه لم ينم منذ زمن بعيد ،ابتسمت حين لمحت ساقه المنسلة من أسفل الغطاء تتجاوز حدود السرير .

في هدوء هزته لتوقظه خشية أن يتأخر في النوم كعادته ، فرجاها بصوت ناعس أن تتركه قليلا وسحب الغطاء عليه فأعادت كرتها في ملل فاعتدل في السرير مغمض العينين

- خلاص قومى ادخلى الحمام الأول وأنا وراكى .

تعرف أنها مجرد أن تقوم سيعود برأسه على الوسادة ثانية ولكن لا يسعها سوى أن تنهض كي لا تتأخر عن عملها .

تحت المياه الدافئة حاولت أن تتناسى أحداث كابوسها المتكرر والذي يؤرقها منذ فترة ،في عجلة أنهت حمامها لترتدي ملابسها .

خرجت إلى الغرفة تناديه، وألقت نظرة سريعة واثقة أنها ستجده كما تركته

- خالد كفاية ، كدة مش هتلحق شغلك ومديرك هيتصل ويلاقيك نايم .

في كسل أزاح الغطاء واتجه صوب الحمام ، دقائق ووجدته جوارها يرتدي ملابسه ،دائما هو سريع في ارتداء ملابسه ، تزاحمه أمام المرآة فيحاول أن يدفعها ليقف بجوارها فتأبى الحراك

- مش قلتلك اصحى قبلى اتأخرت ليه ؟

قالت جملتها تلك في دلال فابتسم ووقف خلفها بقامته الطويلة، تجعل الرؤية من خلفها واضحة رغم طولها ..

لفت حجابها في رشاقة وألقت نظرة أخيرة على مظهرها قبل أن تهم بالتقاط حقيبتها للخروج ،استوقفها فأخبرته أنها ستتأخر ولكنه اقترب منها وبإصبعه أعاد تلك الخصلة الهاربة دون قصد إلى موضعها تحت الحجاب ،تبتسم ثم تسرع لتلحق عملها ولكن ما كادت تصل إلى الباب حتى عادت إليه بسرعة وتعلقت برقبته ووضعت قبلة خاطفة على وجنته وخرجت.

لم تكن المسافة إلى عملها بعيدة، فقط ثلث ساعة سيرا على الأقدام ،لم تشأ أن تركب سيارة أجرة خاصة أن الجو دافئ في تلك الساعة .

دق هاتفها بالنغمة التي حددتها لوالدتها فاضطرت لتتوقف لحظة لالتقاط الهاتف من حقيبتها وهي تتعجب من اتصالها في هذا الوقت.

- ايوة ياليلى ، صباح الخير ... اه احنا كويسين بس دينا عندى وفي مشكلة مع جوزها ولازم تيجى النهارده .

- بس ياماما...

لم تمهلها أمها فرصة للحديث ، قاطعتها لتخبرها بضرورة حضورها اليوم

- حاضر ياماما هقول لخالد وأشوفه .

كانت تعلم أن كلماتها تلك ستثير غضبها ، فالعلاقة بين خالد وأمها هي الوصف الأمثل لعلاقة الحماة بزوج ابنتها وهذا ما كان يضعها في صراع نفسي دائم بينهما لماذا لا تقدر والدتها أنها الآن متزوجة وأنها يجب أن تستأذن زوجها حتى وان كانت ذاهبة لوالدتها؟!.

حاولت تجاهل كلمات والدتها الغاضبة واتهامها بضعف الشخصية حتى أنها تتركه (أي زوجها) يتحكم فيها وكيف يمكنه الاعتراض على الذهاب إلى أمها .

- خلاص ياماما هاجى ان شاء الله سلام دلوقتى علشان الحق الشغل

أنهت الحوار في سرعة محاولة ألا تجعله يؤثر على صباحها ولكن ظل عقلها مشوشًا بخصوص دينا أختها الكبرى التي تكبرها بعامين ونصف ورغم هذا تشعر ليلى أنها مسئولة عنها ، منذ قررت دينا الزواج بسامح وهي ترفض تلك الزيجة ،فسامح لم يكن إلا ولد مدلل لوالدين اعتادا أن يمنحاه كل شيء دون عناء ، هكذا نشأ في بيئة مرفهة لا يعرف عقبة تمنعه عما يريد وهكذا كانت دينا بالنسبة له فتاة جميلة لبقة والأهم أنها الفتاة التي صدته كثيرا حتى ملكت لبه فلم يجد سبيل للوصول إليها سوى الزواج .

حاولت ليلي إثناء دينا عن تلك الزيجة خاصة بعدما حكت لهم عن شخصيته المستهترة ولكن أمها قاطعتها : كل الرجالة كدة قبل الجواز لكن بعد ميتجوزا بيعقلوا وبعدين دة مهندس وصغير يعنى المستقبل قدامة ومحدش هيجيلها احسن منه .

لم تحاول التدخل أكثر فهي تعلم جيدا قرب دينا من والدتها وأنها تتأثر كثيرا برأيها وطالما أن أمها متحمسة له هكذا ستوافق هي وما كان عليها سوى انتظار ميعاد الفرح وقد كان.

نفضت كل تلك الأفكار عن رأسها وحاولت التركيز فاليوم أول أيامها بالمدرسة الجديدة التي نقلت إليها.

دخلت الفصل وفي ابتسامة ودودة عرفتهم على نفسها

- أنا ميس ليلى ، مدرسة الانجليزى وعايزة أعرف أسماءكم .

وبدأ التعارف الروتيني بينهم وهي تعلم تماما أنها لن تذكر نصف أسمائهم على الأقل

- ايوة ياحسن صباح الخير هترجع امتى

أجابها بصوت ملأه الإجهاد وأخبرها أنه في الطريق فقاطعته: بس كنت عايزة طلبات البيت وانت عارف مش بقدر أنزل والبنات معايا .

- خلاص ياهالة هبعتلك (سيد) وقوليله اللى انتى عايزاه يجبهولك ، أنا يادوب اوصل البيت هموت من التعب، النباطشية كانت زحمة اوى .

أغلقت الهاتف وهي تتمنى أن يأتى (سيد) سريعا خاصة وأن اللبن الخاص بـ (ندى) انتهي وهي لا تتوقف عن البكاء .

- ماقولتلك سيبى العيال وروحى هاتى الطلبات بس مبتسمعيش الكلام

لم تكن المتحدثة سوى "سامية" والدة زوجها التي تعيش معهم بالمنزل ، حاولت هالة تجاهل كلامها وعدم الرد ولكن الأخرى لم تتركها تمضي : البنت فلقت نفسها عياط ، ما انت لو كنت رضعتيها طبيعى كان زمانها شبعانة ونايمة.

-يا ماما وده يعنى بإيدى إحنا مش كنا خلصنا من الحوار ده .

مصمصت شفتيها في اعتراض وتركتها واتجهت نحو الحمام ، زفرت هالة في عصبية واستغفرت الله وعادت لحجرتها محاولة هدهدة ندى حتى تتوقف عن الصراخ .

تعلم أنها مجرد دقائق ويعود حسن إلى البيت وكالعادة ستستقبله بسيل الشكاوى المعهودة وتحكي له عن مدى تقصيرها في تربية الأطفال ودماغها"الناشفة "لأنها لم ترض أن تترك لها البنات وتنزل لشراء الطلبات .

بسلبيته المقيتة سيستمع إلى سيل شكواها أو على أحسن تقدير سيقاطعها ليخلد إلى النوم وهذا ما تتوقعه .

نقطة الحياد تلك التي يختارها زاعما أنه هكذا يسيطر على الأمور تخنقها ،سأمت تدخلها في كل شيء ،طريقة تربيتها للبنات ،تعاملها مع زوجها بل حتى طريقة تنظيمها لأثاث منزلها.

لم تطرق المشاكل باب بيتهما سوى مع قدومها عندهم منذ توفي زوجها ،رغم زيارات حسن المستمرة لها وكذلك أخته لكنها لم تفتأ تشتكى من الوحدة والبيت "اللى فضى عليها" بعد وفاة زوجها وأنها لا تستطيع أن تمكث عند بنتها حتى لا تكون ثقيلة على زوجها وزاد الأمر سوءا ذلك الوهن الذي احتل ساقيها فبدأت شكواها في التزايد فما كان منه إلا أن دعاها أن تعيش معهم، حاولت الاعتراض ولكنه لم يعطها فرصة فهي رغم كل شيء أمه وصعب عليه أن يتخلي عنها فهي مريضة وحيدة بمنزلها وخاصة أنه مع ظروف عمله وبعد المسافة لا يستطيع زيارتها باستمرار.

قطع تفكيرها صوت حركة مفتاحه بالباب وتناهى إلى سمعها صوت (إيناس) وهي تجرى إليه بأعوامها الثلاثة تحتضن ساقيه، سمعت صوته يداعبها رغم ما به من تعب وتعالى تهليلها حين رفعها فوق كتفيه وأمه تدعوه أن يتركها كي لا يتعبه ظهره.

رغم كل شيء فحسن رائع دائما إذا تعلق الأمر بالأطفال ينسى متاعبه فقط حين يلمح وجههن يبتسم ،دفء علاقته بابنتيه كان سبب حنق أمه عليه أحيانا (اومال لو كانوا ولاد كنت عملت ايه) كان رده عليها مقنعا لولا أنها لا تؤمن إلا بالأولاد كذرية وربما غيرتها عليه هي ما تدفعها لذلك.

خرجت من حجرتها وهي تحمل ندى التي لم تتوقف عن البكاء حتى رأت والدها فأخذت تشير بيدها إليه ليحملها، في تعب حملها بين ذراعيه وقبلها مداعبا حتى غارت إيناس المتعلقة برقبته من الخلف فأخذت تبعدها بيديها فقامت جدتها وأنزلتها خشية أن تقع وتابعت نصائحها :ادى البنت لأمها دى اتفلقت بكى من الصبح والله أنا قلتلها لو كنت رضعتيها طبيعى كانت سكتت دلوقتى،اللبن الصناعي ده يابنى مابيشبعش العيل .

_ ياماما ماقلتلك مكانش ينفع هالة لبنها ضعيف وبعدين الالتهاب إلى كان عندها كان هيأذى البنت ،ونظر إليها متسائلا عن (سيد) الذي لم يحضر بعد ولما لم تخبره بموضوع اللبن ليحضره معه وأنهى الحوار بأن أعطى البنت لوالدتها قبل أن يتجه لغرفته ليغير ملابسه وينال قسطًا من الراحة قبل ميعاد العيادة.

في هدوء أغلق باب الحجرة خلفه في نفس الوقت دق جرس الباب فعرفت أنه (سيد) فحمدت الله أنه لم يتأخر أكثر.

فتحت الباب وأعطته ورقة الطلبات والتفتت لتجد ندى تحبو في بطء يليق بمبتدئة نحو باب حجرة والدها فهرعت إليها تحملها بعيدا كي لا يوقظه صراخها بينما كانت إيناس تفرش بمكعباتها الأرض فتركتها بجوارها ريثما تعد الإفطار .نظر خالد إلى ساعته وهو يلعن الوقت الذي يتسرب من بين يديه كان من المفترض أن يكون في عمله منذ نصف ساعة .تناول لقيمات سريعة من فطوره المعد سابقا وهبط السلم في سرعة حتى وصل إلى الشارع وقبل أن يعبر جاءه الاتصال الذي كان يتوقعه من مديره فقرر تجاهله ووضع الهاتف على وضع الصامت وانطلق بسيارته الفيرنا السوداء ولكن هي الأخرى أرادت معاندته فلم تستجب له في البداية فأخذ يدير محركها في عنف ونفاذ صبر حتى دارت وكأن لا يكفيه تأخره والعربة التي لا تزال تعانده بعض الشيء حتى وجد الإشارة مغلقة في انتظار المرور الكريم لذلك القطار، في تلك الأثناء كان يتطلع إلى قائمة الأطباء والزيارات التي عليه أن يجريها اليوم وأخيرا قرر أن يبدأ بحسن فيمكنه بلا جهد أن يزوره دون انتظار، لن يستغرق الأمر سوى دقائق يطمئن فيها عليه وعلى بناته ويدعوه إلى زيارتهم آخر الأسبوع ،يعلم حب ليلى لندى وإيناس واشتياقها لهم ستسعد كثيرا عندما يخبرها بدعوته لهم

فتحت الإشارة واتجه صوب العيادة الخاصة بحسن وصعد إلى ذلك الطابق، نظر إلى الأضواء المغلقة أصابه الارتياب ولكنه قرر الصعود على أي حال.

دخل العيادة فوجد الباب مغلق فأصابته خيبة أمل وقبل أن يهبط السلم وجد سيد (ذلك الرجل الخمسيني بوجهة البشوش الذي يغالب سنه) قد عاد ليفتح العيادة فسأله عن حسن فأخبره أنه ذهب للمنزل ولن يعود قبل الثالثة عصرا فشكره ومضي .

اتصل بمديره الذي بدا صوته مشبع بالعصبية لعدم رده لكن خالد تدارك الموقف وأخبره أنه كان في زيارة عند الدكتور ولم يستطيع الرد عليه.

انتهت المكالمة بسلام بعدما أملى عليه مديره بعض الأسماء التي عليه أن يزورها اليوم طال الوقت وهو في انتظار دخوله بعد عدة كشوفات وإعدادات حتى سمع الممرض ينادى عليه ، وثب في رشاقة ليدخل حجرة الكشف وأخرج ذلك (البروشور) موضحا جودة العقار ومميزاته وأنه أفضل من مثيلة في الأسواق طبعا لم يتطرق إلى أثارة الجانبية ولا سعره مادام الدكتور لم يسأله فلن يخبره انطلق في طريقة إلى زيارته المتتالية حتى جاءه اتصال ليلى فوضع سماعة الهاتف في أذنيه بينما تقف سيارته في الازدحام منتظرة القطار ثانية .اطمئن على أحوالها في مدرستها الجديدة وحكى لها عن زيارته لحسن وأنه لم يجده وبتلك الزيارات العديدة التي عليه إتمامها اليوم وقبل أن تخبره باتصال والدتها ورغبتها في حضورها كان يستعجلها ليغلق الهاتف فقد عبر القطار وبدأت السيارات في السير ،حاولت مقاطعته لإخباره لكنه لم يسمعها وسط الازدحام وأغلق الهاتف .تساءلت في حيره ماذا عليها أن تفعل مع والدتها؟، لن تقدر وان حكت لها عن انشغاله ستتهمها بالسلبية مرة أخرى وتثور ثورتها ومع هذا لن تستطيع الذهاب دون إخباره.

تملكها الضيق ولكنها واست نفسها وقررت الاتصال به ثانية بعد قليل.

كانت هالة قد أعدت إفطار خفيف لـ (سامية) حماتها بعد أن وضعت الدواء بجوار كأس الماء وكذلك إفطار إيناس بينما أعطت ندى رضاعتها وتركتها لتعود ثانية إلى المطبخ قبل أن توقفها سامية متسائلة :وانت يابنتى مش هتفطرى ولا هتستنى حسن لما يصحى ؟

- لا يا ماما أنا صايمة النهارده .

- ليه بقى النهارده الاثنين ولا الخميس صيام ايه دا كمان ،يكون عاشورة ؟!.

ابتسمت هالة من تساؤلها وأخبرتها أنها توفي أيام سابقة يوم ولادة ندى في رمضان ،هزت المرأة رأسها في تفهم وتركتها تكمل شيئا في بيتها .

اتجهت هالة إلى المطبخ وهي تتعجب من تلك المرأة التي تحشر نفسها في كل شيء حتى صيامها ، ولكنها لم تتمالك ابتسامتها التي اتسعت حين تذكرت كلامها(عاشورة) :عاشورة اية دلوقتى ،وهزت رأسها في استنكار داعية الله أن يصبرها .

****

الفصل الثاني

"نصف الحكمة فطنة وثلثيها تغافل"

ظلت دينا تبكي وتنعي حظها الذي أوقعها في سامح وتزوجته وأمها تحاول تهدئتها بينما اندفعت تحكى لأمها وسط دموعها عن ذلك الرقم الذي وجدته بهاتفه وتلك الرسالة التي أثارت شكوكها حتى اتصلت بالرقم وتأكدت من أنها فتاة تعمل لدى إحدى شركات المقاولات كسكرتيرة وأنها تحادثه باستمرار.حاولت أمها درأ التهمة عنه وتأويل الأمر على أنه شغل بينهما وأنه مضطر للتعامل مع نساء كما الرجال ولكن تلك الحجة الواهية التي حاولت أمها اختلاقها لم تلمس من وجدان الحقيقة شيئا حتى أخبرتها دينا أنها واجهته.

- ياماما ده عايز يجننى ،يعنى أنا شفت الرساله بعينى وورتهاله يقوم واخد الموبايل من ايدى وماسحها ويقول فين دى ولما اقوله انى شفتها وهو مسحها يقولى اني بيتهيألي

- طيب ما يمكن يابنتى فعلا اتهيألك ولا قريتى رساله تانية من واحد صاحبه وافتكرتيها منها

صاحت فيها غاضبة حين سمعت تلك الكلمات ،أنها بذلك تحاول أن تجعلها مريضة كما يتهمها وهو شيء لن تسمح به فلن تكذب عينيها .

حاولت أمها تهدئتها وهي تتلفت ناظرة للساعة التي تجاوزت الواحدة والنصف ولم تأت ليلى بعد وبدأ حنقها ينصب على ليلى التي لا تبالي بأختها بينما كانت ليلى في تلك الأثناء تحاول للمرة الخامسة الاتصال بخالد الذي لم يجب فعزت ذلك إلى زيارته التي قد تطول أحيانا فقررت أخيرا أن تبعت له رسالة تخبره أنها ستذهب لزيارة والدتها وأن دينا هناك تعرف أن ذلك قد يثير بينهما مشاكل ولكنها تحاول تجاهل ذلك مؤقتا تمني نفسها أن ذلك سيمر بسلام قبل أن يتلاقى العقربان عند الرقم اثنان بقليل كانت ليلى تدق الجرس،هرعت دينا لتفتح فقد كانت تعرف طريقتها في دق الجرس .ما ان فتحت الباب لها حتى ألقت بنفسها بين ذراعيها ،استقبلتها ليلى بصدر رحب ثم دخلت وأغلقت الباب دلفت إلى داخل الشقة وألقت بجسدها إلى أقرب مقعد مستريحة من عناء الطريق ناظرة إلى دينا في قلق وتعجب مما يبكيها هكذا حتى هدأت دينا قليلا وبدأت في التقاط أنفاسها وحكت لها ما حدث ،بدت ليلى منتبهة لها وان كان عقلها شاردا عند خالد الذي لم يتصل بها وهل لم يتلق رسالتها

أم أنه مشغول في زيارته فلم يقرأ الرسالة بعد ،ولكن ما كان يخيفها هو أن يكون قرأ الرسالة وقرر معاقبتها بالتجاهل كعادته حاولت إبعاده عن تفكيرها وهي تتنفس بعمق محاولة استجماع شتات تفكيرها حتى تفهم ما تحكيه دينا .بدا جزع دينا مبالغا أمام سخافة الأمر كما قالت ليلى، أن الأمر لا يتجاوز كونه نزوة عابرة وأن إصرارها على إدانته سيدفعه حتما إلى التطاول في الأمر .

- حتى انت يا ليلى بقولك شفت بعيني الرسالة!

- وافرضي يا ستي واحدة بتشاغله ورد عليها وخلص الموضوع، لكن عمايلك دى هتخلية يتمادى، أصل خلاص مافيش حاجة هيخاف منها خاصة لو وصله اننا عرفنا.

ان شعر أن أقصى ما تستطيع أن تفعله هو ألا تفعل شيئا سوى البكاء والنواح فإنه لن يخشى إعادة الكرة وفي المرة القادمة لن يحرص على مدارة أموره.

- هو كده عرف أخرك ولو كنت وصلتيله اننا عرفنا ومخدناش موقف هيبقى خلاص اخر حاجة ممكن يخاف منها خلصت .

- علشان كدة بقولك لازم اخد موقف مش لازم اسكت علشان ميكررهاش

أجابتها في هدوء وهي تحاول تمالك كلماتها حتى لا تفلت منها وتتهمها بسوء اختيارها من الأساس، أخبرتها أن عليها معالجة الأمر في هدوء وتروى وما كان عليها مواجهته بكل ذلك العنف ، كان عليها تجاهل الأمر أو إدعاء تصديقه عندما أنكر وجود الرسالة .

- يعنى أكدب عنيا ؟! ،اعمل نفسى عميه وأنا عارفة انه بيكلم واحدة تانية ازاي؟

- يادينا مجرد انكاره ده معناه انه خايف انك تعرفي وده في حد ذاتة شيء كويس، مش احسن مايكون بجح ومش فارق معاه يخبى ولا لأ!!.

سكتت دينا قليلا وهي تحاول استيعاب كلماتها وبدا وكأن الاقتناع يدق أبواب عقلها. أطرقت قليلا قبل أن تقطع ليلى الصمت ناصحة لها أن تعود لبيتها وتدعى تصديقه وأن عليها أن تزيد اهتمامها به أكثر مما كان وان كان عليها مراقبته من حين لآخر دون علمه .

تعلم ليلى أن ما من سبب وراء صمت والدتها إلا أن كلامها جاء موافقا لمرادها وخاصة هي دائمة النصح لها(علشان بيتها ميتخربش)على حد تعبيرها ،لا تعلم ليلى لما تحس بالتناقض داخلها ... تنصح دينا بأشياء تعرف جيدا أنه لو انقلبت الموازين

لن تعيرها اهتماما ولن تفعل اقل مما فعلت هي ولكن ماذا عليها أن تقول ،تضطرك الظروف أحيانا أن تقنع غيرك بأشياء أبعد ما تكون عن حدود اقتناعك .

ابتسمت لدينا محاولة إخراجها من دوامة فكرها التي تبدو أنها تعتصرها من الداخل ثم نظرت إلى أمها محاولة تغيير دفة الحديث سألتها أن كانت قد أعدت الغداء خاصة وهي تشعر بالجوع فابتسمت والدتها :حالا هيجهز الأكل قامت لتعد الطعام بينما كانت ليلى تتساءل عن هالة فأخبرتها دينا أنها منذ أن عاشت حماتها معها و خفت زيارتها، ثم أضافت مازحة

- عاملة عليها حظر تجول

ضحكت ليلى بينما تعالى صوت والدتهم من المطبخ تعلق على قدوم حماه هالة وذلك التحكم الذي تفرضه عليها في منزلها وعلى بناتها وكانت تمصمص شفتيها وتتحسر على العز الذي كانت فيه هالة قبل وفاة حماها ولجوء حماتها إلى منزلهم . ابتسمت ليلى للفظة (اللجوء) الذي قالتها والدتها وذكرتها بالمصطلحات السياسية الرنانة كاللجوء السياسي والأحوال السياسية التي كانت أبعد ما يكون عن اهتمامها. مالت دينا على ليلى وهي تهمس سائلة عن خالد وماذا قال عندما أخبرته باتصال والدتها ،حاولت ليلى إشاحة نظرها والكذب ولكن لسانها لم يطاوعها وأطرقت وهي تجيبها أنها بعثت له رسالة وتتوقع مشاجرة كبيرة عند عودتها، غمزتها دينا في خبث :خلاص اما تروحى ابقى ظبطية مع شوية دلع اكيد هيفك !!

ضحت لدعابة دينا وطريقتها في التفكير فأكملت الأخرى :انت فاكرة ايه كل الرجاله كده بالدلع والتمنع يبقى زى الخاتم في صباعك.

- ليلى :طيب خلينالك الدلع زودى الجرعة لحسن يطير من ايدك ، فقاربت دينا ما بين حاجبيها معلقة في جدية :والله ما هسيبه ،هعمل نفسى مصدقاه دلوقتى بس هراقبه زى ضله هو فاكرنى مغفلة اسيبه لوحدة تانية .

لم تضف ليلى شيئا بينما بدأ قلق يعاودها وانتقل إلى عينها التي باتت ترقب هاتفها كل خمس دقائق والتساؤل يتزايد عن رد فعل خالد وعدم اتصاله. لمحت دينا ذلك التوتر الذي كسا ملامحها وكانت تعلم أنها تجاهد كي لا تلحظه أمها خاصة وأن العلاقة بينها وبين خالد كوتر الكمان مشدود الطرفين .

سحبتها من يدها مشيرة إلى الغرفة : تعالى اوريكى اشتريت ايه انهارده

أخرجت دينا عدة أكياس محملة بأسماء ماركات للكثير من الملابس وأخذت تفرغهم على السرير أمام ليلى وهي ترتدي كل قطعة وتتخايل بها أمام المرآة سائلة ليلي عن رأيها.

كانت ليلى ترقبها بذلك "الدريس "الذي يبرز طولها وجسدها المتناسق ولونه الأحمر يضفي ضياءا متوهجا على بشرتها البيضاء المرصعة بقليل من حبيبات النمش على الوجهتين مما زادها جاذبية ،أرخت دينا عقصة شعرها حتى انسدل في طوله المثير يراقص خصرها بلونه البني مضاهي للون عينيها اللوزتين تحت أهدابها الطويلة كانت دينا أجملهم وكانت ملامحها محيرة فلم تكن تشبه أي من والديها لاحظت ليلى أن كل الملابس لا تحتوي على بنطلونات بل كلها فساتين فبدت نظرة رضا في عينيها وهي تخبر دينا أن هذا "الاستيل"أحلى عليها وفرحت أنها أخيرا انتوت الحجاب ،نظرت لها دينا نظرة مستفهمة ومستنكرة أيضا وأخبرتها أنها لن تتحجب ،و أنها فقط أرادت بعض التغيير وأن الفساتين تبرز أنوثتها أكثر، هزت ليلى رأسها في يأس داعية الله أن يهديها .

سكتت قليلا قبل أن تسألها

- هو مش بيضايقك قصدي مش بتحسي انك حرانة وانت لبساه ؟.

أخبرتها ليلى أن الراحة التي تشعر بها بعد تحجبها تنسيها حرارة الجو ثم عادت دينا تسألها ان كان خالد هو من أجبرها عليه فأخبرتها أنها لو لم تقتنع به ما كانت ارتدته وأنها كانت تنوى الفكرة منذ زمن وجاء خالد ليساعدها .

اتسعت ابتسامة دينا وهي تخبرها أن يوم تنوي سترتدي باروكة وبهذا تكون أخفت شعرها وشكلها سيظل مثيرا ألقت ليلى إحدى الوسائد عليها وهي تتهمها بالغباء والسطحية وأن هذا ما إلا تحايل على الدين وأنه غير جائز شرعا .هزت دينا كتفيها دون أن تعلق وأن كانت قد صدمت بتلك الحقيقة بعد موضة الممثلات والمحجبات اللائي أجزن ارتداء الباروكة وأحلوها لأنفسهم .

- المهم سيبك من ده كله ،هقولك على حاجة بس متقوليش لحد عليها حتى ماما ،ثم مررت بيدها حول بطنها وهي تستعرض وتقول :هنا

هتفت ليلى بفرحة

- انت حامل ؟!

أمالت برأسها أي نعم واتسعت ابتسامتها وليلى تحتضنها .

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة حين تلقت ذلك الاتصال من رقم غريب فاجأها صوت (إيهاب) الجواهري الرصين الذي تجاوز عمرة الستين ببضع سنوات بينما مازال يحافظ على صحته كما لو كان بالأربعين من العمر، كانت معرفتها به قوية هي وأخوتها فلم يكن يتعاملن مع سواه لأمانته وثقة في ميزانه منذ حياة والدهم وحتى بعد وفاته وكان ذلك سبب إصرارها على شراء الشبكة منه ،حياها بكلمات مقتضبة محاولا جعلها ودودة مطمئنة بينما أجابته بكلمات تائهة وتساؤلات عدة حتى طلب منها أن تأتى إلى مستشفي (....) ووضع قليلا من الصمت المحير بالتساؤلات بينهما قبل أن يخبرها أن خالد في المستشفي بعد أن نقلوه إليها بعد الحادث .

كادت روحها تخرج مع تلك الشهقة التي انطلقت ممتزجة بدموع حارة غير مصدقة، انهمرت لتكسو وجهها ،حاول طمأنتها ولكن كانت قد صمت أذناها وهي تلقى بهاتفها في جزع متناولة حجابها الذي وضعته في سرعة على رأسها دون أن تلتفت إليه وسحبت حقيبتها ولم تستمع لأي من دينا ووالدتها اللتين لم تفهما شيئا مما حدث ولا ممن كانت المكالمة حاولت دينا إيقافها ولكنها في هيستريا صرخت بهم أن خالد في المستشفي ،هرعت دينا خلفها وهي تخبرها أنها ستذهب معها ،حاولت ليلى إثناءها لكنها قفزت إلى سيارتها وأدارت المحرك لتنطلق فجلست إلى جوارها بينما أشارت دينا لوالدتها التي تقف بالشرفة تطلب منهم أن تطمئناها .في هلع صعدت سلالم المستشفي وعند الاستقبال كانت تسأل الموظفة المسئولة عن حجرته وقبل أن تبحث عن اسمه بالقائمة كانت رحاب تتقدم منها سائلة ان كانت هي مدام ليلى فأومأت برأسها فصحبتها إلى حجرته.

اقتحمت باب الحجرة في لهفة وخوف دمر أعصابها حتى وجدته أمامها بوجهه المبتسم يحاول طمأنتها ،اقتربت منه في خوف وهي تتأمله وتلك الضمادة حول زراعيه وساقه المعلقة بجبيرة في ذلك الحامل بينما بجوار فك لاصقة صغيرة ربما تخفي خلفها كدمة .

جلست جواره وعيناها تملأها الدموع ممسكه بيده الحرة وتنطق اسمه في وهن غير مصدقة أنها تراه أمامها في تلك الحالة .

- اهدى يا ليلى ما فيش حاجة لده كله ،أنا كويس والله ولا أنتى بتتلككى عشان تبكى.
نطق كلماته تلك مازحا لعله يمتص هلعها ويهدأ من روعها ولكن هباء فقد انسجمت في نشيجها الخائف وأخذت تقبل يده.

- طيب ادينى فرصة أسلم على دينا وأعرفك على دكتورة رحاب

حين نطق اسم رحاب جففت دموعها ونظرت خلفها متعجبة كيف نسيت وجودها وهي لا تعرفها وكيف لها أن تدلها على الحجرة ،هل تعمل بالمستشفي.

قطع تساؤلاتها معرفا لها

- دكتورة رحاب بنت أستاذ إيهاب

وهنا نظرت نحوه فابتسم بدوره حين تلاقت أعينهما :كنت عايز اطمنك واقولك انه بخير بس انت مدتنيش فرصة وقفلت الخط قلت ياريتنى سمعت كلامه ومكنتش قولتلك أحسن .ابتسمت في خجل وتمتمت ببضع كلمات معتذرة ، ثم نهضت لتمد يدها لرحاب مرحبة بها عادت إلى جواره تسأله كيف حدث ذلك فأخبرها عن ذلك الطفل الذي عبر الشارع مسرعا رغم زحمة الطريق وليتفاداه ما كان منه إلا أن ينحرف عن طريقة ففقد السيطرة على عجلة القيادة فانقلبت السيارة على جنبها ولولا رحاب لمات احتراقا في السيارة .

بغريزة الأنثى لم تكن ليلى لتتجاهل رفع الألقاب والابتسامة الودودة بينهما والتي بالتأكيد ليس وليدة الصدفة أو اللقاء الأول ،ردت رحاب على كلماته أنها لم تفعل شيئا هي فقط طلبت الإسعاف وهم من أنقذوه ولكنه رفض أن يقلل مما عملت فاعترض على كلامها مكملا أنه لولا تصرفها الشجاع وطلبها من عمال الصيدلية وأصحاب المحلات أن يرفعوا السيارة ويخرجوه من أسفلها لما نجي وأنه من حسن حظه أنه كان بجوار الصيدلية وقت الحادث .وجدت ليلى أنه من اللائق شكرها وان كان ذلك لا يمنع تلك الغصة في حلقها .في تلك الأثناء كانت دينا والتي تقف بعيدا تراقب الموقف أمامها راسمة ابتسامة خفيفة على شفتيها محدثة نفسها ، يبدو أن ليلى ستعيش نفس مأساتها قريبا وأن عصفورها على وشك أن يغادر عشه .

نظر خالد إلى دينا وكأنه تذكر وجودها ثم نظر إلى ليلى متسائلا

- هي دينا كانت عندك؟!

بدا التوتر على وجه ليلى وهي ترقب الحاضرين حولها ،خشيت أن تسأله عن الرسالة والتي يبدو أنه لم يقرأها، كما خشيت عصبيته أمامهم ولكن لحسن حظها استأذنت رحاب ووالدها ليخرجا ويتركوهما، حاول خالد إثناءهم ولكن رحاب أخبرته أنها تركت الصيدلية بمفردها وأن عليها المغادرة وأنها ستزوره غدا. رفعت ليلى إحدى حاجبها وبدت كقطة شرسة تستعد للانقضاض على غريمتها ،عن أي غد تتحدث ولماذا تأتى وما العلاقة بينهما حتى تزوره، أنقذت حياته مشكورة ولكن لكل شيء حدود .

وضعت ابتسامة باردة على وجهها ومدت يدها تصافح رحاب مقاطعة لكلام خالد ومحاولته لإثنائهم عن الرحيل: شرفتينا ومرسى جدا انك أنقذت جوزي بجد أنا مدينة ليكى بس ما فيش داعى تتعبى نفسك وتجيله بكرة وبعدين أنا احتمال اكلم الدكتور واطلب منه انه يخرج معايا يروح البيت وأنا اراعيه .وكأنما أحست بالرسالة الصريحة بين طيات الكلام فابتسمت لتلك الغيرة التي بدت واضحة من سلامها البارد

- خلاص اللى تشوفيه ،سلام يا خالد وحمد الله على السلامة.

سمعت دينا اسم خالد هكذا وشعرت بنفس الغصة التي تشعر بها ليلى ولكن تلك الأخيرة ما كأن منها إلا أن رمقت خالد الراقد في استسلام لكسوره بنظرة غاضبة بعد أن خرجت رحاب استأذنت دينا أن تخرج لإجراء مكالمة لوالدتها لتطمئنها ،مع كل عوامل الغيرة والغضب التي تعصف بها إلا أنها أدركت خطأ الحديث في شيء الآن فكبتت غضبها وأجلت كل أسئلتها وشكوكها حتى يتعافي من آلامه .

في وجوم اقتربت منه وجلست على طرف السرير وهو يرمقها عن قرب ممسكا بيدها محاولا تهدئة غضبها الذي دفعه دون إرادة منه إلى أن يبتسم ثم ما لبث أن تعالت صوت ضحكته فنظرت له دهشة ثم أشاحت بوجهها عنه فجذبها إليه واضعا يده تحت ذقنها مقربا وجهها إليه وفي نظرة إعجاب أخبرها أنها تصبح أجمل حين تغار ثم واصل ضحكه الذي زاد من استفزازها: خالد كفاية، أنا مش عايزة اتكلم علشان حالتك دى ،بجد خليني ساكتة .

أشار بيده أن كفى ثم كتم ضحكته وعاد لسؤالها عن دينا كيف علمت وكيف جاءت معها ،هنا تململت وابتعدت قليلا عنه وهي تخبره برسالتها إليه ،قطب جبينه وأشاح بوجهه في صمت فعادت تتودد إليه مخبره إياه أنها لم تجد منه أي رد لذا بعثت برسالتها وكانت منتظرة اتصاله الذي لم يأت .

- طبعا لما مردتش قومت مقررة من دماغك انك تروحى ،لا ياليلى مينفعش، لازم اكون عارف وبعدين مفكرتيش ايه اللى اخرنى في الاتصال عليك، متخيلتيش طبعا انى اكون عامل حادثة وانت روحتى تغيرى جو عند أمك مش كده .

- لا يا خالد مش كدا ،أنا ....

هنا دخلت دينا ودون قصد سمعت جزء من حوارهما فتدخلت شارحة له الأمر وأنها كانت منهارة وكانت محتاجة ليلى لذا لم تستطيع أن تتأخر عليها وأن اللوم عليها هي.

تمالك خالد غضبه احتراما لدينا ،لحظات مرت قبل أن يوجه كلامه لدينا ويخبرها أنه سيدع تلك المرة تمر من أجلها ولكن في المرة القادمة عليها أن تستأذن قبل ذهابها، أومأت ليلى برأسها قبل أن تقترب منه وتطبع قبلة حانية على جبينه ثم قامت لتسأل الطبيب أن كان باستطاعتها العودة به إلى المنزل في نفس اليوم .

الفصل الثالث

"لا تلمني فيما لا تعلم، ولا تعتب على فيما لم تعشه"

بين أروقة البيت الواسعة تحاول أن تقتل الملل الذي اكتنفها منذ أخبرها أنه مسافر لانهاء أعمال معطلة بسبب مشاكل في الشحن ،تعلم أنها بضعة أيام وسيعود ولكن وحدتها تتزايد مع تلك الآلام المستمرة في عظام ساقيها والتي انتشرت لتنتقل لظهرها ،تحاول دفع عجلات الكرسي القابعة عليه بصفة شبه مستمرة بسبب الروماتويد الذي أصبح صديقها الوحيد بعد أن فقدت أهلها وعادت منذ سنوات إلى مصر ،بالرغم من أنها تعتبره أكثر من ابنها إلى أنها تمنت لو رزقها الله بالذرية ،بأولاد من رحمها تشعر بخلاياهم تتكون داخلها ،تنمو، يسحبون من دمائها وروحها أفاقت على صوت الفتاة التي تعمل لديها والتي لم تتجاوز الخامسة عشر وهي تسألها ماذا تعد للعشاء .في لا مبالاة أجابتها أن تضع أي شيء فـ شريف غير موجود وهي لن تهتم ولكن فجأة جاءها صوته من خلفها يخبرها أنه عاد، التفت تقابله بفرحة تكاد تجعلها تقفز من على كرسيها .

اقترب منها ثم انحنى على ركبتيه ليقبل يديها متسائلا عن حالها ثم أردف لائما

- ياخالتو أنا مش قلتلك تهتمى بأكللك وبنفسك طول مانا مش موجود ؟!

ابتسمت ابتسامة واهنة قرأ فيها حزنها ووحدتها وهو بعيد عنها ،عاد يقبل يديها ويربت عليها ثم سألها عنّ حالتها وعن صحتها واعدا إياها ألا يسافر طويلا بعد ذلك.ربتت على كتفه في حنان أم لم يعتده قبل قدومها إلى حياته منذ عشر سنوات.

منذ وفاة والدته لم يجد يدا حانية وقلبا حنونا يحتضنه مثلها وزاد حرمانه ووحدته وفاة والده وهو بعد لم يتجاوز الثامنة من عمره.

لم تكن (بثينة) خالته تعلم بوفاة والده حين عادت من الخارج بعد أن فقدت زوجها ومن قبله والديها فلم تجد مفر من العودة حيث وطنها وقررت البحث عنه رغما عن والده لتلقاه وتمنحه نصيبه من إرث جده كما تنص الوصية الواجبة والتي تركها له ليضمن له حقه رغم أنه لم يره سوى مرتين وكان وقتها رضيعا لا يتجاوز عمره بضعة أشهر قبل أن تتوفي والدته وتتركه لأبيه وزوجته .قام من جلسته واستأذنها أن يذهب ليبدل ملابسه ويستريح إلى أن يعد الطعام. استوقفته لتخبره أنها تريد الحديث معه قليلا بعد أن يبدل ملابسه فأومأ لها موافقا واتجه نحو غرفته وجلس على طرف السرير الذي يتوسط حجرته الواسعة المظلمة دائما كما يحبها متحاشيا النظر إلى المرأة التي تقابله، نزع حذائه وألقاه بعيدا وألقى بجسده المنهك على

السرير دون أن يضيء نور الحجرة وأخذ يحدق في السقف معتمدا على الضوء الخفيف المتسلل إليه من حجرة المعيشة . شعور بعدم الراحة والرضا يكتنفه بالرغم من كل هذا النجاح الذي يحققه في عمله، بالرغم من صغر سنه والذي لم يتجاوز الثانية والعشرين إلا أنه استطاع أن يحصل على ذلك التوكيل الخاص بأجهزة الكمبيوتر التي تم استيرادها من الخارج وأصبح هو الموزع الوحيد لهم في مصر .يعلم أن الآلاف مثله لا يجدون وظيفة والأغلبية مازالت تدرس في جامعات حكومية عقيمة ليتخرجوا بالآلاف حاصلين على أوراق شهادتهم والتي ربما لا تساوي ثمن الحبر الذي كتبت به ولكنه مختلف .فتفوقه وحدة ما كان كافيا لذلك النجاح الذي حققه لكن إرثه من جده ساعده لينشئ شركته تلك وهو بعد في المرحلة الثانوية وبالرغم من صغره وقلة خبرته إلا أنه استطاع إدارتها ربما لشغفه الزائد وحبه الجم للتكنولوجيا وأجهزة الحاسوب بكل أنواعها، بالرغم من المجموع الكبير الذي حصل عليه إلا أنه قرر دراسة الحاسبات وكل ما يتعلق بها ورفض إلحاح خالته أن يقدم في كلية الهندسة فانتظامه بها لن يتيح له فرصة إدارة شركته جيدا ،لكن كليته تلك تتيح له الدراسة التي يحبها ويريدها ولن تؤثر على شركته والتي منحها كل طاقته حتى أصبح لها أسهم واستطاع أن يكبرها بهذا الشكل .وقف لينزع ملابسه و ألقى بها دون اكتراث على السرير ودخل الحمام الملحق بالحجرة ودفن جسده تحت الماء البارد ،رغم برودة الجو إلا أنه يشعر باستمتاع خاص لتلك الرعشة الخفيفة التي تنتاب جسده إثر الماء البارد .

خرج إلى خالته والتي كانت قد سأمت من انتظاره ففتحت التلفاز لتلهى قليلا ريثما يأتي .

ابتسمت حين رأته يرتدى "المنامة" ويبدو طوله فارعا أكثر مما ينبغي فتضطر إلى رفع رأسها لتلتقي عينيه وخاصة في مثل وضعها الجالس ذاك، رمقته بطوله الفارع وسمرته الخفيفة وعينيه الغائرتين في وجهه مربع الشكل، بشكل عام لم يكن على قدر كبير من الوسامة وكان هو يعلم ذلك جيدا وربما كان ذلك أكثر ما أثر في نفسيته .منذ نعومة أظافره وهو يدرك الفرق بينه وبين أقرأنه الذين لم يتوانوا عن مناداته بالغريب، يعلم أنه مع نموه تواري الكثير من عيوبه أو استطاع هو بذكائه موارتها كان أبسطها شعره المشعث والذي بفضل "الجل"استطاع فرده ولكن لون عينيه المتناقض مع سمرته كان ما يضايقه أحيانا ولكن ما لم يكن يعرفه أن لفظه الغريب التي لصقت به كوصمة عار دهرا طويلا لم تكن لمظهره وملامحه الغريبة فقط بل لانطوائه الدائم وهدوءه الشاذ بالنسبة لطفل مثله ملئ بالنشاط والانطلاق ،لم يستطيع مجاراتهم لذا فضل الانكماش أكثر على نفسه وهذا ما جعله يتقن الكمبيوتر منذ صغره ويكتشف الكثير في هذا المجال .

سحب المقعد المجاور لها وجلس وهو يتنهد

- ها ياستى خيرعايزانى في ايه .

زاغت عيناها قليلا وهي تحاول أن تستهل كلامها بسؤاله عن أحواله قبل أن تخبره بما تريد ،ربما خافت عليه من المفاجأة لذا قررت الحديث عن أي موضوع آخر ،مع ترددها وكلامها الذي جاء فارغا باهتا وبعيدا عن المقصد الحقيقي رمقها شريف وهو يحدق في عينها ويقرب وجهه منها باسما

- في ايه ياخالتو،بتحاولى تخبى ايه في حاجة حصلت وأنا مسافر ؟.

تلعثمت قليلا قبل أن تخبره أنهم عليهم أن يزورا ليلى غدا .

تقلصت ملامحه وقارب مابين حاجبيه وقد انتابته رعشه وخوف حقيقي وهو يسألها ان كان قد أصابها مكروه فأشارت له بيدها لتطمئنه: لا هي كويسة، خالد بس عمل حادثة ورجله اتكسرت وشوية كدمات بس هي قلتلى انه كويس وخدته على البيت كمان في نفس اليوم استشعر الصدق في كلامها مما جعله يطمئن وسألها كيف عرفت فأخبرته انها اتصلت بليلى من أجل الاطمئنان عليها اليوم وبالصدفة أخبرتها بالحادث .

- لازم اروح ازورها ياشريف واوعى تقولى لا وانى تعبانة وانك مش عايزني اتعب زياده، يابنى عيب مش كفاية مرحتلهاش بعد فرحها اباركلها !

بدا ساهما بعيدا عن كلامها ولكن ذلك لم يمنعه من سماعها والتقاط الجدية التامة في كلامها .

- خلاص ياخالتوا نروحلهم بكرة نطمن عليه وكمان اشوف ليلى .

انتبها لصوت الفتاة وهي تخبرهما أنها أعدت الطعام ، قام وسحب مقبض الكرسي الخاص بها ودفعها حتى وصلا إلى طاولة الطعام المعدة وجلس قابلتها وبينما يتناولان الطعان كان يستفسر منها عن الحادث وكيف حدث وأخبرته بينما تضع بعض اللقيمات في فمها واندهش حين عرف أن دينا هي من كانت معها في المشفى وأنها أوصلتها للمنزل فقاطعها متسائلا ان كانت ليلى تزور دينا في منزلها ،فأشارت له بيدها أن لا وأخبرته أنها التقتها عند والدتها، عقد حاجبيه وخفض نظرة إلى الطبق أمامه وابتلع تلك الغصة في حلقة دون أن يعلق .قرأت الأفكار التي دارت في رأسه وقتها لكنها لم تعلق وقررت الصمت الذي طال قليلا قبل أن تسأله متى سيذهبان غدا فابتسم لذكائها، كانت تعلم رفضه وأنه سيحاول التملص من أخذها معه

لذا قررت أن تقطع عليه طريق العودة وتلزمه بكلمة ووعد فاضطر أن يوعدها أن يذهبا غدا بعد العصر :بس كلميها الأول وشوفي ان كان حد هيبقى عندهم ولا لا

ابتسمت له ابتسامة متفهمة وعادت لطعامها الذي أصبح له طعم بوجوده معها .

- عليكم السلام

التفتت وهي ترد السلام فوجدته أمامها مبتسما يخبرها أن يذهبا لأن الوقت تأخر

- حاضر يابا ثواني بس في طلبيه بمليها واوردر بعته من نص ساعة ولسة مرجعش، مش عارفة ايه الحكاية أنا خايفة يكون حصل حاجة في الطريق؟ .

- طيب متتصلى بصحاب الاوردر شوفيه وصل ولا لأ .

نظرت إليه بدهشة لنسيانها شيء كهذا وبسرعة تناولت الهاتف وطلبت الرقم الذي دونته بجوار العنوان المسجل أمامها وما أن دق الجرس حتى أتاها صوت أحدهم فسألته ان كانت الأدوية قد وصلتهم فاستأذنها ليسألهم ثم نظر إلى المرأة القعيدة بجواره والتي لم تكن سوى خالته يسألها ان كانت الأدوية قد وصلت فهزت رأسها بالنفي ولكن قبل أن يجيب محدثته على الهاتف دق جرس الباب فأستأذنها ليفتح . لم يكن سوى عامل الصيدلية الذي بعثته والذي اعتذر عن تأخره بسبب الحادث الذي كان في الطريق ،أعطاه شريف نقوده وعاد إلى الهاتف ليخبرها أن الأدوية وصلت وشكرها وأغلق الهاتف

نظرت إلى والدها مطمئنة

- وصل عندهم وزمانه راجع في السكة .

- طيب خلاص كلميه خليه يروح وبكرة ابقى هاتى الفلوس منه وبلاش نتعطل

- يابابا ينفعش أنا مش عايزة أعود اللى يشتغلو معايا على كدة ممكنة اكون

مش موجود ويعملوا كدة وممكن الطلبية تكون أكبر والفلوس تضيع أو تسرق يبقي ليه.؟

ابتسم لتفكيرها وأنتظره معها ومن باب تمضية الوقت اخذ يسألها عن أحوال الصيدلية وأحوال من يعملون معها وكانت تجيبه بإجابات روتينية مقتضبة ،ربما لاحظ الاضطراب الذي يكتنفها ولكن في البداية ظن أنه بسبب تأخر العامل،لم يدرك السبب الحقيقي إلا عندما قطعت صمتها لتسأله أن كان قد اتصل ب خالد.

نظر إليها مستفهما ومستنكرا أيضا

- لا من ساعة ماكنا عنده واطمنا عليه مكلمتهوش ،ليه حد اتصل بيكى او حصلت حاجة؟ .

بدا التوتر يتزايد على وجهها ولكنها أخبرته أنه لم يحدث شيء هي فقط أرادت أن تطمئن عليه خاصة بعد الكسر والشرخ الذي أصيب بهما.

قبل أن يجيبها أو بالأحرى يبدأ في استجوابها عن سبب اهتمامها والذي كان سيضعها في مأزق بالتأكيد كان العامل قد وصل معتذرًا فلم تجادله و راجعت الحساب ثم أغلقت الصيدلية بعد أن سمحت له بالرحيل وحذرته من التأخر غدا ،لم يشاء والدها أن يستقلا السيارة خاصة أن الفيلا ليست ببعيدة لكنها اعترضت وأخبرته أنها منهكة القوى وتتمنى النوم سريعا لفرط التعب . استسلم لرغبتها والتي لم تكن سوى وسيلة للتهرب من تحقيقه الذي لم يبدأه والذي قد يفضى في النهاية إلى انكشاف أمرها منذ وفاة والدتها وهو شديد الحرص عليها ، لم تكن وقتها قد تجاوزت الخامسة، رفض حتى فكرة الزواج من أخرى خوفا عليها هي من معاملة زوجة الأب.كان يرى فيها العوض عن الزوجة والصديقة والحبيبة لم يجعلها يوما تشعر بفقدانها لأمها وأن كانت هي تدرك الحرمان الذي عاشت فيه.ربما حاولت مداراة الأمر عليه كثيرا ولكن ما أن تخلو بنفسها حتى تنهر دموعها شوقا لوالدتها ولأنثى تحتويها بجناحيها ،تشكوها همهما وأسرارها الصغيرة والتي تخجل دوما أن تحكيها لوالدها التفتت لتجد والدها خلفها يضع يده على كتفها فأفاقت من شرودها وتأبطت ذراعه ودخلا الفيلا معا وطبعت قبلة حانية على وجنته قبل أن تتجه لغرفتها ،تعالى صوته يخبرها أنه ينتظرها ليتعشيا سويا لكنها أخبرته أنها لا تملك شهيه ففوض أمره إلي الله وقرر أن يتناول عشاءه بمفرده.

****

الفصل الرابع

"كن ذكيا وتظاهر بالبله

فنصف النجاة يكمن في التغافل"

تخطو بخفة قطة إلي داخل الشقة الواسعة وهي تحاول ألا تحدث صوتًا ربما خشية أن توقظ أحد من النائمين وبالأخص هو ان كان قد عاد وقبل أن تستدير لتضئ "الريسبشين" كان هو في انتظارها ضاغطا زر الإضاءة البعيد حتى أضاء المنطقة التي يجلس بها وهو ناظرا إليها رافعا حاجبه في وضع تأهب أسد للانقضاض على فريسته في تهكم سألها

- لسه بدرى ايه اللى جابك ،مكنتى خليكى بايته مكان مكنتى

في لامبالاة دون أن تواجهه بعينها :جيت امتى مش عادتك يعنى تيجى بدرى !

- جيت بدري علشان كنت فاكر الهانم زعلانة وقلت أراضيها ونخرج نتعشى بره لكن رجعت ملقتكيش وقالولى كنت عند مامتك .

- طيب اديك عارف أنا كنت فين بتسأل ليه بقى ؟

وبعدين كفاية كلام عشان مصدعة وعايزة أنام .

قالت كلماتها الأخيرة وهي في طريقها إلى السلالم الداخلية للطابق العلوي المؤدي إلى غرف النوم فأمسكها من ذراعها بحدة كادت تسقط بسببها ،نظرت إليه في شراسة وهي تنزع يدها من يده دون جدوى حتى صرخت فيه :- سيب ايدى بتوجعنى .في حدة أمسك ذراعها الأخرى وقربها منه والشرر يتطاير من عينيه سألها وهو يضغط على كلامه :-كنت فين لحد دلوقتى وياريت متكدبيش

بدت نظرة مترددة في عينيها وتلاشت الثقة من كلماتها

- اوك بس سيب ايدى بتوجعنى .

أفلت ذراعيها بينما ظلت هي تفرك مكان قبضته من الألم الذي خلفته

- كنت عند ليلى، خالد عمل حادثة وكنت معهما ووصلتهم البيت، دي كل الحكاية

هدأت أنفاسه ولانت ملامحه قليلا وبدا غير مصدق :بس لما كلمت مامتك مقالتليش ليه؟، قالتلى انك كنت عندها ونزلتى

في استخفاف أجابته

- يمكن مرضتش تقلقك وبعدين هي متعرفش أنى هروح معاهم البيت ،أنا لما لقيته مكسور وعربيته ادشدشت صعبوا عليا ياخدو تاكسى فروحتهم وقعدت شوية معاهم وجيت على طول .

- طيب متصلتيش ليه بيا كنت جيت المستشفي روحتكوا، بدا خجلا وهو ينطق كلماته تلك بينما كانت هي تواجهه في نظرة استخفاف غير مصدقة :يعنى لو كلمتك كنت هتيجى ؟!.

بدا سؤالها استنكارا أكثر منه استفهام، ربما لأنها تعرف الرد مقدما وتعرف كذبه وانه لم يكن ليأت حتى لو كلمته ،لم تنتظر رده وانحنت لتسحب أكياسها وصعدت إلى حجرتها دون أن تلتفت إليه .

ألقت بأكياسها على السرير وألقت بجسدها إلى جوارهم، أغمضت عينيها لثوان لتفتحهما فتجده أمامها فاعتدلت في جلستها وبدأت في نزع حذائها .

- اشتريت الحاجات دى امتى ؟

في اقتضاب أجابته :قبل ماروح لماما ،أمسك الأكياس لينظر ما بداخلها فانتزعتها من يده

- مالكش دعوه دى حجاتى

ابتسم لطفولتها ولكلماتها، لف ذراعيه حولها محاولا التقاط الأكياس من يديها بينما استمرت في محاولتها لإبعاد الأكياس عنه ولكنه زاد من ضمته حتى أصبحت تماما بين ذراعيه وبحركة بسيطة التقط الأكياس وسط اعتراضها، ضحك وهو يفتح الأكياس مبعدا يده عنها ومواليها ظهره حتى لا تنزعها ثانية من يديه .

أعادها إليها بعد أن رأي محتوياتها فنزعتها بعصبية من يديه فألقتها على السرير واتجهت عابسة الوجه إلى المرآة تحاول نزع عقدها فلم تفلح يدها فاتجه خلفها في بطء مبتسما وأمسك يدها التي تحاول نزع العقد واستسلمت له وأبعدت يدها وتركته لينزعه .في بطء متعمد وبيد مدربة نزعه وقبل أن يزيحه تمام انحنى ليضع قبله جانبية على رقبتها انثنت رأسها لا إراديا ورعشة خفيفة سرت بجسدها ،استدارت لتواجهه بعينيها لتلمح عينيه الأسرتين.

أمسك بيدها في رقة وقبلها وهو يثبت عينيه بعينيها اللوزيتين :أنا آسف

في ذكاء وتحدٍ أجابته وهي ترفع إحدى حاجبيها:على إيه بالظبط؟

في محاوله للهروب من مصيدة كلماتها أجابها :علشان زعقتلك

- بس!! يعنى مافيش حاجة تانى تتأسفلى عليها ؟!

في براءة مصطنعة ولا مبالاة متعمدة سألها :وهو أنا عملت حاجه تاني؟!

رفعت حاجبيها وأمالت رأسها قليلا وهي ترسم ابتسامة تهكمية على شفتيها ودت لو واجهته بتلك الرسالة ثانية ،ودت لو تجادله حتى يعترف بخطيئته ولكنها تذكرت كلمات ليلى ،ماذا بعد أن يعترف هل ستنفصل عنه ،هل ستتخلى عنه لأخرى بهذه السهولة بالطبع لا لذا قررت التغابي كما نصحتها ليلى ،ربما كأن من الأفضل انكاره. رسمت نظرة مصدقة بعينيها ولفت ذراعيها حول رقبته متشبثة بها ورفعت إليه عينين مصدقتين

- خلاص مش زعلانه وعشان اثبتلك كده تعالى اوريك حاجه هتبسطك .

انحنت على السرير والتقطت حقيبتها الملقاة بلا اهتمام وفتحتها لتخرج منها شيئا أخفته خلف ظهرها ثم طلبت منه إغماض عينيه فاستجاب لها محذرا إياها من أي ألاعيب طفولية ولكنها وضعت صورة (الايكو) أمامه قبل أن تطلب منه أن يفتح عينيه.

نظر لها غير فاهم أو ربّما المفاجأة ألجمت عقله ،أجابته ومازالت ابتسامة واسعة تغزو وجهها واضعة يده على بطنها

- هنا في بيبي

نقل نظره من وجهها إلى بطنها غير مصدق ثم عاود النظر إليها ثانية، في فرحة زائدة كانت تنضح من خلاياها: أنا مكنتش مصدقة لما الدكتور قالى اني حامل، مكنتش متخيله أصلا ،بالرغم ان لينا أكثر من سنة إلا أنى عمرى مافكرت في الموضوع بس انهارده لما ورانى الصوره كنت هطير من الفرحة،أنا هبقى ام ياسامح .

حاول سامح رسم ابتسامة على شفتيه متناسيا صدمته وضمها إليه في حنان

- الف مبروك ياحبيبى .

أخذت تقشر البصل بأعين دامعة تحاول تجفيفها وتقليل ذلك الحرقان الذي تشعر به بينما تستمر بالتقشير مرتدية تلك (المريلة) والتي يبدو من نظافتها أنها لم تستخدم كثيرا فهي عروس لم يمض على زواجها سوى بضعة أشهر .

وضعت الدجاج في الحلة واتجهت إلى الغرفة فوجدته ممدد الساقين وأحدهما يغلفها الجبس فتبدو أكبر حجما وأكثر ضخامة ،مغمض العينين فظنت أنه نائم فاستدارت لتخرج كي لا توقظه ولكنه أوقفها مناديا عليها ،عادت إليه مبتسمة وجلست إلى جواره

- أنت منمتش! ،عامه الأكل خلاص نص ساعة وهيجهز.

بدا تجهم مفاجئ على ملامحه فسألته بقلق: خالد مالك في ايه؟ في حاجه تعباك؟

- لا مش تعبان بس مخنوق منك ومن تصرفاتك .

كادت أن تسأله عن أي تصرفات يتكلم ولكنها أمسكت لسانها قبل أن تفلت منه الكلمات ،ربما لو سألته وقتها لكان اتهمها بالاستهتار واللامبالاة لدرجة أنها لا تذكر حتى ماذا فعلت ولا تشعر بكبر جرمها كما يراه ،أطرقت في صمت تنتظر توبيخه والذي لن ينتهي بكلمة آسفة التي قالتها له في المستشفى.

- ليلى انت ازاي فكرتى أنك تروحى من غير متقوليلى ،حتى لو بعتيلى رساله ده مش معناه انى وافقت ده اسمه أمر واقع انت بتقوليلى بس انك رايحة مش بتاخدى رايى، افرضي انى كنت مرتب اني ارجع البيت بدرى علشان نقعد مع بعض ملقاكيش وبالصدفه اما أفتح الموبايل أبقى أشوف رسالتك ؟!

- خالد أنا محسبتهاش كده أنا...

- في حدة: اومال حسبتيها ازاي ؟، وافق ولا لأ مش مهم،المهم انى رايحه

- لا يا خالد أنا كنت بكلمك واكتر من ساعتين مرديتش علىا

- في تهكم أجابها :آه تقومى تبعتى الرسالة وتخلصى ضميرك مش كده؟

كادت أن تتحدث لتبرر وتشرح الأمر لكنها أيقنت أن ذلك لن يزيد الأمر إلا سوءا فأثرت الصمت.

أكمل في نفس حدته

- أنا عديت الموضوع ومرضيتش اتكلم علشان كنا بره بيتنا وعشان دينا محبتش احرجها لكن لو سمحتى الموضوع ده ميتكررش تانى ،انت متخيليش اتعصبت قد ايه، لما اعرف ان مراتى اللى فاكرها في البيت تطلع مش موجوده وفي مكأن تاني

هنا لم تملك نفسها وصاحت به

- مكان تانى ايه يا خالد ،أنا كنت عند ماما يعنى مش حد غريب ومكانش في غير دينا عندها ولولا ان دينا كانت منهارة وبتبكى أنا كنت استنيت لما أكلمك او حتي اروحلها بليل.

- أولا مينفعش صوتك يعلا ،ثأنيا أنا قلتلك ده مينفعش يتكرر، مهما كانت الظروف تكلمينى الاول وياريت يتقفل النقاش وميتكررش تاني

أسرعت خارجة من الغرفة كي لا يلمح قطرات الدموع التي تكونت بعينيها اتجهت للمطبخ وهي ترقب الشوربة دون أن تكف دموعها ،في عصبية نزعت المريلة وألقت بها أرضا وداخلها بركان يستعر ،تعلم مدى حبه لها وتعلم أيضا غيرته لكن لم تكن تتخيل أنها ستخنقها إلى هذا الحد اتجهت إلى الحمام وغسلت وجهها وأخذت نفسا عميقا ربما لتتمالك نفسها الثائرة .انها السنة الأولى من الزواج تعرف تماما مدى صعوبتها والمعاناة التي تحدث بسبب اختلاف الطباع ولكن المعرفة شيء ومعايشة الواقع شيء آخر، لم تخف عليها غيرته أو شدته قبل الزواج لكنها لم تتخيل أن الأمر سينال من تحركاتها البسيطة في زيارة كتلك .جففت وجهها واتجهت لتسكب له طبقا من الشوربة وهي تحاول رسم ابتسامة بدت باهتة وغير متلائمة مع وجهها .جلست جواره وبيدها طبق الشوربة، في صمت بدا ثقيلا مطبقا على أنفاسها كان يرمقها وذلك العبوس الذي يظلل وجهها، فجأة أمسك ذراعها الممتدة وضمها إليه حتى كاد الطبق أن ينسكب، أفلتت منه لتضع الطبق جانبا فأعاد جذبها إلى أن سقطت بين ذراعيه ،حاولت التملص لكنه أحكم عناقه لها فاستسلمت بين ذراعيه، مرر يده بين خصلات شعرها الحريرية السوداء

- متزعليش أنا مقصدش أضايقك ،أنا بس بخاف عليك ،محبكيش تروحى مكان من غير معرف ،افرض حصلك حاجه أعمل إيه أنا ها قوليلى؟ .

ابتعدت قليلا لتنظر إلى وجهه

- بس أنا مرحتش مكان غريب، قلتك روحت لماما.

نطقت كلماتها الأخيرة بصوت مبحوح يقاوم البكاء فابتسم لتهدئتها: خلاص سماح المرة دى بس ياريت بعد كده تقوليلى ،أنا عمرى ماهمنعك بس أعرف الأول ،ماشى.

ودت لو تجادله ،تخبره أنه لم يجيب علي هاتفه لكنها آثرت الاستسلام وأومأت برأسها موافقة فاحتضنها بين ذراعيه ثم ما لبث فجأة أن قال

- كفاية بقى قومي أنا رجلي مكسورة وادي الثانية هتتكسر من تقلك وانت مسنودة عليها كده .

ضحكت رغم عنها ولكزته في ذراعيه فتظاهر بالألم فضحكت ومسحت دموعها التي انسابت رغما عنها.

****

الفصل الخامس

"من لم يصنع السعادة لنفسه لن يصنعها له الآخرون"

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشر ليلا وهي تجلس منكمشة في مقعدها المفضل أمام التلفاز والذي تستطيع منه مراقبة مدخل البيت والمطبخ واضعة يدها تحت ذقنها ترمق الساعة بين الحين والآخر وتدير عينها إلى الباب . قرابة الساعة وهي تكرر فعلتها وتغالب نعاسها حتى ملت الانتظار فاتجهت بعينها ترقب (هالة) وهي تطعم ندى طبق "السيريلاك" الخاص بها.

- مصمصت شفاهها قائلة :طب كنتى اعمليلها شويه شوربه عدس ولا لسان عصفور أهو يغذيها أكثر من العك اللى بتاكليهولها ده ،جيل آخر زمن.

لم تجبها هالة وان كانت تتمنى ذلك بداخلها ،ودت لو تخبرها أنها لن تتحمل مثل ذلك الأكل في تلك السن وأنها ربما أصيبت بتلبك معوي لو أنها سمعت لكلامها ولكنها التزمت الصمت وهي تدعوا الله في سرها أن يمنحها الصبر .

أدارت رأسها ناظرة للساعة للمرة العشرين ثم عادت لتسألها

- هو حسن مقلكيش هيجيى امتى ،ده الوقت اتأخر اوى والجو برد .

- في اقتضاب أجابتها :لا ياماما مقاليش ،حسن مالهوش مواعيد ثابتة

- نظرت لها بضيق وتأفف :طيب متكلميه ،قوليله كفاية دى الساعه داخلة على واحدة والدنيا بتشتى بره .

- حاضر يا ماما هجيبلك الموبايل وكلميه انت هو مبيسمعش كلامى

تابعتها سامية بنظراتها وهي تتمتم لنفسها مستنكرة

- قال مبيسمعش كلامها قال!

أخذت ترمقها وهي تبتعد لتجلب الهاتف تتهادى في مشيتها داخل ذلك القميص البيتي الطويل والذي لا يكاد يخفي امتلاءة جسدها وقصر قامتها أخذت ترقب شعرها الذي لاينفك تفرده لتسرحه حتى تعقصه ثانيه في شكل "كحكة" تمل من رؤيتها لشد ملاصقتها لرأسها في رتابة.أخذت تتحسر بينها وبين نفسها على حظ ابنها الذي لم يختر من بين البنات سواها بالرغم من أنه لم يرها سوى مرة واحدة في بيتهم يوم ذهب لرؤيتها مع والديه، أخبرته وقتها أنها ليست "وحشة " لكن هناك بنات أحلى منها كثير يتمنوه ولكنه أصر عليها ،لم تعرف ما الذي جذبه إليها؟!

أخذت تتفرس في ملاحها وهي تتحدث إليه في الهاتف ،لم يكن قصرها مذموما، وجهها الأبيض المستدير وشعرها الأسود الفاحم كأن ما يميزها بينما كانت دائما تعيب عليها ضيق عينيها والتي كانت تحاول جاهدة إخفاءه بظلال العيون ورسمها بالكحل.كان ذلك في عهد مضى كانت خطيبته وقتها، بعد زواجها ببضعة أشهر كان ذلك الزمن البائد للأنوثة قد ولي بعد أن علمت بحملها والذي بدأت معه مراحل التدهور الأنثوي وانتفاخات الوجه والكفين يعقبها انتفاخ رائع ببطنها رغم أنها لم تتجاوز الشهر السادس يعقبه تغير في ملامحها والتي بشرتها وقتها أنها تحمل بصبي ولكن خاب ظنها بعد كشف السونار والذي حاولت تكذيبه حتى صدمتها بولادتها لإيناس. حاولت وقتها مداراه خيبتها وراء ذغرودة بدت مليئة بالغل أكثر منها فرحة بالمولود.لم يخف الأمر عليها التي تعلم رغبة حماتها في "دستة" أولاد من أجل أن تكون له عزوة، لم تصدق وقتها أنه سيفرح ببنته، حتى والدته استنكرت ذلك، لو استشاط غضبا أو حتى امتنع عن رؤية المولودة لم تكن لتتعجب فوالدها فعلها من قبل لكن أن يحتضنها بكل ذلك الحنان الأبوي والدفء والفرحة التي لمعت بعينيه كأن ما أدهشها وقربه أكثر إلى قلبها .

انتبهت من شرودها حين ناولتها هالة الهاتف

- عايز يكلمك ،بيقول جى في الطريق.

- ايوة ياحسن ،اه يا حبيبي اتعشيت الحمد الله .

- صمتت قليلا تستمع إليه فأجابته: لا مش عايزه حاجه بس تعالي متتأخرش، الجو برد عليك يابني ..ماشى تيجى بالسلامة.

ناولت الهاتف لهالة التي وضعته بجوارها في صمت بينما كانت تهدهد ندى لتنام، نظرت لها في حنان وطلبت منها أن تعطيها ريثما تعد العشاء لزوجها الذي اقتربت عودته.

أدار مفتاحه في الباب ليصدر صوتا مميزا سمعته في المطبخ فأسرعت تنهي ما بيدها حتى تعد له السفرة، ما ان دلف إلى الداخل ملقيا السلام حتى وجد البيت يغط في هدوء غريب لا يقطعه سوى صوت التلفاز الهادئ وبعض الحركة الطفيفة بالمطبخ والتي أخبرته بوجودها .ألقى نظرة ليرى أمه قد غفت في مكانها جالسة ويرى الصغيرة على يديها فابتسم واقترب في هدوء يحمل عنها الطفلة ففتحت عينيها لتجده أمامها ،فردت ساقيها الذين أصابها التنميل من جلستها تلك

-حمد الله على السلامة يا بني .

- نظر إليها معاتبا :يا ماما مدخلتيش نمتى ليه بدل مانتى تعبانه كده .

- يابنى كنت مستنية اطمن علىك أنك جيت واقعد شويه معاك

خرجت من المطبخ وهي تجفف يديها في المنشفة وتخبره أن يغير ثيابه ربما تعد الطاولة، اتجه إلى غرفته حاملا ندى بيده ووضعها بسريرها وغير ثيابه واتجه إلى السفرة.

أنهمك في تناول طعامه وهو يخبرهم عن العمليات التي أجراها ثم ما لبث أن نظر إلى هالة محدثا إياها

- تعرفي من جه انهاردا يزورنى، خالد جانى العيادة بس كنت هنا وقتها، والله احنا مقصرين معاهم ،ايه رأيك نزورهم آخر الأسبوع ؟.

تهللت أساريرها وهي ترى ذلك البصيص من الأمل لكسر وحدتها فقالت في حماسة

- ياريت ياحسن لو أنت فاضي أكلم ليلى واتفق معاهم علشاان نزورهم

تدخلت سامية موجهه كلامها لخالد في نبرة مستعطفة

- وأنا يابنى هتسبونى هنا في البيت لوحدي ؟!.

رفع خالد عينيه إلى هالة التي قرأ الامتعاض على وجهها ثم نقل نظرة إلى أمه

-براحتك يا ماما لو عايزانى اوديكى عند نجلاء اوك .

لوت جانب فمها في اعتراض واضح

- وهي أختك فاضية من جوزها كل يوم والتاني عنده ضيوف وعزايم ،دى ياحبه عينى مبتفوقش لنفسها علشان تفضالى .

نظرت هالة له في نفاذ صبر وهي تعلم أن حيلتها الواهية تلك لا لشيء سوى لتصاحبهم في زيارتهم ،كالمغلوب على أمره أجابها :خلاص يا ماما تعالى معانا بس هالة تتفق معاهم .

شعرت سامية بالانتصار وهي تنظر إلى هالة في تشفي

- خلاص ياهالة ابقى كلمى ليلى بقى وقوليلها انى جايه معاكو وبالمره اباركلها ،ده أنا مباركلتهاش من يوم متجوزت.

لم تنبس هالة بكلمه وقامت لترفع الأطباق إلى المطبخ ،اتجه إلى غرفه النوم بعد أن حى والدته والتي تظاهرت أيضا بذهابها لغرفتها ،جلست هالة إلى جواره : وبعدين ياحسن اتت ناوى فعلا تاخدها معانا ؟.

- في ضيق أجابها: طبعا أنا وعدتها ،وبعدين اعمل ايه اسيبها في البيت لوحدها يعني؟!!

- أجابته في حده: بس إحنا كده مش هنعرف ناخد راحتنا وخصوصا انت عارف مامتك مش بيعجبها حاجه وأنا من ساعه ليلى متجوزت مرحتلهاش غير مرتين

- أدار لها ظهره منهيا حديثه: خلاص ياهالة متكبريش الموضوع هم ساعتين زمن ويعدوا وخلاص طفي النور بقى عشان عايز أنام .

أطفأت النور وألقت بجسدها إلى جواره في ضيق وحاولت النوم .

خطت برفق مبتعدة عن باب الحجرة الخاصة بهما والتي كانت تلصق به أذنها منذ دقائق ،أخذت تحدث نفسها في حجرتها ،إذن فهي لا تريدها أن تذهب معهما إلى أختها ... انها تكرهها إذن،إلى هذا الحد تعتبرها ثقيلة على قلبها.وابنها ضعيف الشخصية كيف يسمح لها أن تتحدث بهذا الشكل عن أمه ،كيف يكون بتلك السلبية بل يراضيها كي لا تغضب ويحايلها لتقبل الأمر !!، لماذا لا يصفعها كي ترتدع وتعرف أن الله حق .بدت غاضبة لدرجة فكرت أن تطرق باب غرفتهما وتنتزعها من شعرها تلك المرأة التي سيطرت على ابنها وجعلته كخاتم في أصابعها، تحاول أن تكرهه في أمه ولكنها تمالكت نفسها فهو لن يغفر لها أبدا أنها كانت تتصنت عليهما وابتلعت حزنها واعتزمت في نفسها شيئا .

شهقت فزعة حين سمعت بالحادث وسألتها كيف ومتى حدث ذلك كانت ،" سامية " إلى جوارها يأكلها الفضول وتستبق الكلمات على لسانها لتعرف عما تتحدثان بينما هالة تخبرها أنهما لم يسمعا بشيء وان حسن كان قد انتوى زيارتهم آخر الأسبوع وطلب منها أن تتفق معها.

رحبت ليلى بهم بينما ظلت هالة تقسم أنهما لم يسمعوا شيئا وأنها حتى لم تحدث أمها منذ مدة فأجابتها ليلى

- يابنتى مصدقاكى والحمد الله قدر ولطف .

- صمتت قليلا ثم أجابتها : اه كويس الحمد لله احنا طلعنا من المستشفي في نفس اليوم هو بس رجله اتكسرت وفي شويه رضوض كده بس هيبقى أحسن ان شاء الله.

أخبرتها هالة أنها لن تنتظر نهاية الأسبوع لتزورهما ثم سألتها ان كانت دينا قد علمت بالأمر فأخبرتها أنها كانت معها حين ذهبت إليه ثم أردفت:وكمان شريف عرف وهييجي مع بثينة .

- سألتها باستنكار: شريف؟! والله كويس انه لسه عايش ، فين أراضيه دلوقتى ، ده الواحد بيسمع عنه بالصدفة .

- كان مسافر ولسه راجع وأول ما وصل طنط بثينة قالتله ع اللى حصل .

- كويس والله فيه الخير، المهم هو ناوي يجيلك امتى انت عارفه زحمة العيال مش عايزة اجى وهم موجودين ونقلب دماغكم وخالد عيان .

- لا يابنتى تعالوا في أي وقت عادى، هو أصلا مقالش جى امتى .

ما ان وضعت السماعة حتى وجدت حماتها خلفها تستمع إليها في انصات شديد وانهالت عليها بالأسئلة عن تفاصيل المكالمة والتي لم يفتها منها سوى القليل من كلمات ليلى التي تاهت عبر الأسلاك .

- حكت لها ما حدث فسألتها: وانت مكنتيش عايزة تروحى ليه وشريف هناك؟

زفرت في حده دون أن تجيبها فالبرغم من أنها لم تخبرها شيئا عن زيارة بثينة وشريف إلا أنها فهمت ذلك جيدا من الحوار وكان فضولها ذلك أكثر شيء يضايق هالة ويدفعها للجنون أحيانا .

تركتها واتجهت للمطبخ لتنهي أعمالها بينما مصمصت الأخرى شفتيها قائلة لنفسها : والله لأقعد على قلبك، دي شكلها هتحلو اوى خصوصا لو كانت بثينة هناك .

****

الفصل السادس

"الحب يلهينا عن الأخطاء ، أما الكراهية فتعمينا عن الحقائق"

إيبا إزرا أغلقت الهاتف واتجهت إلى حيث خالد ، ابتسمت وهي تخبره أن هالة ستأتي لزيارتهم ومعها الأولاد فأخبرها أنه اعتزم دعوتهم في نهاية الأسبوع لكنه لم يجد حسن بعيادته .

جلست إلى جواره تحكى له عن تفاصيل المكالمة ثم أطلقت تنهيدة قبل تخبره عن "سامية"

- دى مطلعه عنيها، خانقاها في كل حاجه وبتنتقد كل حاجه بتعملها.

- ضحك قائلا: يا شيخه حرام على كى دى ست كبيره وتعبانه .

- بجدية أجابته :بس بجد بتخنق هالة دي حتى مش عارفه تكلمني براحتها عشان قاعدة جمبها ولا بتعرف تروح لماما بسببها أصل هتروح ازاي وتسيبها لوحدها، دى تقلب الدنيا .

- ياستي تستحملها ما هي ام جوزها برضه وليها حق عليها .

تنهدت ليلى في استسلام ثم تركته لتعد له الطعام وتغسل الأطباق بالمطبخ .

بعد يومين بينما كانت ترتب حجره المعيشة سمعت جرس الباب فهرعت لترتدي إسدالها لتفتح الباب قبل أن يأتيها صوت خالد منبها أن تنظر من العين السحرية ففعلت، ابتسمت حين رأت دينا أمامها ،احتضنتها في امتنان لمجيئها .. دخلت ووضعت علبة الشوكولاة الفاخرة التي أحضرتها معها وسألتها عن خالد وصحته أشارت لها ليلى بالدخول قائلة :والله أحسن بس طبعا مافيش حركةعشان الجبس . دخلت الحجرة وسلمت عليه وسألته عن حاله فأجابها أنه بخير ،أخذت تتجاذب معه أطراف الحديث وتسأله عن عمله وان كانت لا تفقه منه شيئا، تركتها ليلى لتعد لها كوب النسكافية الخاص الذي تعشقه وبجواره وضعت بعض قطع الكعك الذي تعده في المنزل بجدارة . عندما عادت تنامى إلى سمعها صوت الجرس ثانية فوضعت الصنية وأعادت الحجاب الملتصق بالإسدال على رأسها قبل أن تصطدم بدينا التي كانت سبقتها لفتح الباب .نظرت من العين فرأته وانتابها بعض الضيق فتراجعت عن الباب ونظرت إلى ليلى التي تعجبت من ضيقها المفاجئ فاتجهت بدورها للعين

السحرية حتى رأته فانزلقت ابتسامه على شفتيها وهي تفتح الباب وبمجرد أن رأته أمامها حتى هتفت شريف

- ليلي ازيك

أقبل نحوها واحتضنها بينما كانت عيناه ترمقان دينا التي تقف خلفها في برود بادلته بنظرة جافة من عينيها .

صافحت بثينة وانحنت لتقبلها قبل أن تسمح لهم بالدخول يدفعها شريف إلى الداخل. حاول خالد الوقوف رغم كسره ليرحب بشريف الذي أقسم عليه أن يستريح وألا يتكبد عناء الترحاب ثم قالت بثينة

- ألف سلامه عليك يا بني بعد الشر قدر ولطف أنا والله أول مسمعت استنيت شريف عشان يجيبنى على طول

- ابتسم خالد :الله يسلمك وفيكى الخير بس مكانش في داعى تتعبى كفايه اتصالك بالتليفون وسؤالك كل يوم .

- ابتسمت بدورها في حنان : انت عارف غلاوة ليلى عندي وغلاتك انت كمان التفتت إلى دينا التي كانت تجلس بعيد عن مجلسهما وفي ابتسامة ودودة سألتها عن حالها فأجابتها أنها بخير ولم تزد ، تعجبت وليلى من ذلك الفتور الذي اكتنف الغرفة مع قدوم شريف .

تعرف مدى توتر العلاقة بينه وبين دينا وذلك الفتور الدائم بينهما منذ صغره لكن ما لم تفهمه استمرار ذلك الجفاء رغم حنانه معها .عادت بثينة تحكى عن الحادث وتتساءل كيف حدث بينما اخذ خالد يصف لها كيف انقلبت السيارة ولولا ستر الله لكان قد احترق داخلها .

كانت تستمع إليه وتردد كلمه واحدة (لا حول ولا قوة إلا بالله قدر لطف)

استمر الحديث بينه وبين بثينة قرابة الثلث ساعة دون أن يقاطعها شريف بكلمه ، ظل صمته يحوطه لا يقطع سكوته سوى حركة يديه السريعة وعيناه المعلقتان على شاشة هاتفه قبل أن يدق جرس الباب للمرة الثالثة فكادت ليلى تضحك للمصادفة. هرعت تفتح الباب لتستقبل هالة والتي لو علمت بوجود بثينة لما كانت قد أتت اليوم،استقبلتها بعناق حار يتناسب مع بعد المسافة بينهما والاشتياق ثم ما لبثت أن التفتت لتلك العربة الصغيرة والتي تمكث بها ندى بوجهها البريء وعينيها المغمضتين.

حملتها في حنان وأخذت تقبلها وهي تقول

- ما شاء الله كبرت واحلوت اوى ،ابتسمت هالة: البنت بميت وش .

فجأة قطع حديثهما صوت سامية وهي تحاول إزاحة هالة من أمامها وهي تلهث من صعود السلم وما كادت تصل لباب البيت حتى هوت على أقرب مقعد بجوار الباب ويكاد نفسها ينقطع ،أعطت ليلى البنت لهالة واتجهت إليها تصافحها وتعتذر لها عن طول السلم فأجابتها الأخرى بأنفاسها اللاهثة

- ده سلم يقطع الحيل كتر خيركو والله الواحد ميفكر يجيلكوا قبل سنتين على الأقل

ابتسمت ليلى وهي تطلب منها أن تأتي معها إلى الداخل لكنها أخبرتها أنها تريد كوب ماء فأحضرته لها فاحتست منه جرعة واحدة .

- يلا ياماما كفاية واقفة ع الباب يلا ندخل .

التفتت إلى هالة تجر قدميها بصعوبة حتى دخلا إلى الحجرة وخلفهم حسن الذي تأخر قليلا ريثما صف سيارته وكان يحمل إيناس والتي ما كادت ترى ليلى حتى رمت نفسها عليها وهي تهتف بصوتها الطفولي

- خالتو ليلى .

- ضحكت ليلى وهي تلقفها بين يديها وتقبلها : ايه العسل ده ، حبيبة خالتو أنوشه ازيك عامله ايه ياسكر ؟

- أجابتها بنفس الطريقة الطفولية المحببة: أنا كويسة ومش بضرب ندى خالص وكمان بشرب اللبن وباكل كل الاكل بتاعى .

- ضحكت من طريقتها و ضمتها إلى حضنها أكثر : شاطرة يانوشة شاطرة

ابتسمت لحسن وهي تحمل إيناس صافحته فقال لها

- طبعا من لقى حبايبه!

- ضحكت قائلة: طبعا كله إلا إيناس اتفضل من هنا

تركته يتقدمها ولحقت به ثم أعطت إيناس لهالة واستأذنتهم لتعد لهم العصير .

اتجهت إلى المطبخ فلحقت بها كل من دينا وهالة .

- التفتت ليلي إلي هالة قائلة :أخبارك ايه ياهالة؟ وحشانى والله مكنتش اعرف انك جايه انهاردا كنت عملت جيلى لايناس او مهلبية .

- زفرت بضيق قائلة : حماتى ياستى اصرت تيجى انهاردا واتصلت بحسن تقوله وبالصدفة اكتشفت أنها اتفقت مع بثينة انها تيجى انهاردا برضه، مش عارفه هي عايزة ايه ؟!.

- نظرت إليها دينا متسائلة بتعجب :وهي تعرف رقم بثينة منين ؟!

- أطرقت هالة مجيبة: مانا من خيبتى مسجله كل الارقام عندى في نوته جنب التليفون.

التفتت ليلى إلى دينا وناولتها طبق كعك لتتناوله بجانب النسكافية ثم نظرت إلى هالة سائلة

- طيب وهو ايه العلاقه بين بثينة وحماتك ؟

- رفعت هالة كتفيها ولوت شفتيها السفلى وهي تقول :مش عارفة ،بس حماتي بتحب تحكى وتنبش ما انت عارفاها هتقعد تقرر فيها عشان تعرف القديم كله .

- وضعت دينا كوب النسكافية بحدة حتى كاد ينكسر وهي تقول بحدة لهالة : وهي مالها يهمها في ايه يعنى تعرف القديم ، احنا اصلا مالناش علاقة بشريف ولا بخالته يبقى تنبش ليه ؟.

- نظرت إليها ليلى محاولة تهدئة الوضع : ايه ياجماعة في ايه؟، خلاص الموضوع مش مستاهل وبعدين تلاقيهم ستات كبار عشان كده بيحبوا يحكوا مع بعض فاضيين ومش وراهم حاجه ويملوا من قاعدة البيت مش اكتر يعنى .

لم تعلق أي منها وساد صمت متوتر بينهما قطعه صوت سامية منادية عليها له تخبرها بأن ندى استيقظت وتبكي ،تركتهما هالة في ضيق واتجهت للغرفة التي يجلسون بها وحملت الطفلة وقبل أن تخرج بها تشبثت يها إيناس :عايزه اروح لخالتوا هي فين ياماما .

ابتسمت لها وأخذتها حيث المطبخ وأعطت هالة الطفلة لدينا التي لم تكن تعرف كيف تحملها وشعرت بالخوف في البداية من أن تسقط منها فضحكت قائلة

- يا بنتي شيليها كده ،انت خايفه ليه؟، بكره نفرح فيكى ونتفرج عليكي وأنت بتشدى في شعرك .

- فقالت ليلى دون ان تنظر اليهما :يلا يادينا يادوب تتدربي كلها كام شهر ويشرف البيبى.

لم تر ليلى تلك النظرة الحادة في عيني دينا ولا التعجب الذي على بدا وجه هالة فسألت مستفسرة

-انت حامل يا دينا ؟

- أجابتها بارتباك :اه لسه عارفه من كام يوم يادوب لسه مكملتش شهرين

سألتها ليلى عن سامح ان كانت أخبرته أم لا، كانت تخشى ألا تخبره نكاية فيه بعد المشاكل التي كانت بينهما.

أجابتها دينا وهي تحاول مداراة كذبها

- أيوه قلتله وكان هيطير من الفرح، ده مكانش مصدق

- ربتت هالة على ذراعها مبتسمة قائلة :ربنا يتملك على خير وخلى بالك من نفسك خصوصا الكام شهر الاولانين دول ويارت تبعدوا عن بعض يكون أحسن .

اتبعت كلماتها بلكزه في ذراعها فابتسمت دينا في خجل .

ثم وجهت هالة حديثها إلى ليلى

- وعقبا لك ياليلى ولا هتقوليلى انكوا منظمين ومش عاوزين عيال دلوقتى زى اختك مكانت عامله؟!

- لا مش منظمين ولا حاجة احنا سايبينها كده على ربنا وبعدين احنا يادوب لينا كام شهر ، براحتنا يعنى .

خرجت ليلى تحمل الكاسات وتركت هالة تعد ببرونة حليب لندى وظلت دينا معها وبدا ضيق يعلو ملامحها فسألتها هالة عن السبب فأجبتها .

- لا ولا حاجه بس مش عاوزة اطلع بره .

- عشان شريف موجود؟! .

- أيوه ،ثم تنهدت مكملة :انت عارفة انه من فتره طلب من سامح انه يصممله الشركة الجديدة بتاعته ويشوفله مهندس ديكور كمان عشان الديزاين وسامح قالى ان

الشركة مكلفة كتير وعاملها على نظام عالمي دى حتى أخدت توكيل خاص بأجهزة الكمبيوتر .

- أجابتها هالة: ربنا يوفقه هو من صغره مدمن كمبيوتر وبرامج ،ده مكانش يقوم من على النت .

في انفعال أجابتها دينا :اه بس متنكريش ان ده كله من خير أبونا، ابونا اللى كتب كل حاجه باسمه ومسبلناش حاجة من ورثه ،سابنا احنا البنات من غير قرش يسترنا ولا يجهزنا وكتب كل حاجه باسمه طبعا ما هو الولد الوحيد .

في استسلام أجابتها هالة :بس يا دينا ما هو كان دايما يقولنا انها فلوس أمه اللى ماتت وهو صغير وانه ده حقه وان ....

قاطعتها دينا بعصبية : فلوس امه ايه ،انت بتصدقى الكلام ده ،انت ناسيه ابوكى كان شغال ايه وبيقبض كام ،انت هبلة! ده لولا أمك والفلوس اللى كانت بتحوشها من وراه كنا اتشردنا، انت ناسيه احنا اتجهزنا ازاي ،أبوكى كان شغال في مصنع السكر عارفة ده معناه ايه؟، يعنى مرتبه كان يعيشنا مرتاحين مش العيشة اللى كنا عايشينها كل حاجة للمحروس ابنه وكإن احنا مش بناته ولا خلفنا .

_ ايوه عندك حق بس انت عارفه ابوكى كان بيضيع فلوسه كلها على ...

قطعت كلامها حين التفتت فجأة لإيناس التي توقفت عن شرب العصير ونظرت في اهتمام وتركيز، ابتلعت كلماتها ورسمت ابتسامة باهتة على شفتيها ونظرت لإيناس قائلة: مش بتشربى العصير بتاعك ليه ؟يلا خلصيه عشان تروحى لخالتو.

نظرت إيناس إليها وهي تسأل: هي خالتو دينا زعلانه ليه ؟،هو مين شريف اللى مزعلها ده وخد الفلوس ؟

بهتت دينا فلم تكن تعلم ما للأطفال من قدرات على الفهم ونقل الأحاديث، نظرت إلى هالة بفزع والتي بدورها اقتربت من إيناس تلاطفها قائلة: عيب يأنوشه الكلام اوعى تقوليله لحد لحسن ازعل منك ،ده كلام كبار ياحبيبتى .

سألتها إيناس ببراءة: ولا حتى لتيته، اصل تيته قالتلى اقولها كل حاجه وهي هتجيبلى الحصان الهزاز زى اللى في الملاهي .

زفرت هالة في حدة وهي تضرب كفا بكف قائلة: ادى جدتها وعمايلها عشان تصدقونى

بدا الغضب على وجه دينا قائلة :دى وليه.....

ثم بلعت كلمتها خشيه إيناس ثم ما لبثت أن قالت لهالة:وبعدين في الحالة دى ده غلب والله كتر خيرك عليها .

أنزلت هالة إيناس من على رخامة المطبخ وطلبت منها أن تخرج إلى والدها.

ساد صمت مشحون بينهما حتى جاءت ليلى متعجبة منهما :انتوا قاعدين هنا ليه اطلعوا تعالو اقعدوا معانا ولا عجباكو قاعده المطبخ وخنقته .

قطبت دينا مابين حاجبيها بضيق قائلة :لا ياليلى أنا ماشية وابقى اجيلك وقت تانى .

نظرت لها ليلى في دهشة :في ايه يابنتى انتى لحقتى تقعدى طاب اطلعى اشربى العصير وبعدين امشى

_لا يا ليلى معلش سبينى دلوقتى أنا مضايقة وعاوزة امشى ،ثم تقدمتها نحو الغرفة ولحقت بها ليلى ،تناولت حقيبتها قائلة: معلش ياجماعة بعد اذنكو أنا لازم امشى .

نظر لها خالد متعجبا :انت لسه مقعدتيش، مستعجلة ليه استنى شوية

بدا الضيق على وجه دينا ولم تعلق فاضطرت ليلى أن تجيبه :أصل سامح كلمها ووراهم مشوار ضروري .

أومأت دينا مؤكدة كلامها ثم اتجهت صوب الباب وقبل أن ترحل التفتت عيناها بعين شريف الذي نطقت نظراته بالكره المتبادل الخافِ والذي لم يخف عن سامية التي كانت تراقبهما في ذكاء .

ودعتها ليلى عند باب الشقة دون أن تعرف سببا حقيقيا وراء رحيلها لكنها لم ترد مضايقتها أكثر .

أغلقت ليلى الباب ثم توجهت للمطبخ حيث كانت هالة فوجدتها ساهمة ترضع ندى قبل أن تتحدث ليلى سألتها هالة عن أحوالها كمحاوله لتغيير مجري الحديث، أجابتها ليلي وهي تحاول لثبر أغوارها سائلة :هي دينا مشيت ليه ايه اللى حصل انتو شديتو مع بعض ولا عشان شريف بره ؟.

ترددت هالة بما تجيب لكنها أطرقت في أسى وأخبرتها أنها رحلت بسبب شريف .

عقدت ليلى ذراعيها أمام صدرها وسألت بحدة :وبعدين

_ولا حاجة انت عارفة دينا وموضوع الورث ده عاملها أزمه ومش قادرة تنسى ان بابا ساب كل حاجه لشريف .

أجابتها ليلى في ثقة :طيب ما احنا عارفين انها فلوس امه والموضوع ده من زمان وعدى عليه زمن اشمعنى دلوقتى ؟!.

أجابتها هالة في استنكار :يعنى انت ياليلى مصدقة ،أنا برضه بفكر زى دينا ا،ه يمكن الموضوع مش مأثر فينا زيها بس برضه يضايق، لما نبقى احنا مكناش لاقين فلوس نعيش بيها والبيه من وهو عيل صغير كل حاجه باسمه واحنا ملناش حق نبقى لازم نكرهه .

في حدة أجابتها ليلى: هالة بلاش نقلب في القديم كل حاجة باسمه عشان دى تبع النيابة الحزبية ،حتى ابوكى ماكانلوش حق التصرف فيها ،مش ذنبه أن امه كانت غنية واحنا ابونا كان محلتهوش حاجة ومسابلناش حاجة

_بس يا ليلى بابا كان .....

قطع حديثها صوت حسن الذي تعالى مناديا عليها فأسرعت إليه فوجدته مستعدا للرحيل ناظرا إليها بعتاب لأنها تركته وأمه بمفردهما ولكن حماتها لم تتوان عن توبيخها وإسماعها بعض كلمات التوبيخ ،حاولت التبرير لتأخرها بإعدادها رضاعة لندى التي غفت فوق ذراعيها واعتذرت ليلي أيضا بانشغالها معها وبالأطفال ثم استأذنوا للرحيل .

لم يبق سوى شريف وبثينة ،جلست ليلى وقد رفعت عنها غطاء الشعر والتفتت لبثينة الجالسة بجوارها تسألها عن أحوالها فأخبرتها أنها بخير ثم نظرت لشريف الذي لم ينطق بحرف طوال جلسته قائلة : ايه يا شريف فينك الواحد مبقاش بيشوفك غير في المناسبات دى يمكن المرة الثانية ولا الثالثة اللى تزورنى فيها بعد جوازي. ابتسم ابتسامة باهتة وهو ينظر إلى خالد معلش مشاغل وبعدين البركة في خالد أنا سايبك امانة في ايديه ولا هو مقصر في حاجة .

بدت نظرة غضب على وجه خالد فأسرعت ترد على شريف قبل أن ينطق هو: لا طبعا خالد مش ممكن يقصر معايا ده شايلنى جوه عنيه .

ثم ابتسمت واقتربت منه ممسكة بيده في حب محاولة امتصاص غضبه ثم نظرت لشريف بلوم ،قالت بثينة محاولة احتواء ذلك التوتر الساري في الجو :ربنا يخلهولك يابنتى ويديم الحب بينكو ويقومه بالسلامة ده زينة الرجال .

نظر إليها خالد ممتنا :ربنا يخليكى ياحجه .

عادت تنظر لشريف في عتاب وهي تحثه على الرحيل كي لا يتمادى في حديثه:مش يلا بينا ياشريف كفاية كده يادوب نروح

سألتها ليلى بجزع :ليه اديكو قاعدين شوية أنا والله ما لحقت اشبع منكم.

تحدث خالد والذي طلت نظرة شرسة في عينيه يرمق بها شريف : سبيهم يمكن الأستاذ وراه مشاغل مش عايزين نعطله وشكرا على الزيارة .

بدت نظرة خبيثة في عيني شريف الزرقاء وارتسمت بسمة متهكمة على إحدى جانبي فمه قبل أن ينهض ويعدل من وضع سترته وفي لا مبالاة أجاب خالد :فعلا لازم تشكرني لولا ليلى مكنتش تحلم انى أزورك مش كده!! .

تصاعدت الدماء الساخنة إلى وجنتي ليلى وبدا الضيق واضحا على محياها وهي لا تدري سببا لتلك الحرب الضروس بينهما .

غلت الدماء بعروق خالد والذي تمنى لو لم تكن ساقه مكسورة ليعطى ذلك التافه المغرور درسا لا ينساه وقبل أن يستشيط غضبه ويرد عليه كانت بثينة تمتص الموقف :معلش ياخالد يابنى هو شريف كده لما بيكون في حاجة شغلا مبيعرفش هو بيقول ايه ،سامحنا يا بني امسحها فيا دى .

ذم خالد شفتيه في قوة وغضب ولم يجد ما يقوله سوى :العفو ياحجة

أمسكت بثينة والتي اكتنفها الحنق والغضب يد شريف تحثه على المغادرة فأمسك بيد الكرسي دافعا إياه حتى وصل إلى باب الشقة وقبل أن يرحل نظر إلى ليلى في حب وأخرج من معطفه مبلغا ماليا معطيها إياه فنظرت إليه بغضب :في ايه ياشريف ايه التصرفات دى وليه الكلام اللى قلته ده .

ثم بنفاذ صبر نظرت إلى يده الممدودة دافعه إياها بعيدا قائلة :خد فلوسك مش عايزة حاجة .

في هدوء دون أن يعيد يده الممدودة قال:خديهم يا ليلى أنا محبتش أجيبلك حاجه وأنا جاي قلت الفلوس أحسن .

نظرت إليه شرزا وغضبها يتضاعف ثم قالت وهي تضغط على كلماتها بحدة: قلتلك خد فلوسك مش محتاجاها وشكرا ياسيدى كفاية اللى عملته

نظرت إليه بثينة بضيق :يلا ياشريف كفاية بقى .

ثم حولت نظرها إلى ليلى معتذرة :معلش يابنتى والله ماعارفة ماله انهاردا ،رحلا وأغلقت الباب خلفهما وهي تتنهد محاولة زفر الضيق الذي اشتعل بداخلها وببأس حاولت تناسى ما حدث واتجهت صوب الحجرة حيث يمكث خالد .

****

الفصل السابع

"ليس ثمة موتي غير أولئك الذين نواريهم في مقبرة الذاكرة"

ضغطت الفرامل لتتوقف وفي نفاذ صبر أخذت تنظر لتلك الإشارة الحمراء أمامها وهي تضع أحد يدها على المقود والأخرى تسندها على حافة شباك السيارة وهي تزفر في ضيق ،شد ما يؤلمها هو رؤيته ،مجرد رؤيته تشعل فيها تلك الذكريات القديمة وتعيد تلك المرارة إلى روحها وقلبها، لا تعلم إلى أي مدى كرهته كما لم تعرف له ذنبا في هذا الكره .

كان وقتها طفلا لا يتجاوز البضعة أعوام حين وفاه والده وحيدا بعد يتمه المبكر وفقده أمه من قبل أن يتجاوز العامين .

تذكر جيدا ذلك اليوم الذي دخل عليه المنزل حاملا إياه قطعة لحم صغيرة بين يديه وأعطاه لأمها التي نظرت إليه مستغربة ومستنكرة قبل أن يخبرها أن والدته توفت وأنه مسئوليتها من اليوم وعليها أن تربيه وكأنه ابنها ،بإحساس الأنثى الطفولي أحبته كدميتها التي تحتضنها كل ليلة لكن ما لبثت أن رأت دموع القهر بأعين والدتها وهي تحمله، لم يعر اهتماما لدموعها وإحساسها بالقهر ،هو الذي هجرها منذ ما يقرب من الثلاثة أعوام وهو عمر زواجه بتلك الأخرى التي أنجبت له الولد والأن عاد ببساطة ليعطيه لها لتربيه بعد أن فقد أمه .

بأي قلب ستحبه وبأي روح سترعاه ،روحها التي أذلها البعد وقلبها الذي مزقه الحرمان ،هي الوحيدة التي كانت تشعر بمعاناة أمها ربما لأنها أكبرهم ،كانت واعية أكثر مما اعتقدت هي بنفسها ،واعية بالقدر الذي جعلها تتمني موته كي لا يمتد في طغيانه وإهانته أكثر، تراها وهي تجلس بغرفتها بالساعات تندب حظها العاثر الذي جعل ذريتها كلها بنات ... تذكر وعيده لها خاصه بحملها الأخير وهو يهددها إن جاءته بأنثى ثالثة سيطلقها ويتزوج أخرى غيرها "هغير العتبة النجسة دى وأشوف عتبة غيرها عشان ربنا يرزقني بالولد " ،تذكرت كلماته جيدا وان لم تكن تعي معناها أنذاك، كل ما أدركته هو ضيق ذات اليد ومعالم الأسى التي حفرت بوجه

أمها وذلك الصمت المسجي بالأنات الذي عشش بين أركان منزلهم ومحاولاتها الإجهاض بعد أن عرفت أنها ستهبه أنثي ثالثة ليبر بتهديده ووعيده لها.

صعبا عليها الآن أن تتناسى كل ذلك وتعامله هو سبب معاناتها ومعاناة أمها وكأن شيء لم يكن وكأن والدها لم يكفيه ما كان منه حتى يزيده بأن يضع كل أملاكه باسمه ولا يحق لأحد الانتفاع بها سواه.

زفرت بحدة ونزعت نظارتها الشمسية والتي لم تكن بحاجة لها في مثل ذلك الوقت لتسمح تلك الدمعة الهاربة من عينيها في غفلة منها .

التفتت لتجد تغير لون الإشارة إلى الأخضر فانطلقت وهي تحاول أن تنسى آلامها تلك وعدم التفكير فيها ولكن ذلك لم يمح تلك المرارة التي عادت لروحها مع رؤيته .

أوقف سيارته أمام البيت دون أن يهبط منه فنظرت إليه متسائلة ومتعجبة فأجابها بأنه مشغول وأنه لديه العديد من الكشوفات التي عليه أن يقوم بها .

امتعضت ولكنها لم تعلق وحملت ندى على كتفها وأمسكت إيناس بيديها والتي لم تكف عن الثرثرة كعادة الأطفال .

انتظرت حتى هبطت حماتها من السيارة وتوجهوا إلى باب العمارة .

في انتظار المصعد بدأت حرب حماتها والتي لم تغفل عن شيء من تفاصيل الزيارة وأول ما بدأت به هو سؤالها عن سبب رحيل دينا المفاجئ وعدم مكوثها معهم . زفرت هالة في ضيق وهي تلعن الحظ العاثر الذي ابتلاها بتلك الحماة وقررت التدرع بصمتها كسلاح أمثل في تلك الحرب الكلامية وبهذا ستوقف هي عن أسئلتها التي بدأت للتو دون أن يلوح موعد لنهايتها .

في أقل من ثانية كانت تردد نفس السؤال منتظره إجابة ترضى فضولها ولكن أمام صمت هالة كانت تفترض الفروض والتي لم تبعد كثيرا عن الحقيقة فهي تعلم جيدا مدى توتر العلاقة بين دينا وأخيها وهو شيء لمحته منذ دخلت بيتهم للمرة الأولى .

في المصعد كان السؤال التالي والذي صدمت منه هالة ولم تستطيع المراوغة: هي دينا بطلت تلبس كعب ليه هي حامل مش كده؟!، أصل شكلها دبلت قوى ووشها مصفر.

بهتت هالة فأكملت هي: شكلها كده يدوب شهرين أصل حرصها ده ومشيتها اللى بخوف، دى حتى إيناس مرضتش تشيلها أكيد في الأول.

بين دهشة هالة قرأت هي صحة ظنها فابتسمت لنفسها فخرا بذكائها ثم عادت تسألها: هي ليلى بهدلت نفسها كده ليه ؟،برضه ناس جايلها تقوم تقابلهم بإسدال طيب حتى تلبس عباية ولا تحطلها حاجه على وشها دى لسه عروسة، قوليلها تهتم بنفسها لحسن جوزها يبص لغيرها أصل هي الستات كده بعد مايتجوزا اكنهم ضمنوا الراجل خلاص يبطلوا يتزوقوا ويبهدلوا نفسهم ثم مصمصت شفتيها وهي ترمقها بطرف نظرها مكملة: تكونيش فاكره الراجل بيتعمى بعد الجواز لا ده عينه بتفتح أكثر وان ملقاش اللى يعجبه جوه بيبص لبره ومحدش بيلومه كمان حتى ولو عنده عيال ،خليها تبص لدينا وتتعلم منها.

في غيظ ونفاذ صبر كانت هالة ترقب الأرقام المتصاعدة أمامها مستدعية كل كوامن الصمت بداخلها مستجدية صبر عمره آلاف السنين لتصبر على كلام حماتها الذي بدأ ينهش بأعصابها .

أخذت تستبق الثواني المتبقية حتى تصل للطابق الخاص بشقتها لتدلف إليها وتهرب من محاصرتها لها ورسائلها المسمومة التي تبثها إليها .

تعلم جيدا طريقتها في الكيد والنقد، دائما تحسسها أنها امرأة غير مكتملة ربما بنظرة او بكلمة أو بإشارة من يدها تشعرها أنها مجرد سد خانة وأنها لا تتجاوز كونها مدبرة منزل .

الشيء الوحيد الذي كان يصبر هالة عليها وعلى سلوكها هو حسن وسعه صدره واستماعه لها ومحاولة احتوائه لها، لا تنكر أنها تشعر كثيرا بسلبيته خاصة مع أمه ولكن تعود لتحمد الله أنه لا يميل للاستماع إليها فيزداد الطينة بله ،تعشق نظرة الرضا التي تشع من عينيه، الرضا بكل ما هو مقسوم .

ذلك اليوم الذي اعتبرته حماتها مندبة لأنه سيرزق بالأنثى الثانية .

لم يكن منه سوى أن سجد لله شاكرا وبتأثر قال لأمه الذي بدا الأسى على ملامحها:خيركم من بشر بالأنثى وأنا ربنا بعتلي بشرتين ازاي مفرحش!!

لا يعلم كم علا بنظرها بعد تلك الكلمات هي التي خاضت تلك الحرب سابقا خاصة أنها الأنثى الثانية واكتمل الأمر حين أتت ليلي وقتها عرفت كيف يكون الكره وكيف يكون الانكسار.

انكسار والدتها بعدما وضعت ليلي ورحل عنها زوجها واعدا إياها ب"ضرة"تنجب له الولد فشعرت وقتها أنها كائن دوني لا قيمة له ،لم تكن قد تجاوزت الأربع سنوات

حين ضمت ليلي إليها باكية تتفرس ملامحها محاولة اكتشاف ذلك الشيء الذي أغضب والدها وجعله يرحل دون عودة .

انتفضت حين رأت حماتها تجتذبها من ذراعها تخرجها من المصعد قبل أن يهبط بها ثانية ،فتحت باب الشقة فانطلقت إيناس تصيح وهي تجرى إلى حجرتها واتجهت هي بدورها إلى حجرة النوم لتضع ندى في سريرها لكن صوتها جاءها عاليا بادئة في الجولة الثالثة قائلة :

بس قوليلى هي بثينه حالتها دى ملهاش علاج ،اصل صعبت عليا قوى دى حتى معندهاش عيال يشيلوها !!

ثم اقترب صوتها أكثر وهي تخرج من غرفتها وتتجه صوب حجره هالة تسألها :هو شريف عايش معاها من إمتى؟ .

أجابتها بنفاذ صبر: مش عارفه من بدرى خدته وعاش معاها .

- يعنى مكنش وصل الواحد وعشرين سنة ؟،يعنى كل الورث راحلها بعد ما بقت الواصية عليه مش كده ؟!

لم تجيبها هالة وأشاحت بنظرها في محاولة لانهاء الحديث ولكنها استرسلت قائلة: بس العز اللي هم فيه ده مش من ورث ابوكى بس ،لا ده أنا شفت العربية اللى كانت راكنة ايه حكاية تسوى ربع مليون في الميت ،ثم استدارت إليها في جدية سائلة: اومال ابوكى مسابلوكوش ورث ليه ؟هو انتو مش عياله زيه ولا انتو مش بتورثوا بنات ؟!.

هنا فاض بها الكيل وفي عصبية أجابتها :لا مش بنورث بنات وبابا مسابلناش ورث في حاجه تانى تسألى عليها ؟.

لم تجد أمام حدتها وعصبيتها غير المتوقعة غير التمتمة في خفوت :وأنا مالى انتوا احرار وده مهما كان اخوكو من دمكوا .

انتهت عبارتها وهي خارجة من الغرفة فقامت هالة وصفقت الباب خلفها وانهمكت في البكاء .

- كده برضه ياشريف، تحرج أختك وتضايق خالد بالشكل ده، ده كلام برضه !

لم يبد عليه أنه سمعها وظل في شروده متابعا الطريق أمامه فعادت توجه كلامها إليه: شريف أنا بكلمك رد علي.

التفت إليها وفي هدوء قال: نعم ياخالتو في ايه لو على موضوع خالد فلو سمحتى خرجى نفسك من الموضوع ده ولو على ليلى هكلمها وأراضيها .

- في رجاء قالت: يا بنى حرام عليك هي أختك ناقصة ،مش كفاية جوزها عيان كمان جى تقول شكل للبيع ،هو الراجل كان عملك ايه مش كفاية انه صاين عرضك

ضغط الفرامل فجأة فانتفضت السيارة نظر إليها قائلا بحدة :هو اصلا كان يطول يتجوزها ،انت عارفه ليلى تبقالى ايه ولولا معزتها عندى وتمكسها بيه مكانش يحلم يقرب منها تقوليلى صاين عرضي !،والله أنا لولا خايف على زعلها وزعلك مكنتش جيت انهارده.

عاد ناظرا أمامه في عصبية فربتت على كتفه مهدئة :خلاص ياشريف مالوش داعى الكلام دا يابنى هي بقت مراته وبتحبه وطالما مهدين السر يبقى خلاص ده برضه جوز اختك وبعدين مش ذنبه ان حالته على قده طالما شاريها وصاينها .

- زفر في ضيق ملتفتا إليها :اديكى اول مره تزوريها ،عجبتك الشقة بذمتك دى شقة يسكنها فيها اوضتين وصاله وخنقه ،دى الشقة اللى تليق بليلى ؟!ماتردى عليا ياخالتي .

- نظرت إليه بخبث سائلة:واشمعنى ليلى اللى انت محموق عليها كده، انت حتى هالة ودينا محاولتش تزورهم ولا تعرف حاجه عنهم .

- قال بضيق:غيرى السيرة دى وبلاش نفتح القديم أنا مش ناقص

التفت أمامه يعاود سيره بينما ظلت تدعو له الله في سرها أن يهديه ويصلح شأنه.

****

أكثر من ساعتين ودينا تسير بسيارتها لا تدري إلى أي درب تذهب، تتقاذفها أمواج فكرها المضطربة لتغوص بها في أعماق ذكرياتها دون أن يلوح لها شاطئ النجاة. جذبتها أمواجها لعمق عام ونصف هو عمر زواجها تحاول أن تتذكر كيف كانت قبل أن تلقاه ربما لم تكن حياتها أكثر سعادة من الآن ولكن بالطبع لم تكن تشعر بكل ذلك الفراغ الذي يكتنفها رغم وجوده.منذ اليوم الأول حين التقته صدفة حين قرر دفع فاتورة هاتفه والتقت أعينهما ،بنفسها اعتملت أشياء عده بين تمنى ورجاء ورهبة . وقعت أسيرة نظراته الواثقة ولمعة الذكاء بعينيه الواسعتين ،مرت سريعا على ملامحه المنمقة بأنفه المستقيم الأبى وشفاه الرفيعة التي ما لبث أن ابتسم فذابت هي أمام غمازته الوحيدة على جانب فمه

احتاج الأمر منها وقتا لتخرج من شرورها وتعود لملامحها المحايدة وان لم يخف عليها انجذابه لها ومحاولته المكشوفة لإطالة مده وقوفه أمامها للاستفسار.بعد رحيله بدقائق كانت تدون كل المعلومات عنه وفرحت حين علمت أنه يعمل مهندسًا بشركة لها وزنها ولها اسمها المرتفعة بسوق العقارات ،منذ اللحظات الأولى منت نفسها بالزواج به وما كان عليها سوى أن تنظر خطوة البداية والتي لم تحد عن طريقها المعهود حين طلب منها الخروج لتناول الغداء معه، بحسبه بسيطة كان عليها اختيار إحدى الطريقين، إما الموافقة واستدراجه بجمالها وفعل أنوثتها الطاغي وحضورها المباغت وإما الإعراض ،وكان الثاني خيرها.لم يكن صعبا تخمين أي الشخصيات هو فمن بمثل وسامته وغناه وشهرته أيضا لم يكن لتصعب عليه فتاة لذا لم يكن أمامها سوى الإعراض والامتناع بل والقسوة أحيانا وتصنع الغضب لمجرد محاولته الاتصال بها.دور الفتاة صعبة المنال كان الأنسب لها خاصة وهي تعلم أن مقوماتها لن تصمد كثيرا أمام من عرفهم من الفتيات .. عده أشهر وكان يطرق باب بيتها لخطبتها ،كادت تطير من الفرحة لكنها تمالكت نفسها وتركته يتقلب على نيران شوقه شهرا آخر ما بين كر وفر ومراوغة حتى أعلنت موافقتها .تعجبت من نفسها حين أفاقت من شرودها فوجدت نفسها أمام شركته ابتسمت من حماقتها ولكنها قررت أن تصعد إليه وتذهب معه لتناول الغداء فقد انتبهت فجأة أنها تشعر بالجوع ولم تتناول شيئا بعد كوب النسكافية والذي لم تكمله عند ليلى .صفت السيارة بجوار الشركة وخطت بضع خطوات وقبل أن تدخل الشركة شعرت بالدوار وبأن الأرض تميد بها، استندت إلى أحد الجدران محاولة التوازن واحنت رأسها وكان ذلك خطئها الذي دفعها أن تفرغ كل ما بمعدتها أثر الدوار الذي اكتنفها .

لم تشعر بذلك الشاب الواقف ليس ببعيد يرقبها في قلق ثم تقدم منها حتى صار خلفها قائلا :يا أنسة أنت كويسة؟، في حاجه ممكن أساعد بيها .

لم تلتفت إليه من فرط إعيائها وخوفها أن تباغتها معدتها بألم جديد ولكنها قالت

- لو سمحت ممكن تبعتلى أي حد من الأمن، قولهم مدام دينا مرات باشمهندس سامح.

- هتف غير مصدق : دينا!!

مع هتافه ذلك بدا صوته مألوفا فنظرت إليه وقبل أن تنطق أو تفيق من المفاجأة كانت يده تسندها وساعدها على دخول الشركة وأجلسها على احد المقاعد وسحب مقعد آخر وجلس بمواجهتها .

أخذت تحدق بوجهه غير مصدقة متناسية ذلك الألم الذي ألم بها وذلك الدوار وفي وهن نطقت باسمه متعجبة: ياسر! .

****

خرجت فزعة من حجرتها على صوت إيناس الذي علا فجأة فأيقظها من نومها. هرعت إليها تحتويها بين ذراعها مهدهدة وتحاول أن تفهم سبب بكائها نظرت إليها غير مستوعبه ثم ما لبثت أن شعرت بدفء السرير تحتها وشعور بالبلل. حملتها في رفق ودخلت بها إلى الحمام لتغير لها ملابسها وتحممها دون أن تنهرها على ما فعلت فهي لم تتعد الثلاث بكثير ولكن حماتها لم يعجبها الأمر فانطلقت توبخ البنت على فعلتها وتنهرها في حده حتى أوقفتها هالة في حسم ناهيه إياها من الاستمرار خشية أن تصاب ابنتها بحالة تبول لا إرادي اثر الخوف، كالعادة لم تقتنع حماتها بكلامها ولكن شيئا داخلها دفعها للصمت أو ربما دهشتها حين انتبهت فجأة إلى ملابس هالة والتي لم تبدلها منذ عادا وكأنها نسيت فغفت بها . لمحت هالة تلك التساؤلات التي تدور في عقل سامية ولكنها لم تبال بها وحملت إيناس إلى حجرة النوم الخاصة بها ريثما تنتهي من تغير مفرش السرير الخاص بها. حملت المفارش النظيفة للحجرة فانتبهت إلى وجهها في المرآة ورأت شحوبها وذلك الانتفاخ الذي علا جفنيها أثر البكاء ،تنهدت في وهن وهي تحاول نفض الماضي من رأسها .

طلبت سامية منها أن تحادث بثينة من أجل الاطمئنان عليها ،التفتت هالة إليها في ريبة وضيق قائلة: يا ماما زمانها نامت دلوقت دى ست تعبانه وبتنام بدرى وبعدين ماهي كانت لسه معاكى واطمنتى عليها .لم تجد سامية بدا من الصمت وان حنقت عليها التي حرمتها متعة الحديث لاستكمال ما ينقصها من معلومات .

****

الفصل الثامن

"الإنسان الذي لديه شجاعة خارجية يجرؤ على الموت..والانسان الذي لديه شجاعة داخلية يجرؤ على الحياة" لاوتسو

انتهي شريف من تناول عشائه مع بثينة ثم ما لبث أن دخل الحمام ليغتسل ويتوضأ ليصلى العشاء وبينما يمرر الماء على رأسه لمح شبحًا مخيفًا لملامحه يتصدر المرأة فانتفض وابتعد وهو يستغفر الله بداخله ويستعيذ من الشيطان ومن خيالاته تلك .

خرج وصلى العشاء ثم استأذن خالته أن يذهب لحجرته لينال قسطا كافيا من النوم ربما ليشعر بالتحسن.

دقائق ووجدها تطرق بابه فقام وفتح لها ليراها تحمل كوب من الأعشاب الدافئة وبعض الأقراص بجوارها التقطها منها قائلا: ياخالتو بتتعبى نفسك ليه؟، أنا كنت هنام وارتاح شويه وهبقى كويس .

- هي : لا يا شريف شكلك داخل على دور برد انت لازم تلحقه من أوله اشرب الأعشاب دى وخد الأقراص دى معاها ثم ربتت على كتفيه وأكملت: ربنا يشفيك يبنى اتغطى كويس ومع الاسبرين هتعرق وتبقى كويس أنشاء الله .

انحنى ماسكا كفها بين يديه وقبلها في امتنان ربتت على شعره في حنان وعتاب.

- بص ياشريف أنا مش عايزة اضايقك بس لازم تتصل تراضى أختك حرام عليك يا بني دى ليلى بالذات روحها فيك .

ابتسم لها في ود فهو يعرف إصرارها وأومأ برأسه في استسلام معلنا الموافقة قائلا
- حاضر يا خالتو هكلمها بكرة وأراضيها ،متشيليش هم .

طلبت منه أن ينام لتدثره بالغطاء جيدا ولكنه رفض وطلب منها أن تذهب لتخلد للنوم و دفع كرسيها بيده حتى حجرتها قائلا: تصبحي على خير .

- وأنت من أهله يا حبيبي ومتنساش تتغطي كويس

عاد إلى حجرته وتناول كوب الأعشاب الذي كان قد برد بعض الشيء ولكنه لم يتناول الأقراص.

دخل تحت غطائه وتدثر به جيدا وهو يشعر بانتفاضة بسيطة في جسده فظل ينظر إلى سقف حجرته شاردا .

أشد الذكريات إيلاما له هي ذكريات مرضه وتلك الليالي الطوال الذي كان يقضيها جالسا في فراشه يغالب النوم ويقاومه كي لا تغمض عيناه ولكنه رغما عنه يستسلم فيغوص لعالم الأحلام ويتخيل جسده الصغير يسبح في الماء ويضربه بساقيه في استمتاع حتى يشعر بتلك البرودة حقا تسري بجسده فينتفض من نومه ليجد نفسه يسبح في مياهه الخاصة بعد أن فقد السيطرة على نفسه وبلل فراشه رغما عنه رغم تجاوزه لسن السابعة .لم تكن زوجة أبيه لتمرر الأمر هكذا، كان يناله منها أشد توبيخ والذي كان يتجاوز الضرب أحيانا ومعاقبته بحرمانه من الخروج من المنزل لمده يومين يتقوقع فيها في حجرته بمفرده، أشد ما كان يؤلمه هو ضحكات أختيه عليه ونظرات التشفي بأعينهم يلعن نظراتهم تلك كما يلعن النوم الذي يتغلب عليه فيجعله أضحوكة بينهم ، ليلى كانت الوحيدة بينهم من تربت على كتفيه مبتسمة ابتسامة شاسعة الفرق بينها وبين ابتسامتهم ،تحتويه بحنانها بين ذراعيها الصغيرتين ولا يروعها تعنيف والدتها وتأنيبها لها أن تتركه لأنه معاقب لجرمه.أقسي أنواع التعذيب هو التعذيب النفسي الذي كان يلقاه ،ليال طوال كان يحلم فيها أنه بلل فراشه لينهض فزعا على سراب أوهامه، لازمته مخاوفه تلك حتى بعد بلوغه فما كان لعقله أن يلفظها هكذا من اللاشعور أو يتناساها بسهولة. دائما ما كانت تخبره مابين نوبات غضبها لفعلته أنه لن يصبح رجلا مادام لا يتحكم في بوله، لم يستطيع أن يخبرها يوما أن خوفه هو ما يدفعه لذلك، ليالي كثيرة كان ينهض من نومه فزعا من حكاياتها التي تصر أن تحكيها له عن أشباح بأنياب طويلة ،ساحرات قبيحات يتحولن في الظلام صبيه صغار يأكلهن الوحش حتى تمتلئ معدته. لم يكن ينعم بنوم هادئ سوى بين أحضان ليلى التي كانت تشاطره غرفته ،ينكمش بأحضانها ويتقوقع بداخل نفسه حتى يشبه الرضيع ،تربت عليه بأناملها الصغيرة فيسرى الأمان بأوصاله فينام ليلة هانئا بدفيء وجودها ويصحو دون أن يرتكب جرمه المعهود فتبتسم له وتشجعه ،رغم صغرها والفرق البسيط بينهما في العمر إلا أنها كانت الوحيدة التي استطاعت أن تساعده على حل مشكلته تلك ،لم تنجح محاولاتها معه بسهولة فكثيرا كان يخيب ظنها رغما عنه عندما تداهمه كوابيسه فيسرع في أدغال خوفه ويصحو ليجد البلل قد تسرب لفراشه ،لم تعنفه يوما بل كانت تتكتم الأمر حتى عن أمها وبهدوء تتسلل لتغير مفارش السريرين كي لا تنتبه والدتها للأمر، شجعه قربها على التخلص من مخاوفه تدريجيا وكذلك من تبوله اللاإرادي. شعر بالبرودة تسرى في أوصاله فسحب غطاءه أكثر وأغمض عينيه خوفا من أن تداهمه احد كوابيسه القديمة والتي تظهر من حين لأخر خاصة وقت مرضه .

****

كان الذهول هو سيد الموقف وهي ترمقه بعينها المجهدتين غير مصدقه لتلك الصدفة التي دفعته أمامها، رددت اسمه بين شفتيها ثانية ربما لتتأكد من وجوده هنا أمامها،

- ياسر

كان استفهام أكثر منه نداء ،ابتسم لها في ود: عاش من شافك ،اتغيرتى اوى

في حركة لا إرادية كانت تعدل من خصلات شعرها وبحركة خفيفة مطت شفتيها التي فقدت لونها أثر الإعياء إلى اكتنفها .

رغم إعيائها ابتسمت وواجهته بعينها بدلال متسائلة: للأحسن ولا .

- قاطعها مندفعا :لا للأحسن طبعا ،بس ده ميمنعش انك طول عمرك جميله

- ابتسمت في خجل وأطرقت ثم عادت لتسأله :انت بتعمل ايه هنا ،قصدى يعنى انت تعرف سامح ولادى صدفه اننا نتقابل هنا ؟.

- ابتسم بدوره ردا عليها: لا أنا كنت جاي لسامح وصلت امبارح من السفر وقلت اسلم عليه.

- صمت برهة وبنبرة خاصة أكمل: بس أنا اللى اتفاجئت اما شفتك .

بدا الاضطراب يعلو ملامحها اثر كلماته تلك فتناولت حقيبتها لتخرج هاتفها لكنها لم تجده فأيقنت أنها تركته بالسيارة ،التفت إليها متسائلا عما تريد فأخبرته أنها بالصدفة وجدت نفسها هنا وودت أيضا أن تصنع مفاجأة لسامح بحضورها، رد عليها قائلا: للأسف حظه وحشه لأني لسه نازل قبل مقابلك وعرفت انه مشى

- أطرقت لحظه قبل أن تسأله :انت بتقول كنت مسافر كنت مسافر فين ؟

- بدا متأثرا وهو يجيبها :كنت في الكويت سافرت من تلت سنين بعد مارفضتينى قررت انى مينفعش اترفض تانى من أي بنت عشان كده سافرت أكون نفسى وادينى رجعت بعد تلت سنين غربه ران صمت لاذع بينهما ،لم تكن لتنساه عندما دخل عندها بمحل عملها والخجل يعلو ملامحه وطلب منها أن تقبل الزواج به، لا تدر لما كانت باردة معه رغم علمها بحبه لها فما كانت تلك المرة الأولى التي يأتي فيها على عملها، تعددت زيارته بدون سبب منطقي ورغم حرصه إلا أنه كان مكشوفا جدا وهو يرمقها بنظرات الإعجاب والحب التي تملأ عينيه.

عندما طلبها للزواج لم تجد داعيا لمراوغته فحسمت أمرها معه، بسكين باردة بترت حبه بوضوح.أخبرته أنه ليس فتى أحلامها، نعم أحبها وهي لا تنكر إعجابها بوسامته لكنه لا يملك مقومات الرجل الذي تحلم به وفي يأس سألها عن تلك المقومات فأجابته في بساطه المال، لن يوفر لها هو الحياة التي تتمناها وتصبو إليها وهي لن تجازف بالموافقة عليه وانتظار سنوات تضيع من عمرها من اجل سراب تكوين نفسه ليدخر في النهاية بضعه جنيهات لن تكفي لسد الرمق، لن تحكم علي نفسها بالمعاناة بقية عمرها" حتى ولو كنت بحبك "بتلك الجملة الأخيرة ذيلت كلامها، ظلت كلماتها تلك ترن بأذنيه ليال طوال، تقلبه على نيران الشوق وتحترق بالرفض ..إن كانت تحبه لما ترفضه وإن كانت قد اختارت المال لما اعترفت له بحبها ألهبه اعتراضها كما كواه رفضها ،سافر هربا منها وبسببها ،تمنى لو ترجاها لتنتظره ولكن رفضها القاطع طعنه وخشي أن يقض على ما تبقى من كرامته .مضت ليالي الغربة طويلة على شاب مثله لم يعتد الأمر بعد ،بدت غربته بلانهاية حين علم بأمر خطبتها بعد عام من سفره وقتها علم أن اعترافها ذلك لم يكن سوى محاوله بائسة منها لمواساته وأنها لم تعن كلماتها تلك قط .

أفاق من شروده على صوتها العذب تطلب منه أن يرحلا وعندما رمقها وجد ابتسامتها الرقيقة تزين وجهها وهي تطلب منه أن يذهبا إلى أي مكان ليتناولا الغذاء، في تعجب نظر لساعته والتي تجاوزت الثامنة قائلا: غداء !!قصدك عشا الساعة عدت الثامنة

- ابتسمت :عندك حق بس والله مأكلت من الصبح وحاسة انى تعبانه قوى ثم أكملت وهي تنهض وقد شعرت بتحسن كبير: ها هتيجى معايا ولا هتسيبنى اروح لوحدى؟

كانت تعلم أنها مقدمة على خطوة مجنونة لكنها برؤيته لم تكن في حاله مزاجية تسمح لها بتأنيب الذات .

تردد قليلا قبل أن يرد، ماذا لو رآهما سامح، ربما أغضبه الأمر، لكنه يتمنى حقا مرافقتها ، يود أن يعرف عنها ،أن يسمع منها ما حدث بعد رحيله وأن كان يعلم أغلبه .

أمام نظراتها الراجية وابتسامتها الداعية لم تجد سوى الموافقة ومرافقتها .

عندما خرجا كان يتجه إلى حيث سيارته ولكنها جذبته في رفق باتجاه سيارتها قائلة - في دلال: أكيد مش هتسيبنى أسوق العربية لوحدي ومش هينفع أسيبها هنا .

التفت إلى حيث يدها الممسكة بذراعه ثم عاود النظر إليها متسائلا : أومال عاوزة ايه ؟

- سوق أنت عربيتي وودينا أي مكان ناكل فيه .

امتثل لأمرها وتوجهها إلى مطعم يعرفه واتخذ مكانهما حول المائدة بآخر المطعم حيث الإضاءة خافتة وألحان هادئة من موسيقى عذبة تدغدغ الأعصاب فتثير في النفس أشجانها .

فكرا في من منهما سيبدأ بالحكي لكنها حسمت أمرها وقطعت الصمت متسائلة: من امتى تعرف سامح وايه علاقتك بيه؟ .

- ابتسم قبل أن يجيبها :سامح كان دفعتي وصحاب من زمان ولما سافرت حافظنا على صداقتنا عن طريق الفيس بوك لحد ما صدفه قالي انه أعجب ببنت بتشتغل في فرع اتصالات عندنا في المنطقة ولما وصفك وقالى الاسم اتاكدت انها انتى.

كانت تتأملة وهو يحكي، لما يثير فيها وجوده كل هذا الصمت والارتباك؟ لم تعد تعرف، هل أحبته حقا فيما مضى؟ أم أنها قالت كلماتها تلك لمواساته فقط؟، بدا الارتباك يتزايد على ملامحها لكن السؤال الأهم الآن هل يعرف سامح شيء عن حبه لها ورغبته يوما في الارتباط بها .

كادت أن تسأله لولا صوت هاتفه الذي قطع عليها السبيل ،في اعتذار نظر إليها قبل أن يلتقط هاتفه ويلمح اسم المتصل، رفع نظره إليها متسائلا ولكنه لم ينتظر وأجاب محدثه والذي لم يكن سوى سامح :ايوه ياباشا ازيك اه ياعم كنت عندك ولما سالت عليك قالولي مشيت ورنيت عليك ومردتش علي .

جاءه صوت سامح على الطرف الآخر: حمد الله على السلامة رجعت امتى؟، كنت قلت كنت استنيتك في المطار ،عموما ملحوقة بس لازم نتقابل .

- ياسر :أكيد

- سامح :طيب اسيبك دلوقتى عندي شغل وبكرة نتفق نتقابل سلام

أغلق الهاتف ووضعه أمامه ودون أن يرفع نظره إليها قال :ده سامح عرف انى رجعت واتفقنا نتقابل بكرة، أنا حسيت أنه مافيش داعي يعرف انك معايا ولا ايه؟ أطرقت بنظرها وهي لا تعرف أيهما أصح إخباره أم مداراة الأمر عليه ولكنها لم تعلق .

في صمت أسرعت في تناول طعامها وكذلك هو دون أن يرفع نظره إليها وبهدوء سألها :انت ايه اللى خلاكى توافقى على سامح ،حبتيه؟! .

رفعت نظرها إليه فوجدت ملامحه هادئة، لم تعرف سبب سؤاله لكنها شعرت بضيق يعتليها وحده في كلماتها دون أن تشعر وهي ترد عليه : أكيد أومال هتجوزه ليه؟ .

في نفس هدوئه ونبرته التي بدت غير مبالية ونظره الذي لم يرفعه إليها: ممكن علشان فلوسه

ألقت معلقتها في حده وارتفعت صوتها تجيبه

- سامح مكانش أول واحد معاه فلوس يتقدملي يعنى لو كانت فلوس والسلام كنت اتجوزت اللي أغنى منه لكن أنا حبيته ودا اللى خلانى أوافق .

كانت تثبت نظراتها الغاضبة على وجهه وهدوءه يستفزها وجعلها تندم على مصاحبته من البداية .

- وضع المعلقة جانبا ورفع نظره إليه في هدوء ساخر وقال :واتعصبتى كده ليه كان ممكن تردى بهدوء وكنت هقتنع برضه وافهم وجهه نظرك .

في نفس حدتها والتي لم يبد أن كلماته قللت من حدتها قالت :انت بتسألنى ليه اصلا سؤال زى ده ،بأي حق بتدخل كده في خصوصياتي، وأكملت وهي تتناول حقيبتها في ضيق وعصبية :أنا غلطانة اللى طلبت اننا نخرج سوا .

أمسك بيدها ونهض من كرسيه وبنظرة نادمة استوقفها: دينا اقعدي لو سمحتي أنا آسف انى سألتك السؤال ده وأنا آسف ان كنت ضايقتك بس لو سمحتي اقعدي .

أشاحت بوجهها في غضب لا تدري كنهه فترجاها أن تجلس وخاصة أن الأنظار بدأت تتجه نحوهم في فضول متسائل ،التفتت حولها فأدركت سخافة ما يحدث فجلست دون أن يبدو أن غضبها قد زال فأكمل :أنا آسف بجد بس لو سمحتي كملي أكلك

- في ضيق قالت: لا شكرا مابقاش عندي نفس ياريت تخلص علشان نمشي أنا اتأخرت .

- متقلقيش سامح في شغل وهيتأخر يعنى ممكن تقعدي براحتك ومتنسيش أن عربيتك اللي بره يعني أنا اللي هتسوح لو مشيتي وممكن كمان اتشرد لو ملقتش تاكسي .

ابتسمت لعبارته تلك فخفق قلبه وقال مبتسما :شكلك كنت قاصدة انى اسيب عربيتى عشان تسوحيني في المواصلات مش كده ؟.

اتسعت ابتسامتها بخجل وأطرقت فأكمل: خلاص سماح بقى أنا مكانش قصدى يلا كملي اكلك متحسسنيش بالذنب .

أكملت طعامها ثم ما لبثت أن سألته :أنت متزوج؟ .

بدا وكأن غصة في حلقه لا تبغي أن تزول وأجابها دون أن ينظر إليها: كنت

ثم أردف : ربنا يرحمها .

اتسعت عيناها وشعرت بالأسف من سؤالها وحاولت أن تجد كلمات مناسبة لمواساته فلم تجد فاعتذرت له عن السؤال ولكنه قاطعها :متعتذريش انت مغلطيش، ثم اطرق مكملا :أنا اللي لازم اعتذر واطلب السماح كل يوم يمكن تسامحني وتغفر لي .

بدا شاردا ومتأثرا في كلامه، لم تشأ أن تقاطعه أو تسأله عما يقصد فتزيد آلامه دون مقصد منها ولكن هذا لم يمنع ظهور تلك العبرة على طرف عينيه والتي أزالها بسرعة وفي محاولة لتناسي الأمر قال مازحا :انت أكلك زى ماهو، ده اللى كان يسمعك وانت بتقولى جعانه اوى يفتكر انك هتخلصى على اكل المطعم وتدخلى على دراعى بعد كده .

ابتسمت في أسي له وعليه فما كان مزاحه سوى طريقه لتناسى آلامه التي أثارتها في نفسه بسؤالها.

****

الفصل التاسع

كان مجيء الحاج عبد العال في ذلك الوقت مناسبا فقد خفف مجيئه من حدة الموقف والتوتر السائد بين ليلى وخالد بعد كلمات شريف .

أقبلت نحوه ترتمي بأحضانه قائلة في حب حقيقي :زيك يا عمي عامل ايه ؟

ربت على كتفها ثم ما لبث أن سألها عن خالد فأشارت إلى حجرته فدخل إليه ولحقته بعد أن أغلقت الباب خلفها .

دخل مبتسما ببشاشة كعادته: السلام عليكم ، ازيك يابطل عامل ايه دلوقتى؟

حاول خالد النهوض لتحيه والده الذي أوقفه بحركة من يده: خليك زى ما انت قال يعنى انت قادر تتحرك اصلا ده تلاقيك قارف ليلى معاك هاتى وودى .

دخلت الحجرة مبتسمة وجلست إلى جوار خالد رابتة على يده :لا ياعمو ازاي بتقول كده خالد جوه عنيا انت عارف .

قالت كلماتها تلك وهي تضع قبله حانية على يده فقال والده باسما :والله عال ده انتو مش عاملين لي حساب خالص حب وهيام كده وأنا قاعد .

علت حمرة الخجل وجنتيها وأطرقت فرد خالد في عتاب: يابابا بلاش الكلام ده ليلى بتتكسف .

ابتسم والده وأجاب: طاب مانا عارف انها بتتكسف اومال بقوله ليه عشان اكسفك انت يعنى مانا عارف انك معندكش دم .

ثم ربت على المكان الخالي بجواره على الأريكة لتجلس إليه ،في خجل قامت وجلست جواره فضمها إليه وقبل رأسها في حنان :اوعى تكونى زعلتى أنا بهزر معاكى والله انت غلاوتك اكثر من غلاوته عندى بس يلا نقول ايه يتيم نكسب فيه ثواب .

ضحكت رغما عنها لأسلوبه المازح ثم استأذنها ليتوضأ ليصلى العشاء فاستغرب خالد منه فتلك المرة الأولى الذي يفوت فرضا ولا يصليه في الجامع .

قامت ليلى تعد له المنشفة فأبى أن يستخدمها قائلا : يابنتى ميه الوضوء دى بتنزل معاها كل الذنوب ،كفاية الواحد أيامه قربت ومحتاج يكفر عن ذنوبه . .

قبلت ليلى يده قائلة :ربنا يديك طوله العمر ياعمو ويباركلنا فيك .

ربت على رأسها قائلا بمرحه المعتاد: اديكى ابطلتى وضوئي اعمل ايه فيكى دلوقتى اروح اتوضى ثانى في البرد ده !!

ابتسمت لمزاحه وردت عليه :ابو حنيفه قال ميبطلش

ضحك لمزحتها وتركته ليصلى واتجهت صوب المطبخ لتعدله كوب الشاي الخاص به ثقيلا ومعلقه واحده سكر وما انتهي من الصلاه حتى اقبلت عليه قائله :حرما .

ابتسم وهو يطوى السجاده بعنايه :اسمها تقبل الله منا ومنكم .

ابتسمت وهي تناوله كوب الشاي الذي ما ان لمسه حتى سرى الدفء باوصاله فتذوقه في اشتهاء: والله جات في وقتها انت عارفة أنا راجل وحدانى ومحدش بيهتم بيا .

جلست إلى جواره ونظرت إلى خالد نظره ذات مغزى فقال لوالده :يابابا قلنالك سيب شقتك واقعد معانا هنا بدل مانت قاعد لوحدك كده وقلقنا عليك .

قال والده بنفس مزاحه :لا ياسيدى أنا محبتش ابقى عزول أنا مرتاح في شقتى

قالت ليلى بجديه :لا والله انت تنورنا وانت عارف انت معزتك من معزه ابويا الله يرحمه واسال خالد أنا بلح عليه كتير عشان يقولك تيجى تقعد معانا هنا .

_يابنتى أنا بزوركم كل فين وفين عشان السلم عايزانى اطلع وأنزل ٥ مرات في اليوم ده انتوا عايزين تجيبوا اجلى .

رد خالد: لا بابا بعد الشر عليك خلاص براحتك

هم الحاج عبد العال بالانصراف لكن ليلى ألحت ليبقى للعشاء معهم لكنه أصر على رفضه بالرغم من محاولتها في إبقاءه فاضطر أن يخبرهم أنه نسي دواء السكر في المنزل ولن يستطيع أن يأكل معهم فاستسلما لرغبته ورحل بعد أن ودعهما .

عادت ليلى إلى حيث خالد ورأته ممسكا بجهاز التحكم ويغير في القنوات دون أن يعيرها اهتمام فسألته أن كانت تعد العشاء فأجابها في اقتضاب أنه لن يأكل الآن . استشعرت غضبه في كلماته المقتضبة فاقتربت منه في دلال قائلة: انت لسه زعلان مانا قلتلك انى اسفه واوعدك اللى حصل ده ميتكررش تانى .

لم تجد ردا سوء الصمت فأكملت :طيب علشان خاطرى بلاش تزعل نفسك

نظر إليها في حده قائلا: ليلى أنا مش زعلان منك وانت عارفه ،انت مالكيش ذنب لكن عمايل اخوكى هي اللى مضايقانى وأنا مش هفضل ساكت كتير ثم اكمل بعصبيه تنضح من كل ملامحه :ده بيشتمنى في بيتى أنا يقولى أنت متحلمش ازورك في بيتك ليه؟! .

حاولت ليلى تهدئته :خلاص ياخالد اوعدك انى هيكونلى واقفه معاه وبعدين مانت عارف شريف حمقى بس والله قلبه طيب وبيحبنا قوى .

في سخريه قال :بيحبنا اه ماهو باين الاستاذ مش طايقنى ومجاش النهاردا غير علشان خاطرك وعشان خاطر بثينة ألحت عليه لكن لو كان عليه مكانش جه .

ثم استطرد قائلا :ليلى لو سمحتى ياريت شريف ميدخلش البيت ده تاتى .

تبدلت نظرة الأسف التي على وجهها إلى عدائية وهي تجيبه: ازاي يعنى أنت عارف ان شريف اخويا الوحيد ومقدرش استغنى عنه ومينفعش اقوله ميجيش بيتى .

لمح خالد الحدة في كلامها والجدية ايضا ود لو أصر على موقفه ولكنه رفقا بها ولخاطرها تراجع قائلا :خلاص لو عايز يزورك مكونش أنا في البيت هو ولا طايقنى ولا أنا طايقه ،قاطعته ليلى :بس ياخالد هو .....

رد عليها في حده دون أن يسمع حديثها: بص ياليلى ده اخر كلام عندى بدل متحصل مشكله بينا وانت اللى هتخسرى ساعتها ،ده افضل حل لينا كلنا أنا مقابلوش ومحرمكيش منه في نفس الوقت .

اطرقت ليلى صامته تفكر ،ربما كان ذلك افضل الحلول فعلا فصل القوات فما من مره اجتمعا فيها الا وحدثت بينهما مشاجره.

تذكر جيدا رفض شريف لخالد حين أخبرته برغبتها في الارتباط بها، لم تعرف سببا منطقيا لرفضه سوى أنه تمنى لها شخصا افضل منه وعندما أخبرته أنها تحبه أخذ يتفه من مشاعرها ويتهمها بالغباء لأنها أحبت شخصا مثل خالد وفي تلك الفترة القصيرة، دب الشك وقتها في قلبها فسألته ان كان قد عرف شيئا عن سمعته ولكنه لم يكذب وأخبرها أنه لا غبار عليه في سمعته لكنه لا يرتاح له وقتها أعزت ذلك إلي غيرته لأنها ستكون لرجل غيره ولكنها نفضت أفكارها عنها فهو أخوها ويستحيل أن يفكر في الأمر هكذا .

انتبهت على صوت خالد يسألها فيما شردت فابتسمت وهي تجيبه مبتسمة: لا ولا حاجه يا حبيبي خلاص انت عندك حق واللى عايزه هيحصل يلا فكها بقى بلاش تبقى مكشر كده شكلك بيبقى وحش اوى .

فأجابها متصنعا الضيق: ياسلام شكلى وحش لما بكشر اومال زمان كنت بتقوليلى انك بتحبى ملامحي لما بكشر او لما بتعصب .

ضحكت بدلال وهي تميل عليه: كنت بضحك عليك ياسيدى .

فأطلق اه متصنعا الألم قائلا :ايه ده انت تقيله قوى حرام علىكى هتكسرى رجلي التانيه لكمته في زراعه وهي تقول بحده يعنى قصدك انى تخنت طيب والله ماشى وأخذت تدغدغه وهو يحمى نفسه منها بذراعه السليم وهو يضحك .

****

سمعت صوت ولوج مفتاحه الخاص بالباب فتظاهرت بالنوم وسحبت الغطاء لتغطى وجهها ،كانت تعلم أنه لن يتعشى مادام الوقت قد تأخر إلى هذا الحد فلم يبقى على أذان الفجر سوى القليل، بهدوء أغلق باب الشقة خلفه كي لا يوقظ احدهم ولكن فاجأه صوت والدته الناعس تتأكد من عودته اقترب من باب حجرتها الذي تركته مفتوحا لتطمئن عليه دون أن ينير الحجرة طمئنها لعودته فأخبرته أن هالة نائمة وسألته ان كان يريد أن يتناول العشاء فاخبرها أنه تناوله في العيادة ثم تركها بعد أن أغلق الباب كي لا يزعجها صوت ندى إذا بكت واتجه نحو غرفته .

على ضوء الحمام الخافت استبدل ملابسه وجلس فتره في طرف فراشه يرقبها وهي نائمة.

شعرت بنظراته فتململت في نومها فناداها فاضطرت أن تجيبه وهي توليه ظهرها ،في ود اقترب منها واضعا يده على كتفها متسائلا بخفوت: انت نمتى امتى .

في برود أجابته :من شوية اقترب منها وقال هامسا بأذنها : طيب قومى عايزك اتكلم معاكى شويه .

شدت الغطاء أكثر عليها :حسن ما صدقت نيمت البنات وإيناس عندها حضانة الصبح بدري .

حسن في هدوء وهو يقترب بجسده منها :ماشى شوية بس وبعدين نامى، عايزك في حاجه مهمة التفتت إليه ناظرة بحسم :بص في ايدك شوف الساعه كام دلوقت وبعدين نتكلم لو سمحت سيبنى أنام .

شعر بالحنق من كلماتها الجافة وأسلوبها البارد فاندس تحت الغطاء وأولاها ظهره في غضب مكتوم .

****

ظلت تتقلب في فراشها غير عابئة بالوقت الذي تأخر وعدم عودة سامح بعد ،لو في يوم آخر كانت قد نشبت حربا بسبب تأخره ولكانت ساورتها الشكوك وتلاعبت بها الغيرة والاحتمالات ولكنها اليوم مشغولة البال بما حدث منذ ساعات .

تتساءل عن تلك الصدفة التي جمعتها دون سابق اتفاق ،ثلاث سنوات منذ رفضت عرضه للزواج، لم تعتقد يوما أنه سيظهر مره أخرى في حياتها هكذا دون إنذار اقتحم عالمها ،اخترقها في ثوان ،شعرت به بعيدا قريبا في الوقت ذاته.

لماذا أصبح حضوره آسرا لهذا الحد وكأنه ليس ياسر الخجول قليل الثقة في نفسه الذي كأن من قبل، هل غيرته الغربة إلى هذا الحد؟

تذكرت أمر زواجه ، لقد اخبرها أنها توفت ولكن كيف ومتى تزوج ،شعرت بحيرتها تؤرقها ولا تجد لها سبب منطقيا هي محته من ذاكرتها منذ رفضته بل أنها لم تذكره بعدها مطلقا حتى رأته اليوم ربما ضعفه أمامها ومساندته لها هما من دفعا كل تلك الأحاسيس المتضاربة إلى نفسها وفجأة تذكرت أمر سامح ،ماذا لو عرف؟ هل سيلومها أنها خرجت معه؟، يمكنها أن تدعى المرض وتخبره أنه من ساعدها وأوصلها أيضا لمنزلها ،تعرف أن خدعة كتلك ستنطلي عليه ولكن في قراراتها تعرف أنها الحقيقة لكن الشيء الذي تود إخفاءه هو معرفتها السابقة به حتى ولو كانت عابرة .

تقافز سؤال آخر لذهنها ليزيد حجم الحيرة ونيران القلق بعقلها ، منذ متى وياسر يعرف سامح، هل أخبره أنه تقدم لها ورفضته ولكن لا، لا يتحدث الرجل غالبا عن الجولات التي خسرها في حياته وهي ما كانت سوى إحدى تلك الجولات .

هنا يبقى سؤال واحد هو ما طبيعة العلاقة بينهما ولماذا ود مقابلته عند عودته؟.

شعرت بحركة خفيفة خارج باب غرفتها كانت متأكدة من أنه هو فلا أحد من الخدم يجرؤ على التجول هكذا ليلا ا،أغمضت عينها متظاهرة بنوم لم يعرف طريقه لعينها في تلك الليلة .

دلف الحجرة بهدوء ووقف بجوار السرير معطيها ظهره مطمئنا لنومها الوهمي وظهرها الذي توليه له وأخذ يبعث بشاشة هاتفه بإصبعه ،في فضول فتحت عينيها

نصف فتحة لترمق انعكاسه في مرآة الدولاب أمامها فوجدته يحدد بعض الأرقام ويمسحها أيقنت ذلك خاصة مع سماع نغمة المسح الخاصة.

أغلقت عينيها ثانية وشعرت بالمرارة في حلقها إذن فهو مازال في علاقته السابقة والتي اكتشفتها بالصدفة لكنه الآن أصبح أكثر حذرا ،ودت لو تهاتف ليلى الآن لتشهدها عليه ولكنها استحضرت كلماتها في ذهنها ،عليها بالتغابي قليلا كي لا تفقده ربما يعود لرشده .

****

كانت الساعة الثانية عشر ظهرا عندما همت أن تفتح باب شقتها لتدخل فأوقفها صوت نسائي تألفه فالتفتت خلفها مبتسمة :ريهام ازيك عامله ايه وايه أخبار سارة.

بادلتها ريهام الابتسامة قائلة :الحمد لله بخير وسارة كمان كويسه وبتبوسك .

ثم ما لبثت أن قالت بحزن : أخبار دكتور خالد ايه ؟أنا سمعت امبارح والله ومكنتش اعرف وكنت ناويه اجيلك بس سمعت أصوات ناس عندك فاتكسفت قلت خليها بكره أكلمك وأطمن عليه .

ارتسمت ابتسامة ودوده على وجه ليلى : فيكى الخير ياحبيبتى ،امبارح اخواتى وحمايا جم يطمنوا على خالد عشان كده كان الصوت عالى والبيت زحمه معلش بقى لو كنا أزعجناكم .

قالت ريهام في لهفة وصدق: لا إزعاج ابيه والله أنا لولا كسوفي كنت جيت ساعدتك وضايفتهم معاكى .

ربتت ليلى على ساعدها شاكره فأكملت: بس هو ايه اللى حصله أنا سمعت انها حادثه

بدا الأسى على وجه ليلى وهي تقول :الحمد لله قدر ولطف حادثه والعربية اتقلبت بس الحمد لله ولاد الحلال لحقوه وطلعوه من العربية.

ريهام آسفة :الحمد لله احمدى ربنا ان بعد الشر العربية مولعتش ولا حاجه

شكرتها واستأذنتها لتذهب لتطمئن عليه لأنها تركته بمفرده لأنها لم تستطع أن تتغيب عن مدرستها أكثر من ذلك .

أغلقت الباب خلفها وخطت إلى حجرته وهي ترسم الابتسامة على وجهها ولكنها تعجبت حين رأته مازال نائما، اقتربت منه ثم طبعت قبلة حانية على جبينه وخرجت للحجرة الأخرى لتغير ملابسها .

أوقفها صوت هاتفها على النغمة التي تحددها لشريف فتعجبت وساورها بعض الضيق لما فعله بالأمس ولكنها إجابته في خفوت بعد أن أغلقت الباب خلفها كي لا يسمع خالد حوارهما والتي لم تعرف عما سيكون .

بدا صوت شريف مختنقا واهنا وهو يحدثها مما جعلها تنسى ضيقتها وتتخلى عن الفتور الذي كانت تنوى أن ترد به عليه وعوضا عن ذلك سألته عما ألم به ليجعل صوته واهنا إلي هذا الحد.

مابين سعاله أخبرها أنه بخير لكنه التقط عدوى وأصيب بالبرد ،بدا القلق جليا في صوتها وهي تسأله :طيب روحت لدكتور قالك ايه شكلك عيان اوي

ابتسم لقلقها وأخبرها أن الأمر لا يستدعى وأنه فقط سيخلد للراحة وبعض السوائل الدافئة ثم أعقب كلامه قائلا: مش قلتلك قبل كده انك شيخه ودعيتي علية وده كله حصلى علشان زعلتك .

بدا في صوتها بعض العتاب وهي تجيبه: انت عارف انى مش ممكن ادعى عليك علشان متهونش عليا

أجابها بصدق وندم: عارف عشان كده أنا مضايق اوي من امبارح ،أنا معرفش ايه اللى خلانى أقول كده لخالد وأنا عارف ان ده هيزعلك معلش سامحينى واعتذريله عنى .

_أنا هقوله بس ده ميمنعش انك تصالحه برضه علشان هو كان زعلان جامد امبارح.

بدا الانفعال واضحا في نبرته وهو يسألها في غضب :هو عمل ايه امبارح ،اوعى يكون ضربك او زعلك قسما بالله لو عمل كده لهوريه شغله .

قاطعته في حدة أمره :شريف اهدى شويه محصلش حاجه من ده كله وبعدين بلاش اندفاعك ده كل الحكاية انه كان زعلان علشان عشمان فيك وأنا هديت الموضوع.
التقط بعض من أنفاسه الثائرة قائلا: خلاص هبقى أكلمه وأراضيه بعدين ،بس المهم انت متزعليش بجد مش ببقى مرتاح وانتى زعلانه .

ابتسمت في ود قائلة :خلاص مش زعلانة بس بعد كده خد بالك من كلامك أكثر من كده .

أنهت المحادثة وخرجت لحجرة خالد الذي بدا أنه استيقظ لتوه من نومه نظر إليها باسما: صباح الخير هي الساعة كام دلوقتى .

اقتربت تزيح ستائر الشرفة وهي تجيبه: قصدك مساء الخير حضرتك العصر إذن من نص ساعة وأنا روحت الشغل وجيت .

ثم أكملت بتهكم وهي تنظر إلى الطعام المعد على الطاولة بجواره :قال وأنا اللى تاعبة نفسى ومحضره الفطار قلت لحسن تصحى ماتلاقنيش تفطر على ما ارجع .

تناول يدها بين يديه وقربها منه وقبلها قائلا بدلال: ما انت السبب انى نمت متأخر وبعدين احنا لسه عرسان جداد انت نسيتى .

ابتسمت في خجل وتوردت وجنتها قائلة: والله تستاهل اللى بيحصل ده كله ،وأفلتت من يده تجرى من الغرفة بخجل وهو ينادى عليها ضاحكا دون أن تجيبه .

****

نهضت في تكاسل وهي تنظر إلى ندي والتي كانت تغط في نوم عميق ،ابتسمت في حنان وهي تطبع قبلة على جبهتها ثم أزاحت الفراش لتخرج من حجرتها على صوت إيناس الذي علا في شغب لا يهدأ ،نظرت إليها متعجبة ومتسائلة :انت صحيتى امتى ومين شغل التلفزيون.

أتاها صوت حماتها من حجرتها مجيبا في عتاب بارد: صباح الخير أخيرا صحيتى!،ده جوزك صحي من بدري وفطرته ونزل ولما إيناس صحيت قلت ألهيها في التلفزيون لحد متقومى .

أجابتها بخفوت و خجل: صباح الخير يا ماما معلش اصلى نمت متأخر ومحستش بيه لما صحى ،أنا حتى كنت عايزه اودي ايناس الحضانة النهارده بس راحت علي نومه.

لم تعلق سامية ولكنها توجهت للحمام لتتوضأ لصلاة الظهر بينما عادت هالة لحجرتها على صوت ندى التي بكت عندما لم تجدها بجوارهما.

اقتربت منها وهي تهدهدها وابتسمت هالة من نشاطها ذلك وإشاراتها الصغيرة لتحملها أمها، حملتها بيدها وهي تتحسس الحفاظة بيدها لتستشعر بللها فقررت الذهاب بها للاغتسال قبل أن تعد لها إفطارها .

بعد فترة عادت تحملها إلى غرفة المعيشة بعد أن غيرت حفاظتها وثيابها فباغتها حديث إيناس إلي جدتها تخبرها عن غضب خالتها دينا وعن صياحها وغضبها من شريف وحديث مبعثر عن أموال.

نهرتها هالة قائلة في حدة وعصبية :إيناس عيب كده، احنا مش قولنا قبل كده منحكيش أي حاجه يقولها الكبار ومندخلش في الكلام، يلا اجرى على اوضتك .

أخذت إيناس تبكى وهي ترتمي في حضن جدتها قائلة من بين دموعها: أنا مليش دعوه ياماما تيته هي اللى سألتنى وهي كانت عارفه أنا مقلتلهاش حاجة .

ضمتها جدتها إليها وكأنها تحميها من غضب هالة قائلة مدافعة :سيبى البت متزعقلهاش هي معملتش حاجه غلط دى كانت بتحكى لجدتها يعنى محدش غريب ولا انت عايزاها تخبى علبة وتعتبرنى زى الغريب .

قالت كلماتها تلك لتقلب دفة الأمور إلى صالحها ويصبح الشجار بينهما بعيدا عما قالته إيناس.

ردت هالة عليها وهي تزفر في عصبية واضحة وهي تسحب إيناس من حضنها :أنا مقلتش انك غريبة لكن البنت مش لازم تتعود تحكى كل حاجه بتسمعها أو تشوفها كده غلط ولو انهاردة اتعودت تحكيلك بكره تحكى أسرار بيتنا بره .

قالت سامية في تبرم معترضة :أسرار بيتنا ايه ، ربنا ميجعل في بيتنا أسرار احنا معندناش حاجة نخبيها الحمد لله.

أضافت جملتها أخيرة بلهجة مميزة ذات مغزى وكأنها تتهمها وحدها بمحاولة المداراة لأن هناك ما يشين.

لم تجد هالة بد من الصمت المحمل بنيران غضبها وسحبت يد إيناس في عنف ودخلت بها حجرتها لتغير ملابسها وتستحم وهي تهتف بأعماقها أن الأمر لم يعد يطاق وقد تخطى حد احتمالها .

****

الفصل العاشر

تفاجأت بثينة عندما وجدته قد استيقظ وغير ملابسه وهم بالخروج ،أوقفته دهشة وهي تسأله كيف سيخرج ولم يتماثل بعد الشفاء .

ابتسم في وجهها مطمئنا :ياخالتو أنا بقيت كويس الحمد لله وبعدين في شغل لازم اعمله بنفسي في الشركة انت ناسيه موضوع التوكيل الجديد لازم ابقى قد المسئولية.

بدا على وجهها الاستسلام وهي تجيبه: ربنا يوفقك يا بني مقلتش حاجه بس خد بالك من نفسك لحسن التعب يزيد وانت ملحقتش ياعينى تريح جسمك.

طوقها بحنان:يا خالتو ده احنا بقينا الضهر،ادعيلى بس اتوفق في الشحنه دى واثبتلهم انى قدها .

_ ربنا يوفقك يا بني ويهديك ويصلح بالك

هم بالخروج فاستوقفته تسأله ان كان قد تناول طعامه فأخبرها أنه سيتناول أي شيء في الشركة ثم خرج وتركها تدعى له في سرها أن يحمي الله شركته .

مضى الوقت وهو يمر بين موظفيه ويعطيهم تعليماته لاستقبال الشحنة الجديدة من الأجهزة التي سيتم تركيبها وتقفيلها لديهم بالشركة .

الحركة الدؤب في الشركة جعلته ينهمك في انشغاله دون أن يلتفت إلى ساعة يده والتي تجاوزت الثالثة عصرا .

رغم سنه الصغير إلا أنه كان يحظى بمهارات عديدة وقدرة خاصة على الإدارة علاوة على الرهبة التي يلقى بها في قلوب من يعملون معه ومنهم " نادية " تلك الفتاة البسيطة التي انتفض قلبها لدى رؤيته مقبلا عليها في مكتبها متسائلا عن بعض الأوراق الخاصة ببعض الشركات المنافسة له، في تلعثم لم تعرف سببه إجابته في وجل أنها ستحضرها له في غضون دقائق ثم هرعت تجمع الأوراق حتى تسرع وتعطيها له .

في ارتباك واضح في خطواتها وضعت الأوراق أمامه وهي تنظر إلى الأرض مطرقة،التقط الأوراق منها دون أن يلتفت إليها وأخذ يقلبها في تمعن وهو يرقب الأرقام ويراجع البيانات الخاصة بتلك الشركات والفروق بين عرضه وعروضهم وما لبث أن انتهي ليرفع رأسه إليها فيراها ترمقه بنظرات متفحصة أثارت غضبه فأطرقت رأسها فأمرها في حدة متعمدة أن تأخذ الأوراق إلى مكتبها وأن تعود لعملها.

ما ان خرجت حتى استلقى في كرسيه وألقى رأسه المتعب إلى الخلف ووقعت عيناه على صورة والده التي يضعها أمامه فابتسم في شجن، التقطها بين يديه وهو يتحسس حوافها في حنين فتدافعت الذكريات إليه كاندفاع أمواج البحر الثائرة دون رقيب .

يتذكر ملامحه الصغيرة بجسده النحيف يجرى بين جنبات منزلهم القديم التابع لذلك الحي المتهالك وتتابعه ضحكاته المنهكة من كثر مجاريته ونداءاته المتكررة أن يتوقف عن جريه كي لا يصطدم بشيء ولكنه لا يبالى بنداءات والده حتى يصطدم بدينا فيضحك ويحاول أن يجتذبها من يدها لتشاركهما ضحكهما ولكنها تنفض يدها منه بحنق وتنظر إليها شزرا وتدفعه ليتوقف عن ضحكته ويقع أرضا ،هنا يتدخل والدها صافعا إياها في حده قائلا: إياك تمدى ايديكى على اخوكى تانى .

تهرع إلى والدتها غاضبة باكية وتدفن وجهها في حضنها ،تنظر إليه الأخرى بأعين غاضبة لا يلحظها أبوه فيندفع جاريا خائفا إلى غرفته دون أن يقوى على البوح خشيه تهديداتها .

لم يعرف يوما سر ذلك الكره الذي تكنه له والذي يبدو جليا في نظراتها التي تخيفه وتقد مضجعه ليالي طوال خاصة تلك الليالي التي كان يسافر فيها والده فتزداد وحدته بينهم ،يتلمس طريقا إلى قلوبهن وصحبتهن الدافئة لكنهن يأبين ويتركونه يئن من وحدته ويتجرع مرارة يتمه بعيدا خلف أبواب غرفته الموصدة دائما على عالمه الخاص.

بين عالمه وعالمهم جبال من الثلج لا تذيبها طفولته الندية وبراءته الغرة التي اندثرت أمام عنفها وقسوتها معه وكأن بينهما ثأر لا يعرف متى سينتهي ولا يعرف لمن يقدم نفسه قربانا للصفح والسماح .

وضع رأسه بين كفيه وهو يشعر بتصاعد ذلك الصداع الذي يطرق رأسه دون هوادة فيزيد آلمه مع ذلك الإعياء الذي عاوده أثر نزلة البرد .

خرج من الشركة واستقل سيارته عائدا للمنزل فلم يكن أمامه سبيل سوى الراحة ولكنه قرر المرور على أقرب صيدلية لشراء بعض الأدوية لتسكين ألمه .

توقف أمام تلك الصيدلية والتي لم تكن تبعد كثيرا عن منزله، ترجل من سيارته وهو يتساءل أين قرأ هذا الاسم من قبل "صيدلية الرحاب" لم تكن ذاكرته لتخونه لولا ذلك الإجهاد والصداع الذي يكتنفه.

جلس على أقرب مقعد واجهه دون أن يستأذن حتى أنهت ما بيدها واقتربت منه تسأله عما يريد ،دون أن يرفع رأسه المثقل إليها طلب منها شيئا سريعا للصداع.

أحضرت أمبولا وملأت به ذلك المحقن وطلبت منه أن يمد إليها ذراعه ،كشف عن ذراعه والتفت إلي الجهة الآخر فوقعت عينيه علي اسم الأمبول فالتفت هو ينظر إليها في غضب ثائر فقالت :فيه ايه ياستاذ احنا لسه مالقيناش وريد

رد عليها بغضب قائلا :ده من ستر ربنا، أنت كنتى هتدينى الحقنة دى .

قال ذلك ممسكا الامبول الذي كسرته للتو لتعطيه له فنظرت له في تعجب غير فاهمة: ايوه ،زاد غضبه وهو يقول: سيادتك كنت هتموتينى ازأي تفكرى تدينى حاجه مسكنه من غير ما تسأليني ان كان عندي حساسية ولا لا ،افرضي انى مكنتش شوفت الامبول كان حصل ايه دلوقتى ودى وريد كمان يعنى مالهاش حل .

انتفضت هلعا من كلماته لمجرد تصور ما قد يصيبه وقبل أن تنطق خرجت رحاب من المعمل بعد أن انتهت من صلاتها ونظرت إليه في غضب متسائلة عن سبب صياحه. أخبرها ما حدث فنظرت إليها شزرا متوعده إياها بعقاب قريب ثم نظرت إليه آسفة ولانت كلماتها وهي تخبره أنها لم تعمل منذ فتره طويلة لديها لذا ليس لديها الخبرة الكافية .

أجابها بحدة محاولا لملمة نفسه الثائرة: ولما هي جديدة سايباها لوحدها ليه؟،المفروض انك تكوني موجودة معاها ومتسيبيهاش تتصرف وحدها وتضر الناس .

ابتلعت حنقها وكبحت جماح غضبها عليه وبابتسامه باردة أجابته: أنا مابسيبهاش لوحدها يافندم بس دخلت أصلي العصر وهي أكيد اتصرفت لما لقيتك تعبان اوى عشان كده مستنتنيش ،وعموما احنا آسفين وحضرتك ممكن تأخد الدواء ده كويس للصداع ومافيش خوف منه .

تناوله من يديها وقرا مادته الفعالة ثم طلب منها بعض الفيتامينات الأخرى وعندما هم بدفع حسابه اعترضت وأخبرته أن يعتبر ذلك تعويضا فأجابها في حده لاذعة: أنا لو كان حصلي حاجه كان تعويضك ده مش هينفعني في حاجة وبعدين أنا ممكن اشتكيكم على حركة زى دى .

أجابته في حدة مماثلة وقد فاض بها الكيل :حضرتك أنا اعتذرتلك على اللى حصل شوف ايه يريحك واعمله .

كاد أن يجيبها بحدة مماثلة مهددا لكن قاطعهما صوت والدها الذي دخل في تلك اللحظة دهشا مستنكرا لما يحدث ووجه حديثه إليها قائلا في دهشة: في ايه يا رحاب؟!ايه اللى بيحصل؟

من بين انفعالها كانت تحكى له ما حدث بينما كان شريف يتأمله وهتف بفرحة طفولية :عمو ايهاب !!

نظر إليه إيهاب في دهشة متأملا دون أن يدري كيف عرفه ولكن ضيق عينيه وبدا وكأنه يسترجع صورته من ماضٍ سحيق ويتماثل أمامه بأعوامه القليلة وفي تذكر هتف: شريف ابن فهمي ،ابتسم شريف عندما تذكره وصافحه في حرارة وهو لا يكاد يصدق أنه يراه ،لم تفهم شيئا مما يجرى ومن هو فهمي هذا؟

أخذت ترمقه بين الحين والأخر ،إذن هو ابن فهمي الذي طالما حدثها أبوها عنه، كان صديقه المقرب وان كانت رحاب لا تذكر الكثير مما حكاه عنه لصغر سنها وقتها.

ظلت تختلس النظر إليه وتتأمل ملامحه العجيبة الغريبة تلك وعينيه التي تشعان ذكاء ،شعرت به عجيبا غريبا مثيرا للتساؤلات وهذا ما أثار فضولها، بدا حديثهما طويلا وهما يستعيدان بعض الذكريات وبين الحين والآخر يترحمان على فهمي والده حتى سأله عما جرى منذ قليل فابتسم شريف في خجل:أنا آسف الظاهر انى كنت عصبي زيادة وزودتها حبتين.

ثم استدار إلى رحاب الواقفة في ذهول من اعتذاره الذي لم تتوقعه وقال: أنا آسف يا آنسة رحاب .

ابتسمت في تصنع لتخبره أن شيئا لم يحدث ثم مدت إليه العلاج الذي طلبه فتعجب من نفسه عندما اختفي الألم الذي كان يشعر به، استأذن أن يرحل ولكن قبلها طلب رقم هاتف إيهاب الذي أعطاه له في سرور .

شعرت بصداع رهيب يكاد يودى برأسها وثقل على أجفانها، تناولت هاتفها الذي يرن في تلك اللحظة في تثاقل فتحت عينيها ونظرت للاسم الظاهر على الشاشة فوجدتها ليلى أغلقته في تبرم .

جاءتها احدي الخادمات تحمل بيدها بعض الملابس التي عادت من المغسلة، نظرت إليها دينا في خمول وهي تسألها ان كان سامح قد خرج فأومأت لها وأخبرتها أنه خرج بعد أن تناول إفطاره ولكنه لم يرد أن يزعجها،تعجبت دينا على ذلك الوقت الذي نامته دون أن تدري فقد كانت الساعة تقارب الرابعة عصرا في وهن قالت:أنا

مش عارفه ايه النوم ده كله أنا محستش بالوقت، ابتسمت المرأة قائلة: ده من اعراض الحمل متقلقيش ربنا يتملك على خير

ابتسمت دينا وهي تذكر طفلها الذي ينمو بأحشائها محدثا كل ذلك الاضطراب في حياتها وفجأة باغتتها معدتها بانقباض مفاجئ لم تستطع منعه إلي أن تصل الحمام وأفرغت ما بجوفها على أرضية الغرفة وفي إعياء قامت مستندة إلى ذراع المرأة ودخلت الحمام لتغتسل وهي تشعر بالأرض تميد بها .

دقائق وعادت لتستلقي مره أخرى على سريرها إلي أن عادت إليها المرأة تحمل بيدها قدرا من الحساء الدافئ وقطع الدجاج المسلوقة .

أشاحت دينا بوجهها إلى الجهة الأخرى: ابعدى الاكل ده عنى أنا حاسة لو كلت أي حاجه هرجعها معدتى مش مستحملة .

_مينفعش كده يا هانم انت لازم تاكلي ابنك محتاج غذا

اعتدلت دينا في جلستها وتحاملت على نفسها لتناول الطعام .

بعد أن انتهت من تناول طعامها أخذت المرأة الصينية وهمت بالانصراف وكأنها تذكرت شيئا فعادت إلى دينا لتقول :صحيح أستاذ سامح قالى اقولك تعملى حسابك انه أنهارده عازم واحد صاحبه جاي من السفر هنا في البيت.

انقبض قلبها دون أن تنطق حرفا بدا عقلها يتساءل ان كان صديقه المزعوم هذا هو ياسر ولكن لماذا يدعوه للبيت ،ماذا عليها أن تفعل ،كان هذا هو السؤال الحيوي الآن هل تتظاهر بالتعب وتذهب لوالدتها بتلك الحجة فتتهرب من مقابلته أم تقابله وان قابلته هل تتظاهر بأنها لم تره من قبل، ماذا لو انكشف أمرها، ماذا لو قام هو باخباره سامح كل شيء تعلم هي أنها لم تخطأ فيما مضى فلم يكن هو سوى إحدى المتقدمين لها ورفضته ولكن غيره الرجال تغير الحقائق تطفي عليها لمسات من الأثم لا وجود لها .

تنهدت في قلق وقررت أن تهاتف ليلى تستشيرها ولكنها تراجعت عن ذالك فهي تعلم ليلى بمثاليتها ستنصحها بالصراحة وأن تخبره كل شيء ولكنها لن تقوى على ذلك.

قالت وهي تضع الهاتف في قلق: برضه مش بيرد ،تفتكر كل ده نايم ولا يكون نزل أشار لها أن تجلس وهو يقول :تعالى اقعدي تلاقيه نزل يصلى العصر وقال يقعد في المسجد شوية ولا حد قابله من معارفه فقعد معاه على القهوة .

جلست وقلق حقيقي علا ملامحها :والله يا خالد أنا نفسى يجيى يعيش معانا هنا بدل ما هو قاعد لوحده اهو يتونس بينا وميقلقناش عليه كده

قال وهو يتناول يدها ضاحكا :يا بنتى بابا مبيحبش الخنقة، هنا هيقعد لوحده بعيد عن صحابه ومعارفه في المنطقة والسلم هيتعبه قوى، ثم أضاف بلهجه خاصة وبعدين الراجل عنده ذوق وقالك مبيحبش يبقى عزول ولا انت عايزه عزول .

ضحكت في خجل وأطرقت ناظرة للطبق أمامها وسرعت في تناول طعامها ثم فجأة وكمن تذكرت شيئا قالت في فرحة طفولية :أنا قلتلك ان دينا حامل ؟

نظر إليها دهشا : أخيرا رضيت عنه وقررت تحمل، ياستى الف مبروك وعقبالك إن شاء الله .

ابتسمت قائلة: نفسى اوى ياخالد متتخيلش بحب الأطفال ازاي بجد دى نعمةمن ربنا ربنا ميحرم حد منها ابدا .

قال وهو يضع الطعام في فمها :وهي في الشهر الكام دلوقتى .

_ لسه في الأول ،تقريبا الثانى كده .

_خلاص ياستي أوعدك افك الجبس ده اللى خانقنى ونتفرغ لموضوع العيال ده، لكزته بقوه في ذراعه وهي تقول معاتبة: انت متبطلش هزار اتلم شويه .

فأجابها في جدية: ومين قالك انى بهزر احنا متجوزين لينا كام شهر ومحصلش حمل، أول مفك الجبس نروح لدكتور ونشوف الموضوع خلاص اتفقنا

أومأت له رأسها موافقة فضمها إليه ووضع قبلة على شعرها ثم نظر إليها مبتعدا في مرح قائلا :على فكره شكلك هيبقى وحش اوى لما تحملى هتتخنى وهتفشولى ساعتها بقى متلومنيش لو بصيت لواحدة تانيه .

نظرت له في تحدى وهي ترفع أحد حاجبيها :والله انت حر وأنا كمان هبص لواحد تانى ميكونش مكسور ومجبس كده .

نظر إليها في رجاء :طاب وأهون عليكي تسبينى وأنا مدشدش كده ،حرام عليكي قالت بتشفي :تستاهل وبعدين أنا هبقى قمر لما احمل عشان هجيب بنت في الأول

قال دهشا: اشمعنى مش يمكن تجيبى ولاد

نظرت إليه في ضيق متسائلة : وانت عندك مشكلة في البنات عايزه اعرف؟

بدا ضيقها أكثر مما يجب وغير مبرر فأجابها محاولا تهدئتها: ياستى ولد ولا بنت أهم حاجة يكون سليم ومعافي والاهم بقى انه يكون منك انت .

ابتسمت في حياء وأشارت للطعام أمامها: احنا كده مش هنخلص أكل السنة دى وضحكا .

بدت في قلق حقيقي وهي تسمع صوتها بهذا الإعياء فقررت أن تحضر إليها ولكنها أخبرتها أنها بخير وأن الأمر لا يستدعى ثم استطردت :اكيد أنا بس خدت برد لما غيرت لايناس وأنت عارفه الجو برد دلوقتى .

فأجابتها : طاب خلى بالك من نفسك ومتهملیش صحتك ثم أضافت في لهجة تهكمية متسائلة :وأخبار الاحتلال اللى عندك ايه ناويه تمشى ولا برضه مبلطة .

فأجابتها هالة في توتر: لا يا ماما كويسة وبتسلم عليكي كمان .

أجبتها أمها بنفس السخرية اللاذعة: اكيد لازقالك طبعا ،أنا مش عارفه متروحش عند بنتها ليه اهو حتى تغير جو وتريحك شوية، ده موت حماكى جه على دماغك جابتها هالة تلعثم: يا ماما حسن كويس هو والبنات وقريب هنجيلك نقضى اليوم معاكى

_المهم تتغطى كويس واشربى حاجات دافية ثم أطرقت قليلا قبل أن تسألها انت روحتى لاختك زوريتها واطمنتوا عليها .

سألتها هالة في استغراب أختى مين قصدك ليلي

أجابتها والدتها في نفاذ صبر :ايوه ،اومال مين يعنى، ها اخبارها ايه وعامل ايه جوزها .

_اه ياماما الحمد الله كويس احنا كنا عنده من كام يوم

_طب متعرفيش هما هيعملوا ايه في حكاية العربية اللى ادشدشت دى، أنا خايفة يبيع أختك الدهب اللى حيلتها عشان يصلح العربية ودى هبلة أنا عارفاها تبيعله الدهب من بكرة .

_ لا يا ماما متخافيش هي متأمن عليها تبع الشركة وهي اللي هتتحمل كل التكاليف اطمنى .

قالت بارتياح : طب الحمد الله .

سمعت صوت مفتاحه بالباب فأنهت المكالمة، دخل وألقى السلام فبادرته أمه قائلة : والله لسه حماتك كانت على التليفون من الصبح تتكلم لو بدرت شوية كنت كلمتها .

ابتسم لهالة: عامله ايه طنط كويسة .

أومأت قائلة: الحمد الله بتسلم عليك ثم تركتمها واتجهت إلى المطبخ بخطوات متثاقلة من إعيائها وما ان ابتعدت حتى جذبته أمه من يده لتقربه إليها وتهمس بأذنه بصوت خفيض: مراتك شكلها حامل .

نظر إليها في دهشة فأشارت له ألا يتكلم ثم أكملت: النهاردا رجعت الصبح وليها كام يوم كده عصبيه ومش بتاكل كويس ،اسالني أنا هي بتقول برد بس على مين .

ابتسم في استسلام :يا ماما حرام عليك، حمل ايه بس دى بتستخدم اللولب يعنى صعب يكون في حمل وبعدين ندى لسه صغيرة دى يادوب كام شهر .

ضربته في كتفه قائلة بجدية : ياواد أنت عبيط ولا ايه لأ وعاملى دكتور، أنا بقولك حامل وحكاية اللولب دى مش راكبة دماغى وبعدين البنت صغيرة ولا كبيرة هي بترضعها يعنى.

في ضيق أجابها :خلاص ياماما اللى تشوفيه بس على فكره أنا اللى ركبتلها اللولب.

مصمصت شفتيها واستطردت :يبقى عشان كده، والله بكره تقول أمي كان عندها حق.

ابتسم من طريقتها وانتقادها فهو نفسه لا يسلم منها ومن لسانها ولكنه فوض أمره إلى الله فهي أمه على أي حال استأذنها ليدخل لحجرته ليبدل ملابسه .

دقائق وكانت هالة تدلف للحجرة وتحمل إيناس على يدها وهي تنظر إليه وتقول لإيناس في تودد: يلا يا حبيبتى قولى لبابا اللى أنت قلتهولى في المطبخ .

فقالت إيناس باندفاع :تيته بتقول ان ماما فيها نونو عشان رجعت الصبح.

نظر إليها والدها في حدة قائلا: ايه ياإيناس الكلام ده ،عيب يابابا احنا مش قلنا مالناش دعوة بكلام الكبار ومنقولش اللى نسمعه،

ثم نظر إلى هالة في حدة وغضب فقالت: والله مش أنا اللى علمتها كده دى الست والدتك ولما زعقت فيها من كام يوم عشان كانت بتحكيلها حاجات كنا بنتكلم فيها أنا ودينا قالتلى متزعقيش في البنت واحنا معندناش اسرار نخبيها .

ثم توقفت لحظات تلتقط أنفاسها مكملة :حسن شوفلك حل في الموضوع ده أنا تعبت من تدخلها في حياتي وأموري الخاصة قلت معلش ست كبيره زى أمي لكن تربية العيال وسلوكياتهم لا واديك سمعت بودانك البنت بتقول ايه .

خرجت وتركته يزفر في حدة وقد ضاق ذراعا بتصرفات والدته وفي الوقت ذاته يقدر تحمل هالة لها واحتار كيف يعالج الأمر دون أن يغضب والدته حتى قرر أن يتحدث معها بعيدا عن المنزل .

****

الفصل الحادي عشر

"قد نحب أنفسنا في شخص آخر كما نحب أعمارنا في أعمار غيرنا"

الساعة الثامنة تدق فيزداد توترها وترتفع دقات قلبها، انهما سيصلان في أي وقت ويجب أن تستعد ،نظرت للمرآة للمرة الثالثة خلال نصف ساعة لتعدل من هندامها وتتأكد من زينتها وشعرها .

سمعت جرس الباب فنادت أحدهم ليفتحه بينما جلست هي في ثقة لا تكشف شيئا مما يعتمل داخلها .

تنامى إلى سمعها صوت ضحكاتهما وهما يدلفان إلى الداخل ، استقبلها سامح يحتضنها ويقبلها على جبينها ،ودت وقتها أن تدفعه بعيدا ، لكنها لا تملك مقدرة رفضه أو عتابه في تلك اللحظة .

****

تقدم ياسر منها مصافحا وعرفهما سامح على بعض قائلا: دينا مراتي وحبيبتي ابتسم ياسر وهو يصافحها قائلا :اه طبعا احنا اتقابلنا قبل كده .

بدت نظرة دهشة ممزوجة بتساؤل على وجه سامح بينما امتقع وجه دينا وهي لا تدري هل يسمع سامح خفقات قلبها أم لا، تتساءل أي حماقة ينوى ياسر ارتكابها ،ربما لا يعلم بغيرة سامح ولكنه قطعا سيضعها في مأزق لن تستطيع الفكاك منه. أكمل ياسر مجيبا سؤال سامح الذي لم يطرحه قائلا: اتقابلنا امبارح قدام الشركة،المدام كانت تعبانة اوي وأنا ساعدتها ودخلتها الشركة وبالصدفة عرفت انها حامل ،ابتلعت ريقها في صعوبة وبدأ لونها يعود لطبيعته، ضمها سامح إليه بذراعيه قائلا: اه معلش أصلها حامل والحمل في أوله وتاعبها .

رفعت نظرها فجأة لترقب وجه ياسر والذي بدا خاليا من أي تعبير ،جامدا كأن لا روح فيه :مبروك وعقبال منبارك يوم سبوعه .

ابتسم سامح ثم ما لبث أن نظر إليها متسائلا: انت مقلتليش انك روحتى الشركة امبارح ،أجابته بصوت مختنق يكاد لا يسمع: جيت متأخر امبارح ومشفتكش وصحيت بدرى قبل ما اصحى وأحكيلك، بدا وكأنه اقتنع ولن يقف عند الأمر .

اشار اليه بالدخول بينما استأذنت دينا لتشرف عليهم بالمطبخ .

جلست قبالته في ارتباك لا تدرى سببه، لم يكن بينهما شيء تخشاه لكن وجوده هكذا أمامها يثير بداخلها أماني موؤدة مع سامح، أحلام لم تتجسد على أرض واقع زواجها .

لم يخف عليها نظراته المتفحصة التي شملتها من رأسها لأخمص قدميها .

في نفسها تمنت لو قبلت عرضه منذ سنوات، ربما كانت حياتها الآن أكثر سعادة وربما كانت وجدت الحب الذي تمنته ولكنها لم تفكر يوما سوى في الثراء السريع.

الحياة الفقيرة التي عاشتها دفعتها لذلك دون توانٍ وتلك الأفكار الراسخة التي استنشقتها من والدتها لم تفارقها يوما ،تذكر ضيق ذات اليد الذي جعل والدها يكتفي بتعليمها إلى أن أنهت الدبلوم وبالرغم من مجموعها ورغبتها أن تكمل إلا أنه رفض، بكت كثيرا واعتكفت في غرفتها رافضة الطعام أو الحديث مع أحد، لم يبال هو بحزنها حتى كادت أن تذبل لولا تدبر والدتها للأمر دون علمه والسماح لها بتكلمه دراستها بالمعهد .

لم يكن يعلم بأمر ذهابها للمعهد وإكمال دراستها لعدم تواجده في المنزل بسبب طبيعة عمله .

"المال" ، دوت الكلمة بعقلها فابتسمت بتهكم، هل لو أخبرته أن والدتها اضطرت للسرقة لتكفيه مصاريف معهدها سيغفر لها .

ليتها تستطيع البوح لأحد، كانت المرة الأولى التي يرون فيها غضبه هادرا إلى هذا الحد عندما هوى على صدغها بصفعة أسقطتها أرضا وهو ينطق بكلمه واحده "بتسرقينى "أعادها مرارا وتكرار وهو يكرر صفعاته المدوية على وجهها حتى انتفض جسدها وسقطت مغشيا عليها، كانت ترقبه من ثقب بابها وهي تنتفض من الرعب وهالة تتشبث بها وكلتاهما لا تقويان على الخروج لإنقاذها من بين يديه حتى عادت ليلى من مدرستها وهي تمسك بيد شريف الذي أرعبه صراخها وغضب والده الهادر فأجهش في البكاء فضمه إليه محاولا تهدئته بينما انحنت ليلى على والدتها في محاولة لإفاقتها وهي تردد(حرام عليك) لم يأبه بتوسلاتها ولا بدموعها وكأنه لا يراها ،لم يلتفت سوى لشريف الذي احتضنه بين ذراعه وخرج به من الشقة بعد أن ألقى عليها بيمين الطلاق .

انتبهت على وقوف ياسر قاطعا لحبل أفكارها مستأذنا في الانصراف رغم إلحاح سامح عليه أن يبقى لتناول العشاء معا فابتسم ياسر في دهاء: عشا ايه ده في ناس بتتغدى دلوقتي دى الساعة يادوب ثمانية ونصف .

أجابه سامح بابتسامه قائلا :اعملك ايه ما انت من أول الصبح واخدني في الكلام والشغل في المكتب وبره المكتب ومدتناش فرصه نتغدى اصلا، ياسيدى اعتبره غدا وعشا في نفس الوقت .

ونظر إلى دينا التي التزمت صمتها منذ جلستها وقال مستنجدا :طاب كلميه انت يا دينا وقوليله يقعد شويه ده مالحقش .

ابتسمت ابتسامة مصطنعة وحاولت نفض أفكارها ومشاعرها جانبا وهي تحدثه قائلة: باشمهندس ياسر الاكل خلاص جهز مينفعش تمشى دلوقتى .

نظرت لسامح الذي أكد كلامها ودون أن يعطيه فرصة للرفض أمسكه من يده وقاده إلى حيث منضدة الطعام، سارت خلفهما وهي ترقب الفارق بينهما ،لم يكن سامح أقل وسامة منه وان بدا أقصر قامة إلى جواره، لم تعرف لماذا تعقد مقارنة بينهما الآن تلك الأشياء التي يفرضها عليك عقلك دون تفسير .

لم تستطيع أن تضع نفسها أمام نظراته أكثر من ذلك ،شعرت أن عليها الهروب ولكن قبل أن تستأذنهما في الرحيل كان يقطع عليها الطريق سائلا إياها :مدام دينا ايه راي حضرتك تشتغلى معانا في المشروع الجديد .

ردت باستنكار أنا !!،أجابها بهدوء :ايوه احنا داخلين شراكة أنا وسامح في أكثر من كومباوند ،هو هيتولى التصاميم المعمارية والإشراف عليها وأنا ههتم بأمور الديكور

أجابته ولم تزل دهشتها بعد: اه بس أنا مبفهمش في المباني ولا العقارات واديك قلت حضرتك هتتولى الديكور يبقى أنا هعمل ايه .

ترك ملعقته وعلق نظره بها قائلا :ازاي بقى احنا هنسلم الكومباوند كامل من كل حاجة حتى الفرش وبصفتك ست تقدري تفهمي في أمور العفش سواء مودرن أو ستيل والمفروشات والإضاءة والحاجات دى وطبعا هتقدرى تأثرى على اللى هيجوا يتفرجوا على الشقه بعد ما تجهز لأنك هتقنعى الستات بمنطقك وانت عارفه مافيش راجل بيقرر يشترى غير لما مراته بتوافق وتقتنع بالشقه ودى مسئوليتك.

حاولت التخلص منه ولكنه كان يحصرها كل مرة بالزاوية حتى أنها لم تجد مفرًا فتحدث سامح مقاطعا :سيب الموضوع ده يا ياسر دلوقتى نفكر فيه بعدين، دينا حامل ومش هتستحمل تعب الشغل ، ثم نظر إليها: أنا مش عايز أتعبها

رفعت عينيها في خفة وبسرعة لوجه ياسر والذي ارتسم عليه الضيق سريعا ما اختفى لتحل مكانه ابتسامه قائلا :لا طبعا احنا مش هنتعبها هي ممكن تختار كل

حاجة هنا في البيت عن طريق مواقع النت ،كل الشركات بتنزل اصدارتها وموديلات العفش المستورد والمحلى على حسابها على الفيس او موقع النت وهي بس مجرد انها هتختار وتنسق معاهم واحنا هنتولى عمليه الاتفاق والنقل .

بدا كلامه منطقيا وأكثر واقعية مما دفع سامح للنظر إليها ملقيا الكرة في ملعبها قائلا: خلاص مادام الموضوع مافيهوش حركة كتير ومش هيتعبها يبقى القرار في ايديها .

سرى الشك بأعصابها كالخدر ،ماذا عليه أن تفعل الآن، ان وافقت ستضع فتيل قنبلتها بيده وقد ينفجر في أي لحظة وان رفضت فهي تحرم نفسها من رؤيته وهو شيء لا تريده الآن وقبل أن تقرر اندفع عقلها يحدثها عن سامح ورفضه العمل معه ،أنه من البداية لم يرحب بحملها ولم يهتم به إذن لماذا يهتم الآن ولماذا بدا ممانعا أنه بالتأكيد يخفي أمرا لا بل أمورا يخشى معرفتها فقالت محدثه نفسها " وكأني لا أعرف بنزواته كلها " هو فقط يخشى أن تتمكن من أن تملك دليل في يدها لا يستطيع إنكاره .

في حسم قالت: أنا موافقة ومعنديش مشكله كمان انى أعاين الشقة على الطبيعة عشان اقرر ايه اللى ممكن نحتاجه حسب المساحة والديزاين .

بدا وكأن هذا آخر ما تمنى سامح سماعه ولكنه لم يعلق بينما اتسعت الابتسامة على وجه ياسر ثم استطرد قائلا :خلاص اتفقنا بس انت دورك هيتأخر شوية لأن المشروع لسه تحت الإنشاء .

ثم نظر إلى سامح مستدركا وكأنه نسى شيئا وتذكره فجأة :اه صحيح بالمناسبة قابلت الباشمهندسه لبنى النهاردة الصبح قبل ما اجيلك وقالتلى ابلغك سلامها ،هي بالمناسبة انفصلت امتى، أنا عرفت بالصدفة ؟

بدا الارتباك جليا على ملامحه دون مواربة وخاصة عندما حدته دينا بنظرة شك ملتهبة .

فقال سامح متلعثما: اه هي انفصلت ،لا أنا معرفش كويس انك فكرتني لأنها أصلا كانت عايزة منى أوراق وأنا كنت نسيت

ألقى ياسر على دينا نظرة ذات مغزى يعطيها أول خيط في يدها لتحكم الوثاق حوله ثم عاد بنظره إلى سامح مغيرا الموضوع قائلا :انت عرفت أن زياد راجع كمان أسبوع ؟!، خلاص صفي شغله في دبي وراجع .

أجابه سامح بنبرة شاردة:اه قالى وقلتله هنا أحسن من الغربة .

بدت دينا غير مهتمة فنظر إليها ياسر موجهها حديثه إليها:بيتهيألى انت مشفتيش زياد قبل كده .

حاولت الا تواجهه بنظراتها فنظرت وهي تجيبه: لا شفته في الصور بس هو منزلش من قبل مانتجوز .

_اه مانا عارف ماهو كان معايا هناك وغلبت أقوله ننزل .

ارتسمت الدهشة على وجهها ولكنها لم تستطيع مداراتها أكثر فهي لم تتوقع معرفته بهم إلى هذا الحد ،إذن فهو يعرف كل أخبارها من زياد وليس من محادثاته مع سامح كما أخبرها .

انتهوا من طعامهم حاول سامح إقناعه بالمكوث أكثر لكنه اعتذر لأنه على موعد فابتسم له سامح متفهما قائلا :رايح تشوف سارة مش كده؟ .

قال ياسر مدافعا: اه ما أنت عارف من يوم متولدت مشفتهاش واهي قربت تكمل سنه دلوقتى ،

إذن فهو لديه ابنة ، شعرت بالأرض تميد بها وشعرت بدوار يكتنفها فأمسكت بذراع سامح خشية السقوط ،التفت إليها سامح قلقا وهي يسألها: أنت كويسة مالك ا؟

أجابته بوهن :حاسة بشويه دوخه معلش ممكن تدخلنى جوه .

تسمر ياسر في مكانه دون أن يخفي الهلع الذي ارتسم على وجهه وحركته المفاجئة التي أحجم عنها في آخر لحظة قبل أن تمتد يده لتسندها، بدا صعبا أن يوارى قلقه أكثر فتوجه إلى الداخل حيث كان سامح مع دينا .

جلست دينا في إعياء واضح مما سمعت بينما كان سامح ينادى أحدهم ليحضر كوبا من الماء .

أحس به خلفه ناظرا إليها في شفقة فقال :معلش ياياسر أنا سبتك عند الباب ومخدتش بالي ،اجابه ياسر في تفهم :لا مش مهم المهم هي كويسه لسه دايخه قالت وهي تضع كوب الماء من يدها : لا الحمد لله بقيت كويسة هي بس دوخه بسيطة وخلاص

ابتسم سامح قائلا: شكلك كده هتتعبينا على ما تولدى عشان كده مبحبش الحمل والولاده ،نظرت إليه بحنق دون أن تعقب بينما استشعر ياسر سخف وقفته فاستأذن

بالانصراف فأصر سامح أن يذهب ليوصله إلى بوابه الفيلا وتركها تشتعل غضبا منه.

_ربنا يخليكى يا دكتورة فيكى الخير شكرا على السؤال .

جلست إلى المقعد المجاور لباب الشقة الذي فتحته منذ دقائق بهدوء ،انها تحدثه إذن ولكن هل تلك المرة الأولى أم أن هناك مرات أخري لم يخبرها بها "ثم نوعان من الأغبياء أولائك الذين يشكون في كل شيء وأولئك الذين لا يشكون في شيء "وهي لا تريد أن تكون احدهما لذا ظلت هكذا دقائق وهي تحاول مقاومة شيطانها وتفكرها في ماهية التصرف الأنسب ثم ما لبث أن فتحت باب الشقة وأغلقته ثانية في قوه.

خطت إلى الداخل حيث حجرته ،ابتسمت حين رأته قائلة بمرح ودهشة مصطنعة

- ايه ده صحيت طيب الحمد لله أنا قلت هلاقيك نايم زى كل مرة، ابتسم وهو يشير إلى الهاتف جواره :لا طبعا عيب عليكي أنا مكنتش هخيب ظنك بس لولا الموبايل صحانى فرديت عليه .

حانت منها التفاتة إلى الهاتف جواره ثم رفعت حاجبها في الدهشة :ومين اللى كلمك؟، اوعى تقولى مديرك بيقولك انزل شغل دلوقتى .

قالت جملتها الأخيرة تلك محاولة إبعاد شكوكه عن كونها سمعته منذ قليل وربما أيضا لترك له مساحه للكذب ان أراد ،اجابتها :لا مش المدير دى الدكتورة رحاب فاكراها؟

عقدت مابين حاجبيها لوهلة تتصنع التذكر: اه دى الصيدلانية اللى ودتك المستشفي

- اه هي ومتعمليش نفسك مش فاكراها ده انت كنتى هتتجنى يوم مشفتيها في المستشفي .

ضربته بحقيبة يدها في قوة فآلمته حقا لكنها لم تبال ثم ببرود سألته :ها كانت عايزة ايه منك ؟.

نظر إليها بلؤم قائلا :طيب مش تشوفي دراعى ده اللى ورم من شنطتك، انت ايه حاطه فيها زلط.؟! .

بدا أنها لن تتحمل هزله أكثر من ذلك وأن قدرتها على تصنع البرود بدأت في التلاشي .

فأجابها ضاحكا :خلاص خلاص بدل ماتشيطى ولا حاجه دى ياستى كانت متصله تطمن عليا وتقولى انى مفروض افك الجبس بكره وبتسألنى ان كانت تيجى فقلتلها لا مافيش لزوم تتعب نفسها بس .

في عصبية قالت :بس، لا والله وأنت كنت عايزها تيجى كمأن .

قال في هدوء استفزها أكثر: ياحبيبى وأنا اعمل ايه واحده بتعرض خدماتها أقولها ايه بس علشان خاطرك أنا قلتلها متجيش اصل مراتى بتغير منك .

صدمتها كلمته وأعجزتها عن الكلام دقيقة حتى انفجر ضاحكا وأخبرها أنه يمزح معها وأنه فقط شكرها وطلب منها عدم المجيء .

لم تعلق على كلامه وتركته وذهبت لتغيير ملابسها بينما ظل ينادى عليها دون أن تجيبه .كانت فرحة وقلقة في الوقت ذاته، قلقه منها واهتمامها الغير مبرر ،هي إذن تحسب الأيام وتعرف موعد إزالة الجبس عن ساقه ،لا شيء يقلق المرأة سوى اهتمام امرأة أخرى بزوجها فالاهتمام يفتح أبواب الحب ولكن ما كان يسعدها حقا أنه لم يخف الأمر عنها رغم أنها أعطته مساحة كافية للكذب بتظاهرها أنها لم تسمعه، لو فكر في إخفاء الأمر لكانت تأكدت أن ثمة علاقة بينهما ولكنه اختار مصارحتها وهذا يطمئنها من جانبه أما هي فعليها أن تتولى أمرها وأول شيء اعتزمته هو محادثتها بعيدا عن خالد .كانت تختلس النظرات إليها بين الحين والآخر وهي تتعجب ذلك الحماس الذي دب بأوصالها منذ علمت بقدوم نجلاء وزوجها لزيارتها فهي لم ترها منذ أقامت منزلهم حتى أنها تعجب حين رأتها تدخل المطبخ لإعداد قالب الكعك الذي تحبه نجلاء وحسن ابنها الذي لم يتجاوز الخامسة من عمره

تركتها لتتم إعداده بينما همت بالخروج من المطبخ حين أوقفتها سامية قبل أن تخرج طالبة منها أن تحمم البنات وتبدل ملابسهم ثم نظرت إلها باستنكار قائلة :وياريت تشوفيلك حاجه تلبسيها غير الجلبية دى .

دون أن تعلن تركتها هالة وقامت بالفعل بالتغير للفتاتين واتجهت لدولابها محتارة أي العباءات قد تناسبها مع الزيادة في وزنها مؤخرا .أخذت تجرب عده عباءات دون جدوى فزفرت في حدة ويأس وألقت بجسدها على حافة السرير وهي تدفن وجهها بين راحتيها وهي تشعر بالضيق كعادة الإناث في مثل حالتها .بغضب نظرت إلى كم العباءات المكومة إلى جوارها على سريرها ثم أزاحتهم أرضا بحركة عصبية من يدها ،بقميصها الداخلي وقفت أمام مرآتها تنظر إلى جسدها ووجهها، شدت القميص على جسدها محاوله تجسيمه فبدا امتلاء جسدها جليا وخاصة بعد عملتين قيصريتن بينما أطل شحوب وجهها كوحش يفترس ما تبقى من

ثقة في نفسها.اقتربت أكثر من المرآة تتأمل امرأة أخرى غيرها تواجهها بذلك الاصفرار الذي أحاط وجهها وتلك الجفون المرتخية التي تحيط عينيها غلبهما الإعياء واتسعت الهالات السوداء أسفلهما.امتدت خيوط الإحباط تكبلها وتهد حصون ثقتها ،أشاحت بوجهها بعيدا والتفت إلي دولاب ملابسها الجديدة وانتقت أحدها وارتدته في عجلة واقتربت من مرآتها تحاول أن تضيف أي شيء من زينتها التي لم تعرف طريقها إلى وجهها منذ حملها الأخير.حاولت أن تزيل الحنق من داخلها وتواسي نفسها حتى تعالى صوت سامية التي فتحت الباب لتستقبل نجلاء وزوجها وطفلها. خرجت سريعا قبل أن تضطر إلى مناداتها ،اتسعت ابتسامتها وهي تحضن نجلاء مرحبة بها ثم رحبت بزوجها وتوجهت إلى حجرة الصالون ولكن نبرة حماتها الحادة انبتها على ذلك فلم تجد بد من اصطحابهم إلى حجرة المعيشة فهم ليسوا أغراب كما قالت سامية.

تبادلت المرأتان بعض عبارات الترحيب بينما كانت حماتها ترقبها وتتأمل ذلك (الثوب) الذي ترتديه ربما في قرارها لم تتمني أن تتألق بهكذا الشكل الملفت .

بالرغم من الإحباط الذي يكتنف هالة إلا أن ذلك لا ينكر جمالها ببشرتها البيضاء النقية رغم إجهادها والذي تبدد خلف زينتها الخفيفة، بدت المقارنة خاسرة حين وضعت نجلاء بسمرتها ونحولها المفرط إلى جوارها ولم يكن ذلك ليخفي عن سامية التي نقلت نظرها بحرفية إلى زوج ابنتها ترقب نظراته .

اتجهت هالة للداخل لتحضّر لهم أكواب العصير ريثما يبرد قالب الكعك المعد خصيصا لهم ،انطلق حسن يلاعب إيناس بشقاوته الصبيانية المعتادة بينما جلست ندى إلى جوار عمتها ترمقها في فرح.

ظلت سامية تتجاذب مع ابنتها أطراف حديث عابر عن أحوالهم وأحوال عملها في الشركة التي تخص زوجها فأخبرتها أنه بخير ثم ما لبث أن سألت عن حسن أخيها فأخبرتها هالة أنه سيأتي قريبا لأنها حدثته منذ قليل ووعدها ألا يتأخر فتدخلت سامية مقاطعه: والله يا حبة عيني هلكان في شغله مابيقعدش ساعتين على بعض في البيت وبينزل تانى .

ثم أضافت بلهجة خاصة :هيعمل ايه بقى ما هو يادوب عشان يسد مصاريف العيال من لبن وبامبرز وسيريلاك .

ابتسمت نجلاء من حديث أمها فهي تعرف جيدا تلميحاتها المتوارية ولكنها لم تشأ أن تعلق .

بدأت نظرات زوج نجلاء في اكتشاف ذلك الجسد الغض أمامه والذي بدا واضح المعالم دون قصد منها بسبب ثوبها الضيق مما يشعرها بالحرج ،رغم ذكاء نظراته لم يخف ذلك عن سامية والذي التقطه رادارها في جدارة تليق بامرأة مثلها فأخذت تنظر لهالة شزرا وهي تزفر ولا تمل من طلباتها التي توجهها إليها حتى أصبح مكوثها معهم أكثر من دقيقتين شيء صعب فاضطرت هالة للهروب إلى حجرة الأطفال حيث حسن وإيناس لترقبهما وكانت صدمتها عندما وجدتها اتلفت علبة المساحيق اليتيمة والتي كانت تحتفظ بها منذ زمن ولم تخرجها سوى اليوم .

بدا الندم جليا في عينيها وهي ترى ذرات الألوان تتناثر على سجادة الغرفة وعلى ثيابها التي اصطبغت بها، في ضيق جرتها من يديها وهي تكتم صرخاتها بداخلها ولا تبدو سوى ضغطتها الحادة على كفها واتجهت بهما صوب الحمام فتعالى صراخ حسن مستنجدا بأمه فأسرعت إليه وهي مصدومة من كل ذلك الدمار الذي أحدثوه خلال دقائق معدودة فأخذت تعتذر لهالة التي ردت في ود :لا محصلش حاجة ،أنا اللى غلطانة نسيت اقفل باب الأوضة ورايا .

اضطرت هالة أن تمنحها إحدى "التيشيرتات" الخاصة بإيناس ليرتديه بدلا من قميصه المبتل فبدا شكله مضحكا خاصة وهي تبدو قصيرة عليه وضيقة بعض الشيء.

قطع ضحكهما دخول حسن الذي رحب بهما في ود ،بين تجاذب أطراف لحديث وواجبات الضيافة والتي أثقلت بها سامية عاتق هالة مضى أكثر من ساعتين من زيارتهم والتي تبدو أن لا نهاية لها خاصة عندما تهم نجلاء بالانصراف فتحثها على البقاء أكثر بحجة أنها لم تشبع منها بعد ثم تضم حسن إليها في حنان يبدو مبالغ فيه عندما تنظر إليها بطرف عينيها داعية لابنها أن يعوض عليه الله ويرزقه و" يخاوي" البنات ،رغم محاولات نجلاء المتعددة لردع أمها من سمها الذي تبثه في كلامها بين الحين والآخر إلا أن ذلك لم يغير شيئا ويزايد خجل نجلاء من والدتها خاصة أمام صمت هالة غير المتوقع ،فجأة دون مقدمات وجه زوج نجلاء حديثه إلى هالة سائلا إياها عن أماكن شرائها لثيابها ثم كمن أدرك خطأه قال مستدركا أنا أصلي من فترة بقول لنجلاء تغير طريقة لبسها وتحاول تلبس تيرات أو فساتين بدل البنطلونات اللى على طول دى، بدا الخجل والارتباك على وجه هالة خاصة بعد هذا الحديث الذي لم تتوقعه وقالت وهي تنظر إلى عيني زوجها مستنجدة به وتشهده قلة حيلتها أمامه ،قالت: معرفش حسن هو اللى بيجيبلى هدومى.

فأومأ متفهما ونظر إلى حسن :خلاص يبقى يادكتور تأخد نجلاء معاك وتظبطها ها ها ها

بدت ضحكاته سخيفة أمام الغضب الذي بدا جليا في عيني نجلاء بينما لأول مره تؤثر سامية الصمت ربما لأن حديثها تلك المرة لن يسئ إلى هالة التي خرجت من المأزق بكياسة ولكنه ربما يحدث حرجا بين حسن ونسيبه .

ولكن حتى رغم صمتها لم يعد الجو لألفته وسرى توتر خفي غير ملموس بينهما فاضطرا إلى الاستئذان متحججا بأعماله العديدة .

****

بالرغم من السنين العديدة التي قضتها معه إلا أنها لم تر هدير غضبه هكذا بعينيه بدت غيرته واضحة حين أغلقت الباب خلفها بعد رحيل نجلاء وزوجها واتجهت إلى غرفة نومها لتبدل ملابسها ،صعق باب الحجرة خلفه وفي غضب سألها :ليه لبستى التاير ده ؟

في هدوء وتعجب أيضا أجابته :عادى يعنى لقيته قدامى لبسته .

بدا صياحه يتعالى عادي ازاي أنت مش شايفة مجسم جسمك ازاي ومبين كل حاجة ليه ملبستيش واحدة من عبايات الاستقبال كانت هتبقى ارحم من ده .

في حدة أجابته وهي تعقد ذراعيها أمامها عشان العبايات ضاقت على اوى ومكانش ينفع البسهم وملقيتش حاجة أقابلهم بيها غير ده .

ثم أردفت مستنكرة: وبعدين من امتى بتعلق على لبسى ولا بيلفت نظرك اصلا ده عشان جوز أختك قالها تلبس تايير .

في حدة أجابها لا ياهانم بس عشان هو كان مركز اوى معاكى و عاجبه اوى لبسك وجسمك اللى باين وانتى رايحة جاية مدلعة من غير أي كسوف .

تعالى صوتها في حدة: حسن خلي بالك الكلام ده مينفعش يتقالي أنا ، انت عارف كويس اني مكنتش رايحة جاية عشانه ده كان عشان امك متقولش قصرت معاهم وبعدين لما لبسي ضايقك مقلتليش ليه أروح أغيره.

_أقولك ازاي وهم موجودين بتستعرضي ، كل شوية تغيري طقم!!

في نفاذ صبر قالت وهي تحاول أن تنهي تلك المناقشة العقيمة: طيب مطلوب مني ايه دلوقتي

قال وقد بدا أكثر هدوءا: الهدوم دي متلبسيهاش تاني قدام نديم ولا غيره ولا تطلعي بيها من البيت ومن بكره ننزل نشتري غيرها.

ابتسمت وهي تقترب منه في دلال وهي تضع يدها على صدره: وايه تاني؟

تنهد زافرا بقايا غضبه : يا هالة بلا ش ده يتكرر تاني ، انت متعرفيش دمي اتحرق قد ايه من كلامه ومسكت نفسي بالعافية عشان معملش مشكلة.

قالت بدلال أكثر محاولة استفزازه: طيب وأنا اعمل ايه ان كان كل الناس شايفة مراتك حلوة ماعدا انت.

قال بدهشة مصطنعة: ومين قال انك حلوة اصلا!!

ضحك قبل أن تصدقه: انت عارفه اني بغير عليكي.

بدت فرحة على وجهها انستها ذلك الإحباط الذي اكتنفها قبل مجيء نجلاء وزوجها وقالت: بس انت عمرك ما قلتلي كده ولا حسستني بيه.

قال وهو يضمها إليه: عشان انت غبية ، ثم أردف بلهجة خاصة: تعالي أنا عاوزك في موضوع كده متأجل ليه كام يوم ولازم يتقال قبل العيال ميصحو.

كتمت ضحكتها ربما كي لا يتناهي إلي سمع سامية بينما أطفأ النور.

****

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

الفصل الثاني عشر

"الموت يهمس باستمرار في أذني :عش فأنا في طريقي إليك!"أوليفر هولمز

بدا قلق سامح سطحيا وهو يسألها ان كانت قد تحسنت أم لا، حتى عندما عرض عليها أن يأخذها إلي الطبيب تمنت أن تري قلقا حقيقيا بعينيه ، قلقا يهتز له أحبال صوته متلجلجا مضطربا خوفا عليها كتلك النيرة التي سمعتها من صوت ياسر منذ قليل وتلك النظرة التي كست عينيه والتي لا تخفي عن أي امرأة ولمسته حين ساندها حتى قبل أن يتعرف عليها .

تمنت حقا لو أن حديث ياسر أثار في نفسه أي حنق أو غضب بالرغم من خوفها الشديد من سوء فهمه إلا أنها تمنت ذلك..تمنت لو أنها أثارت غيرته عمدا حتى لو تشاجرا حتى لو منع ياسر من دخول بيته بعدها ، حتى ان لم يتفهم أي من أعذارها ، كانت فقط ستنعم بتلك اللحظة المحببة لنفس أي امرأة، فقط عندما تشعر أن زوجها يغار عليها.

الغيرة ذلك الوقود الذي يشعل نيران الحب فما الغيرة سوى نيجاتيف للحب.

لماذا هو بارد نحوها هكذا، لماذا حسه الذكوري لا ينبؤه بشيء مثلما يحدث مع النساء ، أهي الحاسة السادسة التي تملكها النساء ويفتقدها الرجال أم أنه مات حبها في قلبه فلم يعد يهتم أو يغار.كل ما كان يؤرقه وقتها هو موافقتها على العمل ، ربما من داخله لعن ياسر على ذلك الاقتراح ولكنه لم يملك سوي الإذعان لرغبتها درأ لظنونها التي لم يكن يعلم بيقينها منها منذ مدة.

- لا يا ليلي متكليمهوش

- يا خالد بس..

قاطعها برفق حاسم لم يدع أمامها مجال للنقاش ثم أردف: بابا زمانه على وصول

تمنت لو وافق على اتصالها بشريف ولكن بعدما حدث آخر مره كان ذلك يعد دربا من الخيال وإن كانت تحتاج شريف حقا فلن تستطع وحدها أن تساعده ليهبط السلم وهو بساقه المحاطة بالجبس تلك.دقائق وسمعت طرقات مميزة على الباب فعرفت بوصوله ففتحت له بابتسامة بشوشة فاقترب خالد غاضبا متكئا على عكازه

- يا بابا ليه التأخير ده كله الدكتور مستنينا.تركتهم ليلي يتقدماها وعادت لتتناول حقيبتها وتؤكد على إغلاق عيون "الموقد"، عادت لتجدهم بالكاد هبطوا درجتين

وراء أمارات الألم على وجه خالد خاصة بعد مكوثه عده أسابيع بالبيت دون حركة فكيف له أن يهبط عده طوابق دون أن يشعر بالألم!!

دهشوا عندما سمعوا تلك الخطوات الصاعدة والتي تقترب من طابقهم وزادت دهشتهم عندما وقف أمامهم ذلك الشاب دهشا ثم ما لبث أن عرض عليهم المساعدة، حاول خالد شكره وإثناءه ولكنه أصر على مساعدتهم وطلب من الحاج عبد العال أن يتنحى جانبا لأن السلم لن يكفي أكثر من فردين ثم في قوة وضع ذراع خالد على كتفه وتركه يستند عليه ، شعر خالد بالحرج في بادئ الأمر ثم ما لبث أن شعر بالامتنان للقدر الذي ساقه إليه لمساعدته ، في لحظات كانا يتبادلان حوارا معتادا لتعارف فعرف خالد أنه يقصد الشقة المقابلة فتعجب أنه لم يره من قبل فابتسم موضحا: لا أنا أصلي كنت مسافر من ثلاث سنين ولسه راجع من كام يوم، بالمناسبة أنا اسمي ياسر وبشتغل مهندس.

ابتسم خالد مرحبا وعرفه على نفسه ثم أضاف ياسر: الشقه دي شقه حمايا و أنا كنت جاي اشوف بنتي .

هتفت ليلي باندفاع دون أن تحسب حساب لكلمتها: انت أبو سارة!!

التفت إليها مندهشا فهو لم يرها فقد كانت بالخلف وأجابها: أيوه انت تعرفيها؟!

بدت الدهشة واللهفة بكلامه فقال خالد: هي سارة بنتك!، أصل مراتي بتحبها جدا وعلى طول عندها.

أجابه وهم بالطابق الأخير: آه بنتي بس والدتها اتوفت يوم ولادتها عشان كده سبت خالتها وجدتها ياخدوها ، انت عارف الأطفال ومسئوليتهم وخصوصا في السن دي.

بدا الأسى في كلماته فقال خالد مواسيا: احنا اسفين البقية في حياتك، وربنا يخليهالك.

ساندة حتى وصلا الشارع والتاكسي ينتظرهم ثم ساعده على الدخول وود الذهاب معهم لكن خالد رفض وشكره ودعاه لزيارته في منزله يوم ما فوعده ياسر بذلك ثم عاد ليصعد السلم ثانية ودق جرس الباب ، دقائق حتى كانت ريهام تفتح الباب وهي تستقبله بحرارة : ياسر حمد لله على السلامة ، عامل ايه وايه آخر أخبارك؟

قال وهو يتبعها للداخل: بخير الحمد لله ، أخباركو انتو ايه وأخبار سارة، وحشاني اوي.

أجابته بعتاب : كويسه الحمدلله ، بس لو وحشاك بجد مكنتش نزلت مصر من أسبوع ومجتش تسأل عليها غير النهاردة.

أطرق وبدت نظرات الأسى على وجهه: مكانش سهل ابدا أخد القرار واجي البيت هنا ومشوفهاش

قالت بحزن: الله يرحمها

دمعت عين ريهام ولكنها حاولت التماسك فانهيارها الآن سيزيد عذابه هو الذي فقد زوجته ولم يحظ حتى بفرصة للاعتذار عما كانت تتوهم، تنهدت بعمق حتى تستطيع كبح دموعها واستأذنت لتخبر والدتها بقدومه وتحضر له سارة.

دقائق وجاءت سيده بلغ الحزن مبلغه منها والهم يأكل من روحها أكثر مما فعله المشيب، بيد باردة صافحته وفي اقتضاب سألته عن أخباره ثم سألته متى عاد ، حاول أن يكون ودودا في حواره معها وصنع ألفة خاصة يحتاجها بعد سنين غربته المضنية لكنها كانت تحافظ على الجبال الجليدية التي صنعتها بينهما كحاجز لا يسمح بعبوره فاضطر أن يجيبها باقتضاب وساد صمت مشحون بخليط من المشاعر بينهما ما بين حزن واسي وكره ولوم وإحساس بالذنب، كلها أحاسيس لو أطلق لها العنان لضاقت بها جدران البيت .

قطع الصمت صوت خطوات صغيره مبتدئه وكلمات متقطعة لا تميز شيئا تقترب منه، انتفض قلبه حين رآها ممسكه بيد خالتها مستنده لتخطو خطوات غير متزنة تتلائم مع عمرها الذي شرف على العام ، بدت شهيه في امتلائها المحبب ووجهها المكتنز في حمره الصحة، اقترب منها في شغف وابتسامه فرحه تداعب شفتيه، انحني على ركبته أمامها فاتحا زراعيه لاستقبالها لكنها انكمشت على نفسها وتشبثت بساق خالتها رهبة منه، حاول الاقتراب أكثر لحملها لكنها بدأت في البكاء وهي تشير لريهام لتحملها، رعتها في حنان مهدهده إياها معتذرة لياسر : معلش يا ياسر أصلها مبتخرجش كتير وبتخاف من الناس اللي لسه مش واخده عليهم.

أومأ رأسه في تفهم وان بدا الحزن في عينيه ، نهض قبالتها وهو يحاول أن يداعبها بينما تبعد هي عنه محتمية بأحضان خالتها التي تحاول جاهده أن تزيل عنها خوفها وتداعبها لتضحك له.

تنهد بارتياح بعد أن أزال الجبس وحاول تحريك ساقه ببطء فردا وثنيا وحاول التحامل ليقف لكنه لم يستطع فطمئنه الدكتور أن ذلك أمر طبيعي وأنه بالتدريج سيتلاشي الألم ويعاود وقوفه عليها، شكره وخرج وهو يستند على عكازه

عدة أيام وكانت ساقه قد تحسنت وأصبح يمشى بطريقة طبيعية لم يجد بدا من العودة لعمله خاصة وقد استنزف كثير من رصيد إجازاته .

انتهي يومه الأول سريعا فمديره لم يشأ إرهاقه في أول يوم له وسمح له بالرحيل باكرا.نظر في ساعته فوجدها تشارف على الرابعة عصرا، اتصل بليلي ليخبرها أنه في طريق عودته لتعد الغداء وأثناء تناول الطعام أخبرها أن الشركة ستتكفل بكل مصاريف تصليح السيارة.فرحت ليلي وحمدت الله الذي عفاهما من عبء كهذا فلم يكن سهلا تدبير مبلغ التصليح ولكنه لم يمهلها حتى زف إليها الخبر التالي

- يالا قومي البسي، أنا حجزت عند دكتورة نسا عشان تكشفي ونشوف ايه أخبار الحمل.

بدت فرحتها بذلك الخبر أكثر من فرحتها بأمر السيارة لكنها كانت دهشة أنه حتى لم يتحدث معها في ذلك الأمر وكأنما قرأ أفكارها فأجابها

- أنا مش قلتلك أول ما أفك الجبس هنتفرغ لموضوع الحمل ، يالا يادوب نلحق معادنا مع الدكتورة.

- هتفت بفرحة: ده أنت مظبط كل حاجه بقي!

- أجابها مداعبا: اومال أنت فاكره ايه، احنا مابنهزرش، قومي البسي بقي.

قفزت مسرعة تحمل الأطباق إلى المطبخ ثم عادت تطبع قبله سريعة على وجنته فقال مازحا وهو يمحي أثار قبلتها

- اديكي مليتي وشي صلصه ، هضطر اغسله وانت عارفة بكره الميه ازاي.

أجابته ضاحكة وهي تجفف يدها وتتجه لغرفتها: احسن عشان تبقي تفاجأني تاني.

قام ليغتسل ولحق بها ليغير ملابسه ليلحقا بموعدهما.

بالرغم من دهشتها وفرحتها من زيارتها تلك إلا أنها كانت تشعر بعدم ارتياح وريبة ودعت الله من أعماقها أن تسير الأمور على ما يرام ، وأن لا تنظرها أي مفاجأة غير سارة في غرفة الكشف ، فأحلامها المزعجة المتكررة كانت تثير الخوف في نفسها بالرغم من أن هالة فسرتها بتلك الحادثة التي قام بها خالد فحمدت الله أنها انتهت إلى هذا الحد ، لكن أحلامها لم تكف عن ملاحقتها خاصة ذلك الحلم الذي رفضت قصه على أحد خشية أن يقع الحجر من قدم الطائر فتتحقق رؤيتها .

وانتبهت على صوت أحدهم يردد اسم زوجها ، أمسكت يده في وجل وسارت إلى جواره ، التفت إليها مندهشًا من خوفها ، فربت على يدها يطمئنها فابتسمت له لم يستغرق الأمر كثيرًا خاصة بعد ما أخبرتهم الدكتورة أن الأمور على ما يرام ، وأن الحمل لم يتأخر فلم يمض على زواجهما سوى بضعة أشهر ، كما أخبراها لكنها زيادة في التأكيد وتحت إلحاحه طلبت منهم بعض التحاليل التي تخصهما معًا ، ثم التفتت إليها طالبة منها أشعة رحم ، فبدا الخوف على ملامح ليلى ، فنظرت إلى خالد الذي توتر أيضًا ، فسألها إن كان هناك شيء ، فابتسمت الدكتورة لتطمئنه قائل - انت خفت كده ليه ، لا ما فيش حاجة ان شاء الله أنا بس طلبت الأشعة والتحاليل عشان تبقى في السليم ، وعشان تتطمنو كمان ، وبعدين منا طلبت منك كمان تحاليل يبقى ليه القلق.

- ابتسم خالد وهو يمسك بيد ليلى قائلًا : أنا مش قلقان أنا بس خفت منها مخها يودي ويجيب .

- ابتسمت الدكتورة ناظرة إليهما : لا يا ستي ما تخافيش بس دي تحاليل وأشعة أي اتنين متجوزين ، وعايزين يتطمنو على موضوع الحمل والخلفة بطلبها منهم ، فاطمني بلاش القلق الزايد ده .

خرجت من حجرة الكشف وهي تمسك بيده محاولة نفض أفكارها السلبية عنها متجهة إلى معمل التحاليل الموجود بنفس العمارة ، وأجروا التحاليل والأشعة المطلوبة ، واتفق خالد أن يمر بعد يومين كما أخبروه ليأخذ النتيجة .

****

نزعت ورقة النتيجة المعلقة بالحائط ولا تشعر بالتوتر من تاريخ اليوم الذي رأته بها، بدأ التوتر يعتريها وهي تضع يدها بتلقائية على بطنها ، ثم ما لبست أن نظرت إلى ندى التي تحبو في سرعة للحاق بإيناس التي تجري وتلاعبها في مرح ، وبالرغم من أن صوت إيناس لم يكن عالٍ لكنها صرخت فيها لتصمت لأن صوتها يسبب لها الصداع ، فبكت البنت ودفعت وجهها بين أحضان جدتها التي نظرت بدهشة إليها ، بينما انحت هي لتلتقط ندى التي بدأت في البكاء مؤازرة لأختها وقامت بحملها واتجهت بها لداخل حجرتها ، وتركت حماتها في دهشتها من عصبيتها غير المبررة تحاول تهدئة إيناس وإسكاتها .نصف ساعة مضت وهي تهدهد صغيرتها حتى نامت ، وخرجت من حجرتها مرتدية إحدى عباءات الخروج ، وقبل أن تهم بالخروج التفتت إلى حماتها التي سألتها في فضول عن وجهتها ،

فأخبرتها أنها ستذهب لشراء ملح ، فنظرت إليها الأخرى في دهشة قائلة : طب استني سيد أما يجي يجيبهولك ، ولا صاحب المحل يبعت لك حد بيه .

- قالت وهي تفتح باب الشقة : ما ينفعش عايزة ألحق اكمل الأكل قبل ما حسن يجي وما فيش حد تحت عند البقال .

ونزلت بعد أن أغلقت الباب خلفها بهدوء كي لا توقظ ندى ، وبعد قليل عادت للمنزل وهي تحمل بيدها كيس أسود وتوجهت به إلى حجرتها ، ثم أبدلت ملابسها واتجهت نحو الحمام .

دقائق وعادت مكفهرة الوجه يعلوه اصفرار ، واتجهت إلى حجرتها دون أن تلتفت إلى إيناس التي تبكي عليها وأغلقت الباب خلفها ، ودفنت وجهها بين يديها وهي تبكي بعدما عرفت بحملها طرقت الباب بلطف خشية أن يكون نائمًا فتوقظه ، وعندما لم تسمع إجابة فتحته برفق لتجده في فراشه لم ينهض بعد ، ودت لو تركته ليستريح ، ولكنها خشيت أن يغضب لأنها تركته وأن يفوته موعد هام في عمله ، فقررت إيقاظه في لطف ، فاقتربت منه في لطف تهزه : شريف .. شريف اصحى يا حبيبي الساعة ١٢ الظهر .

تمتم ببعض الكلمات بصوت خافت يكاد لا يسمع ، كررت هزتها لكن أوقفها بعض قطرات العرق التي تكسو جبهته ، فوضعت يدها على جبته فشعرت بسخونة شديدة ، فانتفضت فزعة وهي تنادي على الفتاة لتتصل بالطبيب ليفحصه ، ظلت إلى جواره تربت على يده محاولة امتصاص ألمه ، هالها ارتعاش بدنه ، واصتكاك شفاهه ببعضها والحمى التي تتزايد بجسده .. أقبلت الفتاة حاملة بيدها طبق المياه الباردة وقطعة قماش قطنية ، تناولتها منها وظلت تضعها على رأسه ، ربما لتهدأ درجة حرارته ، ريثما يصل الطبيب وهي تمتم ببعض الأدعية .

تعالا صوت همهمته عند ملامسة الماء البارد لرأسه وهو يهذي باسم ليلى مستنجدًا ما بين هذيانه التقطت أذنها بعض الكلمات المقاطعة بأنفاسه المهدجة : ليلى العين .. شعرها الأسود .. عين واحدة .. الدم .. الدم ..

صار يردد كلمة الدم تلك طويلًا مما جعلها تشعر بخوف حقيقي عليه ، فظلت تقرأ آية الكرسي محاولة تهدئة انتفاضة جسده حتى حضر الطبيب الذي أخبرهم بأنه مصاب بنزلة برد حادة ، أصابته بحمى مما دفعه للهذيان والهلوسة ، وأعطاه أسماء بعض الأدوية التي وصاهم أن يلتزموا بمواعيدها ، وإلا سيضطر إلى حجزه في المشفي ، فأخبرته بثينة بأنهم سيلتزمون بها ، ثم ما لبثت أن اتصلت بالصيدلية حتى يحضروا الأدوية ، وطلبت من الطبيب أن ينتظر ريثما يحضروا الأدوية .

لم يمض وقت طويل حتى جاء إحدى عمال الصيدلية ، وأعطى الطبيب المحلول ووضع فيه المضاد الحيوي وخافض للحرارة ، وقبل رحيله أكد عليهم ضرورة الالتزام بمواعيد الأدوية ، وان جد شيء يخبروه .

جلست بثينة إلى جواره وهي تمسح وجهه بيدها وهي ترى المرض قد أنهكه ، وبدا جليًا على ملامحه ، استمرت في الكمادات وهي تدعو الله أن يخفف عنه ، وتمحو دمعة هاربة من عينيها في قلق عليه ظلت إلى جواره ساعتين وهي تكرر قياس درجة حرارته من الحين للآخر ولم تشعر بارتياح إلا عندما بدأت درجة الحرارة في الهبوط ، وان كانت كلمات هذيانه لم تتوقف بعد مما أثار مخاوفها خاصة تلك الكلمات الغريبة التي يرددها . أفاقت على هزة الخادمة لها فنظر غير مستوعبة ، فأخبرتها أنها غفت إلى جواره دون أن تشعر .

نظرت إليه بأعين ناعسة سائلة عن الوقت فأخبرتها أنها تجاوزت الخامسة مساء ثم أردفت:يا هانم انت مأكلتيش حاجة

مش لما نطمئن على شريف الأول ، هو الدكتور مش قال في حقنة دلوقتي.

التفتت الفتاة خلفها لتلتقط العلاج من على الطاولة :آه هو قال كل ٦ ساعات

التفتت لتضعه بالمحلول ثم ساعدت بثينة للخروج من الحجرة وأصرت عليها لتأخذ علاجها فاستجابت تحت إلحاحها.

فاجأها رنين الهاتف بالخارج فطلبت من الفتاة أن تجيب فأخبرتها أنها ليلي وناولتها السماعة وانصرفت لتعد الفطار.

استشعرت ليلي نبرة القلق في صوت بثينة فسألتها عن أحوالها وأحوال شريف،لم تجد بدا من إخبارها خاصة وأنها أرادت أن تسألها عن تلك الكلمات التي يهذي بها.

ارتبكت ليلي وبدا القلق في صوتها :طيب ممكن أكلمه وأطمئن عليه

قالت في أسى: والله يا بنتي هو نايم من الضهر وبيهلوس قلت يمكن من السخونة بس السخونة نزلت ولسه الهلاوس، أنا قلقانة اوي عليه.

_خلاص أن هاجيله دلوقتي اطمن عليه،سلام.

أغلقت الخط والتفتت إلى خالد الذي بدا أنه امتعض من اتصالها ولكنه لم يكن ليمنعها ،بدت متوترة لكنها حسمت أمرها ولكن في إصرار طلبت منه أن تذهب

لشريف قالت برجاء قبل أن يعترض: أرجوك أنا لازم أروحله دلوقت، انت متعرفش حالته عامله ازاي.

بدا مندهشا من قلقها فسألها بجدية محاولا الوصول للحقيقة: ليلي فيه ايه ؟شريف ماله وايه الي قلقك كده؟

ترددت في إخباره لكنها أنهت صراعها : خالد أنا معرفش شريف حصله ايه بس عنده حمي بيهلوس من الصبح.

في دقائق ارتدت ملابسها وكذلك خالد الذي قرر توصيلها دون أن يصعد معها و أخبرها أنه سيعود لاصطحبها ثم اتجه إلى بيت والده ،لم تشأ أن تجادله ربما لأنها تمنت حقا ألا يصعد معها.

****

الفصل الثالث عشر

(الحياة من دون ابتلاء لا تستحق العيش)سقراط

استقبلتها بثينة في لهفة وكأنما تستنجد بها فاستأذنتها ليلي في الدخول إليه .

دخلت إليه في لهفة وخوف حقيقيين ،ألقت بحقيبتها إلى جوارها بإهمال وجلست تلتقط كفه بين يديها وتربت عليها ثم ما لبثت أن اقتربت منه واضعة يدها على رأسه في حنان ونادته : شريف ، شريف أنا ليلي ،فوق يا شريف وكلمني.

لم تكن حرارته مرتفعة بينما كان هذيانه مستمرا ،اقتربت منه تهزه في رفق كي لا تفزعه وظلت تكرر نداءها، في وهن فتح عينيه ونظر إلى الفراغ أمامه ثم انتفض وانكمش أكثر في فراشه وهو يردد: النار النار..الست، عين واحدة، الدم.

قال ذلك بفزع وهو يشير إلى الفراغ أمامه ويغمض عينيه خوفا وفزعا ، أمسكت يده محاولة تهدئته ولكنه سحب يده وغطي وجهه وهو يصرخ : ابعدي عني، ابعدوا عني ، بلاش تقتلوني ، طفو النار ، بلاش لا..لا..لا

دخلت بثينة الغرفة على صوت صراخه فزعه وهي تتساءل عما أصابه فاستأذنتها ليلي أن تخرج وتتركهما بمفردهما اعترضت وفي عدم فهم اقتربت منه فتعالى صراخه وازداد فزعه فقالت بحسم: لو سمحتي يا طنط تفضلي دلوقتي وسيبينا لوحدنا.

خرجت بأسى وهي لا تستوعب ما يحدث .

اقتربت منه ليلي بعد أن أغلقت الباب وجلست إلى جواره وبهدوء أزاحت الغطاء عن وجهه وهي تناديه بحنان حتى استسلم لها وتركها تكشف وجهه ثم ما لبث أن انتفض فجأة والتفت إليها غير متعرف عليها فقال بهدوء: اهدي يا شريف، أنا ليلي .. متخافش أنا جنبك محدش هيأذيك ، محدش غيري معاك في الاوضه.

فتحت ذراعيها فألقي برأسه على صدرها وتعلق بها وانكمش على نفسه أكثر، ظلت تربت على ظهره في حنان وهي تضمه إليها كطفل رضيع يحتاج حنانها حتى بدأت أنفاسه في الانتظام وهدأت روحه وتمالك أعصابه.

ابتعد تدريجيا عنها وهو مازال يغطي وجهه بيده وسألها بصوت مبحوح : في حد غيرنا في الاوضه؟

أخبرته أن لا أحد غيرهما بالحجرة ثم سكتت برهة قبل أن تسأله عما به ، أجابها بهدوء وصوته عاد لطبيعته بينما مازال مغمضا عينيه: نفس الحالة القديمة ، ست بعين واحده بشعر اسود طويل مغطي وشها ، كانت هنا في الأوضة وهددتني وقالتلي هتقتلني هتولع فيا النار ، شفتها بتقطع شراينها قدامي والدم ملا الأوضة ، حسيت برعب وهي بتقرب مني بدأ صوته في التهدج وشرع في البكاء: كانت هنا يا ليلي ، كانت قريبة اوي حسيت بنفسها قريب من وشي ، شكلها يخوف اوي، كانت عند الشباك ومشيت اول ما سمعتك.

أكمل وهو يتشبث بها بكلتي يديه: ليلي متمشيش وتسيبيني ، ساعديني.

عادت تربت على ظهره وهي مطرقة مفكرة تحاول استيعاب الأمر ، إذن فقد عادت الهلاوس إليه مره أخري ولكن تلك المرة أصبح الأمر أكثر خطورة وهباء تركه هكذا دون علاج.

****

ابتسمت في ود وهي تصافحه وقد بدا بعيد الشبه عن سامح وان كان يملك نفس عينيه بنفس الذكاء الذي يأسرك حين التعمق بهما، قال بمرح: انتي بقي العروسة اللي جننت اخويا!!

اتسعت ابتسامتها:الكلام ده قديم قوي كان المفروض يتقال من سنين.

قال وهو يجلس بأريحية أدهشتها: معلش بقي الظروف هي اللي خلت الواحد ماينزلش الفتره اللي فاتت دي، بس ملحوقة ادیني جيت ومش ناوي اسافر تاني.

ضربه سامح على كتفه مازحا وقال وهو يجلس على يد المقعد الذي تجلس عليه دينا: افلح ان صدق

ثم أكمل وهو يضع ذراعه حول كتفها: اهو ليه سنين بيقول الكلام ده وغلبت اقنعه يرجع معايا من زمان ومكنش راضي طبعا عشان بنات دبي.

نظرت له دينا دهشة: انت مش متجوز؟!

قال مندفعا بمرح: لأ، بس لو لقيت عروسة حلوة زيك ممكن أغير رأيي.

بدا الخجل جليا على ملا محها واندفعت حمرتها إلى وجنتها مما زادها جمالا وأطرقت فأكمل ضاحكا موجهها حديثه لسامح: ايه ده ، دي لسه بتتكسف، لا ده النوع ده انقرض من زمان.

ضحك سامح لكلامه: انت مش هاتبطل هزارك ده اتلم شويه دينا لسه ماتعرفكش ممكن تزعل منك.

اقترب بوجهه منها وهي مازالت مطرقة ثم قال بلهجة ودودة: انت صح زعلتي مني؟!

ابتعدت بوجهها عنه ووقفت لتتخلص من مزاحه الذي ألجمها بجرأته واستأذنته لإعداد الطعام، ابتعدت وهي تشعر بنظراته تتبعها مما أثار حفيظتها.

لم تكن قد ابتعدت كثيرا حين سمعته يسأل سامح: ايه اخبار لبني السريني لسه بتشوفها؟

قال كلامه ذلك بلا مبالاة وهو يشعل سيجارته دون أن يتأكد أنها ابتعدت.

التفتت لتتلاقي عيناها في عيني سامح الذي كان يتبعها بنظراته، في حوار قصير دام لحظات زاد حنقها عليه، أطرق ساكنا فأولته ظهرها في تأفف وابتعدت دون أن يلحظ زياد أي مما حدث وأكمل حديثه في هيام: دي كانت مزة، أنا سمعت انها اتطلقت طبعا ودي ممكن يملي عينها راجل واحد ازاي دي.....

قاطعه سامح بلهجة حادة: انت اتجننت، أنت ناسي اني متجوز ومراتي في البيت، اقولها ايه اما تسالني مين لبني اقولها اختي!!

نظر زياد إليه بتهكم وقال بسخرية وهو ينفث دخان سيجارته بعيدا لا قولها دي أول واحده حبتها في حياتي واللي يتمناها اي واحد

رد عليه بنفس تهكمه: طيب ومتجوزتهاش انت ليه يا فالح مهي كانت عجباك؟!

قال: انت عارف كويس أني ماليش في الجواز زي لبني بالظبط عشان كده كنا معمرين مع بعض بس انت كنت هاتموت عليها، تنكر؟!

قال سامح ممتعضا: أنا بعدت لما عرفت انك بتحبها وبعدين خلاص الموضوع انتهي ومبقاليش علاقه بيها بعد ماتجوزت.

قال بسخرية وهو يثبت نظراته عليه: مبقالكش علاقه بيها!، امال ليه لما شوفتها امبارح قالتلي انك كنت بتتعشي معاها من كام يوم وانكو كمان اتفقتو تسافرو اول الشهر مع بعض، ثم مال عليه وسأله بخبث: قولي صحيح هو انتو هتسافرو فين؟

قفز سامح من مكانه وهو يضع يده على فمه: اسكت انت هاتفضحني، دينا لو سمعتنا هتبقي مشكلة وأنا مش ناقص هي اصلا شاكة لوحدها.

ضحك زياد في تشفي: والله وبقيت بتخاف من المدام، بس عايز الحق هي ليها حق تغير ماهي حلوة برضو ومتستاهلش تخونها بس تقول ايه بقي لبني وسحرها.

بدا حانقا وقال في تبرم: كفاية قفل على الحوار ده.

رفع كتفيه بلا مبالاة وصمت بينما نادتهما دينا للغداء غمس سيجارته بقلب منفضة السجائر ونهض إلى طاولة الطعام

_ يا بنتي وأنتي كل حاجه تصدقيها، مايمكن بيهزر معاه ليه خدتي الكلام جد.

بدا الغضب يقطر من كلماتها وقالت بحدة: يا ليلي انتي هبلة ولا بتستهبلي،بقولك اخووه اللي لسه واصل بيساله عنها وأنا سمعت كلامهم، البيه كان بيحبها من زمان وحن لحبه القديم وقال يجدده من تاني وكمان متفقين يسافرو مع بعض.

كانت ليلي شاردة قليلا فعقلها مع شريف وقلقها يتزايد عليه لكنها بالتأكيد لن تخبر دينا بالأمر ليس فقط لأن دينا في مشكلة حقيقية تشغلها ولكن أيضا لأنها لن تهتم بالأمر بل ربما تشمت به، فاقت من شرودها على صوت دينا وأطرقت وهي تحاول أن تجد لسامح مخرج وان كانت بقراراتها تعلم بصحة ما تشعر به بعد كل ما سمعت ولكنها لم تشاء أن تؤكد ظنونها كي لا تخسره، نظرت إلى دينا التي استحال غضبها إلى نوبة بكاء وهي تلعن حظها، حاولت ليلي احتوائها: صدقيني يا دينا حتى لو كل ده صح مسيره في الاخر هايرجعلك، سامح بيحبك ودي نزوه وهتعدي بس استحملي الفتره دي.

من بين دموعها أجابتها : عارفه يا ليلي لوأنا حاسة انها نزوة كنت استحمل لكن كلام اخوه بيقول غير كده، حتي ياسر لما سأله عنها حسيت أن فيه حاجة ورا كلامه مش مريحاني .

قطبت ليلي مابين حاجبيها :ياسر مين ؟

أطرقت دينا ثم قالت :ياسر ده صاحبه وكان زياد في دبي ولسه راجع و.....

ضيقت ليلي عينيها وهي ترقب دينا في خبث:وايه؟

زفرت دينا في استسلام:وكان بيحبني قبل ماتجوز واتقدملي ورفضته.

رفعت ليلي حاجبيها في دهشة:وايه اللي لمه على زياد وسامح.

_كان زميل سامح من الكلية وعرف زياد بره وكانوا اصحاب وعارف كل اخبارنا من زياد.

شردت ليلي محاولة التذكر قبل أن تسأل:هو كان متجوز؟

أجابتها دينا مندهشة :وانتي عرفتي منين؟

ارتسمت ابتسامة على جانب فمها وهي تتعجب من مصادفات القدر ثم وصفته لدينا التي اتسعت دهشتها وهي تومئ لها أن نعم ثم ما لبثت ليلي أن أكملت: يبقي هو فعلا ابو سارة اللي قدامنا

سألتها دينا في اهتمام: انت شفتيه، هي بنته فعلا ساكنة قدامكو.

_آه قابلنا على السلم لما راح خالد يفك الجبس

وأكملت تحكي لها كل ما دار بينه وبين خالد وما عرفته من ريهام عن زوجته فسألتها دينا باهتمام: هي أختها ماتت ازاي؟

_هي قالتلي انها ماتت وهي بتولد سارة أصل كان عندها القلب.

بدا حزن حقيقي على ملامح وجهها وتذكرت أسفة حين سألته عن زوجته وعلمت مدى ألمه.

لاحظت ليلي ذلك الاهتمام الذي ظهر على وجهها حتى أنها نسيت مشكلتها ولكنها نفضت الفكرة عن رأسها ثم قالت مقاطعة الصمت بينهما: انت عرفتي أني روحت عملت التحاليل أنا وخالد عشان نشوف موضوع الحمل.

ابتسمت دينا وهي تتمني لها أن تكون النتائج سليمة ثم أردفت: ياستي متستعجليش ، انت لسه ليكي كام شهر بس بلاش تلخمي نفسك بالعيال من دلوقتي.

_ انت متعرفيش أنا وخالد متحمسين ازاي ده مجرد مافك الجبس أصر نعمل التحاليل

ضحكت دينا: والله أنتو مجانين بس يا ستي ربنا يكرمكو

همت للرحيل بينما حاولت ليلي استبقائها لكنها قرره الرحيل وعلى باب الشقة تبادلا أطراف الحديث كعادة النساء في نفس الوقت انفتح باب الشقة المواجه وخرج ياسر حاملا سارة على ذراعه.

تسمر كل منهما في مكانه تحت وقع المفاجأة وكان ياسر الأكثر اندهاشا بينما ريهام خلفه تلقي التحية على ليلي التي شعرت بالتوتر السائر بينهما فقالت: ازيك يا باشموهندس ، اخبارك ايه؟

_الحمدلله ، أخبار حضرتك واخبار الدكتور ايه ؟

_الحمد لله

ثم التفت إلى دينا: ازيك يا مدام دينا اخبارك ايه؟

أطرقت وهي تجيبه بخفوت: بخير الحمد لله

ثم نظرت إلى ذراعه متسائلة: هي دي سارة؟

ابتسمت لها الطفلة ثم أشارت لها فحملتها منه وضمتها إليها تقبلها : انتي حلوة اوي.

التفتت ريهام متعجبة مما يحدث فقالت ليلي موضحة:باشمهندش ياسر صاحب سامح جوز دينا واحنا قابلناه أنا وخالد من كام يوم لم جيه يزوركم.

أومأت لها بتفهم ثم استأذن ياسر لينصرف بعد أن أخذ سارة من دينا ثم ما لبثت أن رحلت دينا بعد أن ودعت ليلي وريهام.

تحت العمارة كان ياسر ينتظرها وما أن رآها حتى عرض عليها أن يقلها ،حاولت الاعتراض لكن تشبث سارة بها دفعها للموافقة فحانت منها نظرة مترددة نحو سيارتها فقاطع تفكيرها :ماتقلقيش هبعت حد ياخدها للبيت .

ابتسمت وركبت الي جانبه وانطلق في طريقه تحت نظرات ليلي التي كانت ترقبهما من الشرفة.

تحت إلحاحها واقف على زيارتها لوالدتها بينما قرر أن يقضي النهار مع والده قبلته في سعادة واتجهت لترتدي ملابسها فتعالى صوته يخبرها أنه سيمر على المعمل ليأتي بالنتائج اليوم فلم يتلق اجابة فلحق بها فوجدها متجردة من ملابسها وما أن رأته حتى صرخت ودفعته لتغلق الباب فضحك وهو يخبرها أنه رآها فوبخته وهي تشعر بالخجل ثم ما لبثت أن ارتدت ملابسها وفتحت الباب قائلة : كنت بتقول ايه؟

نظر إليها في مرح: انت اتكسفتي ليه، أنا مش جوزك برضو؟!

اقترب وهو يضع أنامله بين خصلاتها المنسابة بعشوائية مثيرة على وجهها ثم ما لبثت أن اندفعت أصابعه في دلال تداعب طرف أذنها فانتفضت للخلف وهي تشير إليه محذرة: خالد بطل، احنا كده مش هننزل من البيت النهارده.

اقترب غير مبالٍ بكلامها وهو مازال يتأملها بشغف: مش مهم بلاش ننزل ، ثم ضمها بين ذراعيه وهي تحاول أن تبعد نفسها عنه في دلال: بس يا خالد بقي.

تركها تفلت بنعومة من بين يديه ثم قال معاتبا: طيب اعملك ايه ، قلتلك متقفيش قدامي بالبضي والبنطلون كده، لأ وشعرك مفرود كمان.

ضحكت وهي تتجه صوب دولابها قائلة بدلال: خلاص هكمل لبسي عشان تتلم.

قال وهو يقف خلفها مباشرة ويحيط خصرها بذراعيه ولامس شعرها وجهه فاستنشق عبيرها الذي يأسره ومال بشفاهه نحو أذنها هامسا: يعني ضروري النهارده تروحي لمامتك؟

التفتت لتواجهه فمال بشفاهه نحوها فدفعته برفق ضاحكة : يالا بقي روح غير هدومك .

زفر بنفاذ صبر قائلا بتبرم: خلاص أمري لله، بس لما نرجع لينا حساب تاني.

ضحكت وهي تكمل ملبسها وأكمل ملابسه هو أيضا.

فرحت لرؤيتها وسألتها عن حالها وحال خالد فطمأنتها عليه وأردفت بعتاب: بس انت حتى مجيتيش تطمني على خالد بعد الحادثة.

جلست قبالتها قائلة: أنا بطمن بالتليفون أصل السلم صعب عليا ماانت عارفة، ثم أردفت : هو اخواتك راحولك مش كده؟!

أومأت برأسها فعادت تسألها: وشريف جالك كمان؟!

_ايوه ، ثم سكتت برهة قبل تسألها: هي الحاجات القديمة بتاعة شريف فين؟

قالت بعدم فهم: حاجات ايه؟!

_كتبه وأوراقه ، حاجته اللي كانت هنا بعد ماراح مع بثينة.

مصمصت شفتيها قائلة بلا مبالاة:مش فاكره، تلاقيني رمتهم ولا حرقتهم ، مش عارفة شاغله نفسك بيهم ليه؟

ثم أردفت : هو في ايه ، هو قال انه عايزهم؟

لم تشأ ليلي أن تحكي شيئا فقالت باقتضاب: لا مقاليش، بس تعب زمان رجعله تاني.

بدت نظرة شامتة بعينيها ولوت شفتيها: طول عمري بقول الواد ده مش طبيعي، فين ابوكي ييجي يشوف الواد اللي راح اتجوز عليا عشان يجيبه ، لو كان لسه عايش كان مات بحسرته عليه ومن اللي فيه.

زفرت ليلي في ضيق: يا ماما حرام عيكي ، بقولك تعبان.

غاضبة أجابتها: حرام عليا أنا ولا على ابوكي اللي فضله عليكو وكتبله كل فلوسه قبل ما يموت وحرمكوا منها، اللي بيحصله ده ذنبكو.

صاحت بحدة: كفاية بقي، ما قلتلكم ميت مره ان الفلوس دي فلوس امه اللي ماتت وده ورثه منها ولو كان اداهالنا كان ده اللي بقي حرام.

قالت مغمغمة: قال ورثة قال، هبله وهتفضلي عمرك كله هبله، انت ناسيه ان ابوكي كان شغال في شركه السكر ومرتباتها كانت ياما.

تركتها واتجهت صوب المطبخ لكن ليلي أوقفتها بسؤالها المباغت: ماما، هو بابا مات إزاي؟

تسمرت لحظة بمكانها دون أن تواجهها، بدت اللحظة دهرا قبل أن تلتفت إليها والاضطراب يعلوها قائلة: بتسألي ليه، هو شريف قالك حاجة؟!

-لا مقاليش حاجة، أنا بس حبيت اعرف ، انت عمرك ماحكيتيلنا.

أولتها ظهرها وأكملت طريقها للمطبخ: مات زي الناس ما بتموت .

لحقتها ليلي وأخبرتها أنها ستصعد للسطح لتبحث عن أشياء شريف وان لم تجدها ستذهب للحجرة المغلقة وتبحث وسط الأشياء المهملة المتراكمة.

أمام إلحاحها قالت: استني بدل ما تبهدلي الدنيا، ثم أشارت لها برأسها: في اوضتك هتلاقي كرتونه كبيره تحت السرير فيها كيس اسود مربوط فيها كل أوراقه وحاجته.

ابتسمت وخرجت واتجهت إلى حجرتها والتي كانت تتقاسمها مع شريف فيما سبق قبل أن يرحل مع بثينة.

أفرغت محتويات الكرتونة بعناية وهي تتأملها بعمق وتحاول أن تجد أي شيء يفسر تصرفاته الغريبة وتلك الهلاوس.

لا تتذكر متى بدأ معه الأمر لكن حالته ازدادت سوءا بعد وفاة والده حين انتابته حالة فزع شبه يومية ، كان ينتفض من نومه فزعا ويستمر في صراخ متواصل لا ينقطع، وقتها أيضا أصيب بحاله فقدان النطق والتي أهملوها بالبداية ظنا منهم أنها حالة مؤقتة من حزنه على وفاة والده حتى ألح عليهم إيهاب صديق والدها أن يعرضوه على طبيب نفسي.

بالطبع الأمر كان مرفوضا ولم يتحمس أحد للفكرة فزيارة الطبيب النفسي من أكثر الأشياء رفضا ، أكثر من ثلاثة أشهر ولم يهتم به أحد حتى حضر إيهاب ذات ليلة وأصر على اصطحابه رغم معارضة زوجه أبيه.

أخبرهم الطبيب وقتها أنه يعاني من حالة نفسية واكتئاب حاد وأنه يجب أن يخضع للعلاج المكثف في المصحة، لم يجد اقتراح الطبيب أي صدى لديهم فلم يكن أمامه سبيل سوي جلسات علاج أسبوعية مع بعض العقاقير التي يجب تناولها في مواعيدها.

بالطبع لم يجد الرعاية اللازمة ولا الاحتواء النفسي الذي يفتقده مع من حوله باستثناء ليلي التي وبالرغم من صغر سنها إلا أنها كانت تشعره بكثير من العاطفة التي يفتقدها.

تنهدت وهي تحاول أن تضع ذكرياتها جانبا لكن هباء فكل شيء تراه أمامها كان يذكرها بذلك الماضي الأليم.

عامان كاملان لم يكن ينطق حرفا حتى أصبح صمته شيئا اعتياديا بالبيت توالت بعده عودة نوبات تبوله اللاارادي والذي أصبح معاناة حقيقية له ولمن حوله خاصة مع نوبات التوبيخ الحادة والتي تصل إلى الضرب أحيانا.

لم يكن الحال يختلف كثيرا في المدرسة فكونه غريب الملامح كان دافعا لنفور أصدقائه منه ناهيك عن تلك الحالة التي وصل إليها مما زاد انطوائيته وعزلته حتى

صار يتقوقع في حجرته بالأيام لا يشعر به أحد سوى ليلي التي كانت تحادثه بين الحين والآخر آملة أن تتحسن حالته أو يرد عليها حتى كان ذلك اليوم والذي تذكره جيدا ، كانت عائدة من مدرستها بعد يوم شاق فألقت بحقيبتها في إعياء وهي تئن من الصداع ثم هرعت لتبحث عن والدتها لتشكو لها فلم تجد بدا من إعطائها بعض الأقراص المسكنة ولكنها لم تكن تستطيع بلع الأقراص لذا قامت والدتها بطحنه جيدا ثم أذابته في قليل من الماء لتتناولها.

إلى تلك اللحظة لم تكن تعلم لما يرقبها في صمت حتى رأى الفنجان المذاب فيه القرص في يدها ، اندفع بجنون ليسقطه من يدها وهو يصرخ محذرا .

عقدت المفاجأة ألسنتهم ولكنها هتفت فرحة حين سمعته يتكلم واحتضنته بشدة ووسط دهشتهم لم يلتفت أحد إلى نظراته الشرسة نحو زوجة أبيه ونحو الكأس المنكسر على الأرض.

لم تجد بين أشيائه أكثر من دفاتر الرسم والتي اكتظت برسومات طفولية رديئة تكاد لا تبين شيئا ، لم يكن موهوبا بالرسم لكنه كان الطريق الوحيد لديه ليفرغ فيه أفكاره ونوازعه .

ابتسمت حين رأت صوره لها بين طيات دفاتره ومن الخلف رسم عليها قلبا صغيرا وكتب اسمها بداخله، التفتت إلى رسوماته فوجدت أكثرها لطفل وطفلة أطول قليلا تمسك بيده ، كانت تعرف أنه يرسمها وهي تمسك بيده وفي الجهة المقابلة كانت فتاتان بشعر أشعث وملامح غريبة تنظران نحوهما في غيظ ولم تحتج ذكاء أنهما دينا وهالة لكن ما أوقفها فعلا كانت تلك الرسمة المخيفة حقا والغريبة على كون طفل بمثل سنه ليرسمها، كانت لامرأة بشعر أسود طويل منسدل على جانبي وجهها ولكنها بعين واحدة وذراعين طويلين وحولها نيران بكل مكان.

أوقفتها الرسمة وتذكرت كلماته " المرأة_النار_عين واحدة " ، إذن فهي هلاوس تلازمه منذ صغره ، شعرت بخوف حقيقي عليه ، هل كان ذلك جنونا أم أن له علاقة بحالته النفسية بصغره ، ظلت تقلب في الدفاتر باهتمام فوجدت تكرار لنفس الرسمة مع اختلاف بعض التفاصيل ولكن راعها صورة الطفل في آخر صفحه من نفس الكراسة ، طفل صغير يبدو الخوف على ملامحه يضع يديه على عينيه الباكية بينما سرواله تتساقط منه قطرات الماء.

كان هو بخوفه والذي لم يصرح به لأحد ، رسمة أخري اشد غرابه وأكثر غموضا من سابقيها ، نفس المرأة تمسك بيدها فنجانا صغيرا كالذي تعد به القهوة وباليد الأخرى كيس صغير تسكب من محتواه في الفنجان.

بدا الرسم مبهما لكنها عزمت رأيها أن تعطي تلك الدفاتر لطبيب نفسي وتشرح له حالته ليساعده في العلاج.

كادت تصطدم بوالدتها وهي تخرج مسرعة وكان شبحا يطاردها ، في دهشة سألتها عن تلك الدفاتر بيدها ولكنها لم تجبها واستأذنتها لترحل متعللة بقدوم خالد وانتظاره لها بالأسفل وتركتها لدهشتها ورحلت.

****

الفصل الرابع عشر

(الشيطان يكمن في التفاصيل)

ما ان دخل حتى استقبلته أمه بسيل شكواها الروتينية ولكنه لم يجد في نفسه جهدا لمناقشتها فاستأذنها ليبدل ملابسه ولكنه تفاجأ بنوم إيناس بالأرض وعدم وجود أي من هالة أو ندي ، هم برفع إيناس فأوقفته بإشارة من يدها: سيبها ، دي فلقت نفسها من العياط وأمها مش سائلة فيها لحد ما اتهدت ونامت.

فرفعها في حنان فلفت ذراعها الصغير حول رقبته وهي مازالت تغط بنومها ، سألها عن هالة فأشارت له بيدها : في أوضتها من ساعة ما صحيت ، نزلت جابت حاجات معرفش ايه ودخلت وقفلت على نفسها دي.....

قبل أن تبدأ بسيل شكواها المعتاد تركها ودخل حجرته.

وضع إيناس بسريرها ونظر بقلق إليها وهي تدفن رأسها بين راحتيها: هالة مالك، في ايه؟

لم ترد فجلس جوارها وقلقه يتزايد ورفع رأسها متفرسا في وجهها الذي بدت آثار البكاء جلية عليه.

في وهن أخبرته أنها حامل ، بدا مصدوما للحظات ثم ما لبث أن تمالك نفسه ورسم ابتسامة على شفتيه: طيب وهو ده اللي مخليكي تعيطي كده، يا ستي الحمد لله ، أنا افتكرت في حاجة حصلت ولا ماما عملت حاجه ضايقتك.

نظرت له باستنكار وهي تتعجب ردة فعله خاصة وهو طبيب: حسن انت ناسي اني مركبة شريط وان دي مصيبة لو كان اتحرك من مكانه؟!

ربت على كتفها مطمئنا: متقلقيش مافيش حاجه إن شاء الله ، أنا بليل هاخدك نعمل سونار ونشوف ايه اللي حصل بالظبط وبعدين حتي لو لا قدر الله اتحرك ودخل الرحم هي عمليه بسيطة ونطلعه زي شكه الدبوس ولا انت بتخافي من الدبوس.

بدت غير مهيئة لمزاحه فأطرقت تفكر بقلق مما دفعه أن ينهض قائلا بحسم: خلاص مادومتي قلقانه كده البسي دلوقتي وسيبي البنات ويالا نروح للدكتور.

نظرت له بتردد فقال : يالا غيري هدومك على ما اتوضي واصلي وننزل على طول ، أنا هتصل دلوقتي بالدكتور وآكد عليه يستنانا .

فتح الباب فجأة ليجدها بالكاد ابتعدت خطوتين فعلم أنها كانت تتنصت عليهما، نظر لها بضيق وود لو يعاتبها ولكنه خشي أن تسمعه هالة فتعلم بما فعلت فاكتفى بنظرة مؤنبة وجهها لها لكنها لم تبال واقتربت تسأله بخفوت ان كانت حقا حامل.

حاول تجاهلها لكنها لاحقته بأسئلتها : انت متاكد أن الشريط موجود ولا تكون شالته من وراك؟

حدجها بنظرة حادة فقالت مستدركة: أنا مقصدتش، بس ليكون وقع من غير متاخد بالها.

رد بغضب مكتوم: يا امي حرام عليكي، هي تعبانه وخايفة وانت تقولي شالته من وراك ، شالته ازاي يعني وبعدين ماهي لو عايزة تحمل أنا مش همنعها ، الله يخليكي بلاش تتكلمي معاها في الموضوع ده.

أومأت رأسها وهزت كتفها في لامبالاة مصطنعة: وأنا مالي يا بني اتكلم ليه في حاجة متخصنيش.

****

_بصي يا ستي هو اللولب اتحرك من مكانه بس صعب يتشال دلوقتي، الخيط صغير اوي وصعب أننا نطلعه بس ده ميقلقكيش لان ناس كتير بتحمل على الولب والحمل بيكون عادي خالص.

بدا القلق على ملامحها وهي تنظر إلى حسن الذي ربت على يدها مطمئنا فأكمل الطبيب: أهم حاجه تاخدي بالك من نفسك لأن المشكلة الوحيدة في وجود اللولب جوه الرحم هي الإجهاض فلو حسيتي باي افرازات او التهابات او مغص لازم تقوليلي ولازم المتابعة على طول عشان لو لا قدر الله حصلت حاجة نبقي عارفين ونقدر نتصرف على طول.

قالت بقلق مفرط: حاجه زي ايه، هو ممكن الجنين يحصله تشوهات من اللولب.

_لا مبيحصلش تشوهات ولا حاجه، اقصي حاجه هي الاجهاض لا قدر الله لكن لو اخدتي بالك وانتظمتي في المتابعه مش هيحصل اجهاض باذن الله وبعدين ده رزق لو ربنا كاتبهولك هيكمل باذن الله

بدت أكثر قلقا من كلامه ولكن لم تجد بد من سماع كلامه وقال حسن: طيب هي دلوقتي هتحتاج مثبتات ولا لأ

أجابه وهو يمسك بروشته يدون عليها بعض الأدوية: آه طبعا احنا هناخد المثبتات دي احتياطي وان شاء الله متحتجهاش تاني.

بدت شاردة وهي إلى جواره بالسيارة فقال مازحا: ايه يا ستي مالك، انت خايفه من الحمل ولا ايه؟

لم ترد فقال مطمئنا وهو يمسك بيدها ضاغطا عليها برفق: مالك، ماخلاص الدكتور طمنا وبعدين زي ماقالك ده رزق لو لينا نصيب فيه هيتم وفي كل الاحوال الحمدلله

-يا حسن الخوف مش من الاجهاض ، أنا خايفة من المسئولية ، الدكتور بيقول خلي بالك من الحمل لأن اي حاجه ممكن تجهضه وانت عارف ان ده صعب مع ظروف البيت والبنات و..

قطعت كلامها فأكمل هو بهدوء: وأمي، عارف والله ان ده كله عبء عليكي بس متخافيش ربنا يسهلها واما بالنسبة لندى فممكن نوديها حضانة رضع واياس اهي بترح حضانتها وبكده ترتاحي منهم نص اليوم.

****

بدا صوته حنونا جدا وهو يداعب طفلته بالرغم من أنها المرة الأولي التي يقوم فيها بدور الأب إلا أنه بدا جديرًا بتحمل المسئولية، انهمكت في مراقبته دون وعي منها، ربما تقارن بينه وين سامح في مخيلتها، لماذا عاد الآن؟،هل كان لابد أن يعود ليزيد الأمر سوءا!.

ماذا لو كانت قد قبلت الزواج به منذ سنوات ، هل كانت ستهنأ في حياتها معه، هل كان ليصل لما هو فيه؟، ربما لا فلو وافقت لما كان قد تولد لديه الدافع لينجح، ربما كان الآن مجرد مهندس مغمور في إحدى الشركات بمرتب بالكاد يكفيه لتمضيه الشهر راضيا بما فيه دون أن يسعي للأفضل.

_(قابلتي زياد ولا لسه؟) انتشلها سؤاله من شرودها فأومأت له أن نعم، أطرق برهة قبل أن يقول: عامة حاولي تكوني حذرة وانت بتتعاملي معاه.

بدت الدهشة على وجهها وهمت بسؤاله عن السبب فقال يقاطعها: من غير متسألي عن الأسباب.

رفعت حاجبها وارتسمت ابتسامة على جانب فمها فلمحها فابتسم أيضا قبل أن يسألها ان كانت ستعود لمنزلها حقا أم ستصاحبهما في نزهتهما.

بدا عرضه مغريا وملائما لحالتها النفسية، فلم تجد سوى الهروب كحل وقررت أن تذهب معهما وحملت سارة لتقبلها في حنان ، لا تدري لما آسرتها تلك الطفلة هل لجمالها الرقيق أم لأنها جزء منه!!

مضي الوقت سريعا معهما بين لهو ومرح خاصة سارة التي لم تتوقف عن الضحك رغم خوفها وبكائها حين تضعها على أحد المراجيح، لم تشعر بالوقت الذي تسرب من بين يديها إلا عندما أذنت الشمس بالمغيب وقتها علمت أنها نهاية يوم آخر بصحبته واعدا ببدايات جديدة تلوح في الأفق.

ودعته عند منزلها وحانت منها التفاتة إلى سارة النائمة كملاك بجواره فانحنت وقبلتها.

كانت تشعر بنفسها كفراشة طائرة لا يوقفها شيء ، في خفة دلفت إلى الفيلا وهي تعبث بخصلات شعرها المعقوص كتاج يزين رأسها وكأنها مراهقة عائده للتو من موعد غرامي وبينما تصعد السلم الداخلي وتدندن ببعض الألحان إذ وجدته فجأة أمامها بابتسامة عريضة يلقاها، لم تدر لما انقبضت فجأة حين رأته هل بسبب المفاجأة أم أن كلام ياسر هو السبب.

هبط درجتين حتى أصبح بموازتها واضعا يده في جيب سرواله قائلا: على فكرة صوتك حلو اوي.

شكرته وهي تشعر بالارتباك وودت الانسحاب بسرعة وحين اتجهت إلى يسار السلم انحرف أيضا ليسد عليها الطريق بقامته فرفعت عينيها ترقبه فقال وابتسامته تتسع: سامح قال هيتأخر النهارده، ممكن تتغدي معايا، أنا جعان ومبحبش اكل لوحدي.

ودت الرفض لكنه لم يكن من اللائق خاصة وهو بمنزلها وضيفها فقالت محاولة رسم ابتسامة باهتة على شفتيها: خلاص هغير وهنزل نتغدي سوا.

صفق بمرح: خلاص وأنا هقولهم يحضرو السفرة ، ثم هبط السلم بسرعة ، أغلقت باب حجرتها عليها وألقت بجسدها على السرير وتعجبت من نفسها إذ نسيت القيء والدوار اللعين، هل كان ذلك شيء نفسي فقط! ، فجأة تذكرت لبنى وحديث زياد وسامح عنها، لماذا تصر ذكرياتها دائما على إزعاجها؟! ، لما لا تتركها تنعم بهدوء النسيان واستكانة الجهل، حقا الشيطان يكمن بالتفاصيل فلو لم تعرف قصة حبه

السابقة ورغبته بالزواج من لبني لما أعارت الأمر كل هذا الاهتمام لكنها التفاصيل وحدها هي النيران التي أشعلت حطب غيرتها.

لولا ما سمعت ما كانت الآن في هذا العذاب المهين، ألهذا نهانا الله عز وجل عن التصنت ، ربما لأنه يعرف أن ذلك سيسوءنا أكثر من الجهل بالأمور.

حاولت أن تحدث سامح مرارا لكن هاتفه كان خارج التغطية مما دفعها أن تنفث غضبها في زفرة حادة وقررت النزول كي لا تتأخر أكثر على زياد .

وجدته واقفا متأملا لصورة زفافها فقالت مبتسمة: ايه اتغيرت كتير!!

قال بثقة وبلا تردد : طبعا، اتغيرتي اوي.

بدت دهشة على ملامحها فقال مقاطعا: دلوقتي احلي كتير

ابتسمت بخجل ثم أشارت له بالجلوس ليتناولا الطعام وبينما يلوك الطعام في فمه سألها عي كيفيه تعرف سامح عليها، حكت له باختصار عن تلك الصدفة وكيف وافقت وتزوجا

قال: وياسر؟! ، باغتها سؤاله فشعرت بغصة في حلقها وتوقفت الملعقة في طريقها إلى فمها فأكمل كلامه : ياسر حضر فرحكم ولا كان مسافر وقتها؟.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تخبره بصوت واهن أنها لم تره سوى من بضعة أيام حين عودته .

لا تدري لماذا يصر عقلها على رفض فكرة الاعتراف بمعرفتها به من قبل، هل لأن عقلها مدركا لحقيقة الأمور التي تسري بينها فاختارت أن يجنبها عبء انكشاف أمرها أم بسبب خوفها من غيرة سامح؟!

عادت تسأله في مبادرة منها للإمساك بدفة الحديث: انت متجوزتش ليه لحد دلوقتي؟

قال دون اهتمام حقيقي بالرد: لأني ببساطة مفكرتش في الجواز لحد دلوقتي.

قررت أن تباغته هي تلك المرة: طيب ولبني مخلتكش تغير رأيك؟!

رفع إليها عينين ماكرتين وبنظرة خبيثة رمقها ثم خفض رأسه وعاد يلوك الطعام بتؤدة قائلا: لأ

تمنت لو يسألها عن كيفيه معرفتها بلبني لكنه كان أكثر ذكاء فاختصر حديثها في كلمة واحدة بترت حوارها قبل أن يبدأ وقطعت سيل الاسئلة المتعلقة بهذا الشأن ولكنها لم تيأس وقررت سؤاله مباشرة: زياد، هي ايه علاقة سامح بلبنى؟

لم يجد بنفسه قدرة على المراوغة فكم كان يكره إلحاح النساء فقال وهو ينهض: معرفش ابقي أساليه بنفسك.

كلماته المقتضبة جعلت منها خرقاء تحاول تتبع زوجها اللعوب دون أن يكون بيدها دليل واحد عليه وها هو أخوه وغد أخر يتستر عليه كما توقعت تماما.

أولاها ظهره وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، لقد سمعتهما إذن ، انها حقا لا تخيب ظنه ، كما تصورها تماما فتاة بسيطة حمقاء تخشي أن ينضب بنك التمويل الخاص بها ان هو أحب أخرى وملها..ولكن كل تلك الأشياء لم تكن تعنيه ، إنه زرع نبتته بداخلها وسيظل يرويها إلى أن تؤتي ثمارها وحين يأتي الحصاد لن تمانع هي.

****

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

الفصل الخامس عشر

(تظاهر أنك بخير دائما مهما عصفت بك الحياة فالكتمان أجمل بكثير من شفقة الآخرين عليك)وليم شكسبير

_ التحاليل باسم د/خالد عبد العال كانت من أربع أيام.

بحث الموظف في سجل الأسماء المدونة على الحاسب أمامه حتى وجدها وقام بطباعتها وأعطاها له وقد كانت تخصه وليلي أيضا.

بدى شاردا حين طالع تلك التحاليل وبدأ قلق غريب ينتابه وقرر استشارة طبيب للتأكد من الأمر.

استقبلته ليلي بحماس وترقب وهي تنتظر نتيجة التحاليل ولكنه بدا مرتبكا فسألته بخوف عما صار فأخبرها أن الطبيبة تحتاج منها أن تجري بعض الأشعة.

جلست بوجوم فوق المقعد المجاور له وسألته بآسي: هي التحاليل فيها إيه يا خالد؟.

قال وهو يحيط كتفها بذراعه ويضمها بحنان إلى صدره: يا حبيبي متخافيش هي بس الدكتورة طلبت الأشعة عشان تطمن ، إن شاء الله خير.

حاول بث طمأنينة زائفة إلى نفسها بينما كان هو نفسه شاردا خائفا مما ينتظرهما.

****

اتصل بها ذاك اليوم يخبرها أن تجهز وترتدي ملابسها ليذهبا معا لتناول الغداء بالخارج ، دهشت فسألته عن المناسبة الخاصة لذلك لكنه أخبرها إنه بلا مناسبة فقط إنه أراد أن يريحها اليوم فقالت بعتاب: خالد أنت بتستهبل، متصل بيا الساعة أربعة بعد ما خلصت طبيخ تقولي هنتغدي بره!!فرد مازحا: والله وش فقر يا بنتي نخرج نتغدى أهو تغيير ، يالا البسي بسرعة نص ساعة وهكون تحت متنزليش غير لما تلاقي العربية تحت مفهوم؟!

قال جملته الأخيرة بلهجة محذرة فضحكت من غيرته وقالت : مفهوم يا فندم.

أغلقت الهاتف وابتسمت لمفاجأته ثم حانت منها التفاتة إلى الطعام المرصوص على المائدة أمامها فقالت وكأنها تحدث الأطباق : مالكوش نصيب النهارده، يالا ادخلو التلاجه لبكرة!!

ارتدت ملابسها سريعا وتهيأت لتلك "العزومة" التي لم تكن ببالها ولو اخذ رأيها لأخبرته أنه لا داعي لتلبك المصاريف ولكن ماذا عساها تفعل مع شخص مزاجي مثله ثم قالت لنفسها" كم أحبه".

اخذت تتأمل المكان حولها في اعجاب واضح وهي تستمع الي الموسيقي الحالمه والمقاعد المنسقه بعنايهثم التفتت اليه سائله بخبث: انت عرفت المكأن ده منين؟ ، شكلك جيت هنا قبل كده

ضحك لتلميحها قائلا: اه يا ستي جيت هنا مع جروب ميتنج مع الدكاتره ، ارتحتي

ثم اكمل بزهو: بس ايه رأيك المكان جامد مش كده؟

قالت بإعجاب: جامد اوي بس برضه إيه المناسبه ، ده انت معملتهاش واحنا مخطوبين؟

قال وهو يشير بيده مناديا النادل: أهم حاجه انه عجبك، ثم طلبا طعامهما وتناولاه بهدوء وهي تختلس النظر إليه بين الحين والاخر ، رغم المرح الذي يتصنعه إلا أنه يخفي شيئا، رمقته وهو يلوك طعامه ببطء ودون شهيه رغم روعته ، ودت ثبر أغواره وسؤاله عما به لكن خوفها ألجمها ربما خوفا مما يعتمل في عقلها إن صدق حدسها.

قطع الصمت بينهما محاولا التحدث بمرح مصطنع: مش بتاكلي ليه؟، اوعي تكوني مكسوفه لا ده أنا دافع دم قلبي في العزومه دي ، لازم الاكل ده كله يخلص.

ابتسمت وقالت تجاريه مازحه:ومين قالك تصرف كده، أنا كنت مجهزه الأكل في البيت انت اللي اصريت يبقي متتكلمش.

قال: أنا عندي استعداد اخلص اكلي واكلك كمان بس اللي ميقولش جعان بعدين!

ضحكا قليلا ليعود الصمت ثانيه مختلط بمشاعر عده، صمتا يقطر قلقا دون أن يجرؤ أحدهما على قطعه حتي قالت بهدوء يخفي نفسا تشتعل اضطرابا: خالد أنت مخبي عليا إيه؟

باغته سؤالها فرفع عينيه ليواجهها لكنها لم تواجهه بنظراتها كأنما تركت له فرصه ترتيب افكاره واختيار مفتتح لحديثه لكنه خذلها وصمت ثانيه فقررت أن تأخذ المبادره وسألته: أخبار الأشعه إيه؟ هي مش معادها النهارده؟!

تنفس بعمق قبل أن يطلق زفيره ببطء ثم تناول يدها الموضوعه على الطاوله أمامه ربما ليستجمع شجاعته ونظر إلي عينيها عشقه الأكبر: ليلي، انت عارفه ان ربنا بيوزع الرزق بين عباده بالعدل وان لو ربنا حرم حد من نعمه بيعوضه بحاجات تانيه كتير هو بس الإنسان مبيفكرش غير في النعمه اللي ناقصاه .

قالت وقد بدأ صوتها يتهدج ويقاوم البكاء: خالد الأشعه فيها إيه؟

أطرق وجهه وزاغت عيناه وهو يحاول أن يختبر وقع كلماته عليها : ليلي انت عندك عيب خلقي في الرحم اسمه الرحم الطفولي و.....

فغرت فاها وهي تشعر بغصه تتوقف بحلقها وتاهت بقية كلماته عن مسمعها ، شعرت بالأرض تميد بها من هول صدمتها ، لم تشعر سوي بزراعيه يطوقانها ويدفنان وجهها في حضنه بعد أن تاه صوته من سمعها ،بين احضانه كانت كعصفور مبتل ينتفض خشيه البرد وهي تلتصق به وتتشبث بصدره دون أن تقوي على النطق شعرت بزراعيه يطوقانها أكثر وأنفاسه تحتضنها وكأنه يتمني أن تلتصق بقلبه لتسمع نبضه فتطمئن، لحظات بدت دهرا لا تفيق من صدمتها ولا تجرؤ على الخروج من أحضانه.

_ليلي انت كويسه ، ردي عليا، انت سمعاني؟!

ثم مالبثت أن سمعت صوته باكيا: ليلي حبيبتي، أنا آسف والله آسف ، سامحيني أنا...

هنا شعرت ببكائه حقيقيا وهو يحتضنها دون أن يلتفت لنظرات الناس حولهما والذي اعتراهم الفضول وارتفع نشيجه حتي اختنق صوته فلم يستطع الخروج وشعرت بروحه تحتضر داخل صدره.

نفضت نفسها من بين زراعيه وهي ترمق عينيه الباكيه برفاهيه لا تملكها هي فلم تجد الدموع السبيل الي عينيها بعد صدمتها تلك ، ودت لو تشاركه دموعه ربما تنفث بعض مما يعتمل بقلبها لكن دون وعي ظلت تربت على كتفه تواسيه بوجه ترتسم عليه تعابير الصدمه جليه بكل معانيها.

وجهها بارد وكأن ما قيل منذ دقائق لم يعنيها بشيء ، وجهها هذا جعل قلقه يتضاعف وكذلك خوفه فاحتضنها وهو يربت على رأسها داعيا الله أن تتجاوز أزمتها على خير وإلا لن يسامح نفسه أبدا.

لم يدر كم مضي من الوقت وهو يحتضنها وسط دموعه وصدمتها ودهشه وفضول الحاضرين حتي أتاه صوتها مبحوحا واهنا وكأنه ضل طريقه : خالد عايزه اروح.

كانت تلك هي الكلمه الوحيده التي قالتها منذ أخبرها بالفاجعه، ضمها بذراع واحده وبالأخري وضع النقود على المنضده قبل أن يعترض النادل طريقه سائلا اياه إن كان يحتاج لأي مساعده لكنه شكره ورحل إلي سيارته واجلسها برفق على مقعدها ثم استدار إلي مقعده وهو يرمقها في وجل بين حين وآخر دون أن يكف قلبه عن التأوه حتي كاد يقفز من بين ضلوعه.

اسندت رأسها في شرود إلي زجاج السيارة المجاور لها بينما أخذ يراقب الطريق وهو يختلس النظر إليها خشيه أن تفقد وعيها ولكنها كانت ترقب الطريق شارده تماما عما حولها ونظره آسي تنضح من كل ملامحها ، حبها للأطفال هو ما جعل صدمتها أكبر من أن تستوعب الأمر، ود لو استطاع تغيير الحقائق ولكنه لم يجد المفر.

فجأة وجدته أمامها مرتديا ملابسه كاملة استعدادا للخروج ربما بدا عليه بعض التحسن لكن ملامحه مازالت تحمل اثار مرضه وبعض الذبول الذي اعتري عينيه الزرقاوبين فبدوا كموج بحر أنطفأت ثورته وأصابه الخمول.

بين دهشتها و اعتراضها أخبرها أنه مضطر للنزول فلديه كثير من الأعمال المؤجلة ولكن اصرارها و خوفها كأن أكبر منه تلك المرة فقالت بحسم غير مسبوق:اتصل بحد يجيب لك الورق تمضيه هنا مافيش نزول النهاردة

بدا متعجبا من اصرارها ذلك الغير ملائم لعهده بها،أمام دهشته وجدها تمد إليه سماعة الهاتف في حسم،حاول الأعتراض ولكنها لم تمنحه سبيل للأعتراض فاتصل بنادية التي اجابته في رسمية واضحة حتي جاءها صوته والذي عرفته بسهولة فبدا الارتباك يعتريها،في اقتضاب اخبرها أن تحضر اليه اوراق الطلبية الجديدة ودفاتر البيع ليطلع عليها .

رغم ارتباكها لم تجد بدا من الموافقة و اومأت برأسها كأنه يراها حتي اتاها صوته وهو ينادي متسائلا فأجابته بنبرة واهنة فريسة لارتباكها أنها ستحضر الأوراق المطلوبة فأضاف في جفاء:ما تتأخريش.

اغلقت السماعة وهي تصارع نبضات قلبها ولملمت الأوراق بسرعة وقررت الذهاب فورا حتي لا تتأخر فتضطر أن تسمع توبيخه وأن كأن ذلك لم يمحو دهشتها

فهي المرة الأولي التي يطلب فيها أن تحضر الأوراق الي المنزل والذي لم تكن تعلم عنوانه فقررت الاتصال بمدير مكتبه والذي كان في اجازة وقتها .

وضع السماعة وهوينظر الي بثينة مبتسما:خلاص ،اديني هاجيب الورق هنا في البيت ارتحتي.

اجابته باصرار:أنا مش هارتاح غير لما تروح للدكتور

امتعض قليلا وأشاح بوجهه متهربا من حديثها ولكن اكملت: يا شريف مينفعش الوضع ده،الحالة دي مش لازم يتسكت عليها ،دي حتي ليلي مشيت من هنا وهي هتموت من القلق عليك،هتفضل كدة لحد امتي .

زفر في نفاذ صبر قائلا: يا خالتو أنت عارفة ده دور برد هو اللي خلانى اهلوس والسخونة دي حاجة طبيعية واديني بقيت كويس و...

قالت في صرامة مقاطعة كلامه: شريف الموضوع اكبر من كونه سخونة ودور برد،الحالة اللي كنت فيها تخوف واحساسي بيقول لي ان في حاجة تاني وانت مخبيها عليا.

ثم أردفت محذرة:أنا مش عايزة اسأل ليلي واضغط عليها واعرف منها ايه اللي مخبيه.

قال وقد بدا مرتبكا: ايه اللي خلاكي تقولي الكلام ده وايه علاقة ليلي بموضوع تعبي بس؟.

قالت وهي تشير اليه بسبابتها: شريف، اياك تكدب عليا،أنا حاسة ان في حاجة غلط وخصوصا لما جات ليلي على ملي وشها وطلبت مني اخرج من الاوضة واسيبكو لوحدكو،أنا مش ممكن اسكت عليك اكتر من كدة لازم اعرف ايه اللي عندك،أنت ما شفتش حالتك كانت عاملة إيه وانت سخن وبتهلوس بكلام غريب اوي.

في قلق سألها عما قاله،ولكنها في دهاء سألته:وانت ايه اللي مخوفك كدة،انت مش بتقول دي مجرد هلوسة من السخونة

في نفاذ صبر قال: خالتو اقفلي الموضوع ده دلوقتي ولو سمحتي ما تتكلميش مع ليلي في حاجة،أنهي حديثه واتجه الي حجرة المكتب الخاصة به،رمقته في أسي وهي تدعو الله أن يحميه.

بعد أقل من ساعة دق جرس المنزل ،هرعت الخادمة الي الباب لتفتحه لتجد فتاة يبدو الخجل على ملامحها تسأل عن شريف،سمحت لها بالدخول فوجدت بثينة قبالتها،حيتها بتحية خفيفة،فسألتها بثينة عن اسمها،فقالت لها أنها نادية وتعمل مع الاستاذ شريف بمكتبه ،رمقتها بثينة متفحصة فقدكانت المرة الأولي التي تراها فيها ،فتاة عادية متوسطة الجمال والقامة ،بيضاءالبشرة تبدو عادية كآلاف الفتيات اللاتي تقابلهن في الشارع يوميا دون أن يلفتوا الإنتباه،تنحنحت نادية في خفوت وسألت عن شريف فطلبت بثينة من الخادمة أن تصطحبها الي داخل المكتب.

في هدوء طرقت نادية الباب حتي سمح لها بالدخول ثم اشار لها بالجلوس دون أن يتكلف عناء النظر إليها،بينما كان منشغلا بقراءة الملفات المحملة على شاشة الكمبيوتر أمامه والتي توضح قيمة أسهم شركته في البورصة والتي كانت في تزايد يدعو للفخر ،رمقته في أسي فقد بدي وجهه مجهدا من فرط الإعياء.

تناول الأوراق التي تحملها بيدها وتفحصها باهتمام،بدت مترددة وهي تراقبه يمعن في قراءة الأوراق ولكن فضولها غلبها فسألته:هي والدتك اللي قابلتني بره؟

رفع نظره إليها في حدة دون أن يترك الاوراق التي بيده ثم اعاد نظره إليها ثانية وهو يجيبها في جفاء:بيتهيألي ميفرقش معاكي كتير وطالما مش في صميم شغلك يبقي متسأليش.

اجابته في خجل:أنا اسفة ،بس اصل الشبه بينكو بعيد فقلت.....

قاطعها في صرامة وعصبية قائلا:انت ايه مبتسمعيش،أنا مش قلت دا شيء ميخصكيش يعنى ملكيش دعوة وأي اسئله فضوليه مش مسموح بيها ،انتى فاهمه .

اومأ ت برأسها وهي تنكمش في كرسيها في وجل ،هنا دخلت بثينه المكتب بكرسيها المتحرك ونقلت نظرها بينهما في استفهام قائله له:في ايه يا شريف، ايه إلى حصل بتزعق ليه .

نظر لناديه بحده كأنما يلومها على ما حدث ثم اطرق دون أن يجيب،التفتت بثينه إلى ناديه والتي احتقن وجهها وبدت أنها تقاوم دموعها بصعوبه وما ان سألتها بثينه عما حدث حتى انهمرت دموعها وما إن لمح دموعها حتي قام متأففا خارجا من الحجرة وتركها مع بثينة التي ضمتها الي صدرها مهدهدة اياها،لم تعرف لما شعر ت بطيبتها منذ رأتها ولا لماذا شعرت نحوها بالشفقة ليس لشيء سوي أنها تعمل مع شريف وعليها تحمل عصبيته اللعينه، قالت من بين دموعها: أنا آسفه والله يا هانم،

أنا مقصدتش أنا بس سألته ان كنتي والدته فزعقلي وقالي مدخلش في خصوصياته وأنا والله ماقصدت حاجه.

ربتت عليها وهي تحاول أن تواسيها : معلش يا بنتي هو شريف عصبي رغم طيبه قلبه بس هو على طول حاطط حدود بينه وبين الناس بس صدقيني هو ميقصدش يحرجك.

دخلت الخادمه تحمل كوب من عصير الليمون وقدمته لها وسط دهشتها لكنها اخبرتها أن شريف هو من طلب منها تقديمه لها، ابتسمت بثينه : شفتي مش بقولك ، يالا امسحي دموعك واشربي العصير.

جلس على سريره بحجرته واضعا رأسه بين يديه لا يدري سببا لعدائيته الزائده معها، هي لم تتجاوز حدودها كما يحاول أن يوهم نفسه ولكن المشكله لديه هو فهو لم يعتد يوما على تكوين أي علاقات اجتماعيه او صداقات بحياته، منذ طفولته لم يجد سوي الوحده رفيقته، في البدايه كان بسبب مرضه ونفور من حوله عنه لكن بمضي الوقت اصبح اختياره هو أن يبتعد، كميكانيزما دفاعيا فرض الوحده على نفسه فلم يعد يحتمل رفض الآخرين له وانتباذه ، كما يقال الهجوم خير وسيله للدفاع ولم يكن ليستثنيها هي من قائمته خاصه بعد أن لاحظ نظراتها المختلسه له والتي لم يصب في تفسيرها.صفت السياره بالجراج الخاص أمام فيلتها وخطت الي الداخل في ملل من روتينها اليومي وخاصه بعد زيارتها لوالدتها والتي لم تسر على ما يرام كما تمنت خصوصا بعد أن علمت بأمر حملها فضغطت أكثر عليها، مهما حاولت لم تكن لتقنعها أن تتخلي عن موقفها الدفاعي نحو سامح وتصرفاته، تمنت لو كانت أمها من عينه أولئك الأمهات اللاتي يثرن لبناتهن ان غضبن من ازواجهن لكنها يوما لم تعبأ سوي بالمال، دائما تخشي نوبات غضبها خشيه أن يطلقها ويحرمها من جنته التي تحيي بها، لم تكن أمها لتعير اهتماما لآلامها ولا مشاعرها فقط تصر أن خياناته نزوه وستزول حتي حملها فرحت به فقط لأنه سيزيد ارتباطه بها ظنا منها أنه لن يتركها حين تكون أم ابنه.فتحت باب حجرتها في اعياء وامتدت يدها لزر الإضاءه فوجدته أمامها فجأه ففزعت وانطلقت منها صرخه فهرع إليها ليضع يده على فمها ممسكا بذراعها كي لا تفلت منه وتعيد صراخه، لحظه احتاجتها لتتعرف عليه وتستوعب الأمر ، نزعت ذراعها من يده في عصبيه بينة فتركها تبتعد خطوه للوراء محاوله استجماع أنفاسها اللاهثه ثم مالبثت أن تغيرت تعبيرات وجهها من الجزع الي الغضب الشديد وهي تسأله في حده وصرامه عن سبب وجوده بحجرتها.في لامبالاه خطي خطوتين مبتعدا ومتجها نحو المرآه ينظر لها قائلا

ببرود: كنت بتفرج على الاوضه، ثم اردف وهو يلتفت إليها قائلا بابتسامه سمجه: وبعدين كنت عاملهالك مفاجأه .

بدت الدهشه والغضب جليا على ملامحها كنسيج يصعب فك اشتباكه ودون أن تجد كلام مناسب ترد به عليه أشارت له بيدها أن يخرج، ابتسم ببرود واتجه نحوها ثم وبحركه سريعه من يده أغلق الباب خلفها بيد وبالأخري ضمها إلي صدره.

لم يستغرق الأمر اكثر من ثانيتين ووجدت نفسها بين ذراعيه، حاولت التملص منه دون جدوي فضمها إليه اكثر فانطلقت منها صرخه خائفه مستنجده ، حاول قمعها لكنها أعادت صرختها فتركها ، دفعته مبتعده وهي تصرخ بوجهه: انت حقير فوق ما كنت اتصور، اطلع بره حالا.

حدجها بنظرة متوعده ثم هرع إلي الباب خارجا قبل أن يسمعهم أحد من الخدم ولكنه التفت إليها قائلا: عموما لو حسيتي بوحده أنا موجود خصوصا ان سامح مسافر واكيد انت عارفه مع مين وبيعملو ايه دلوقتي!!، ثم ابتسم في تشفي وخرج واغلق الباب خلفه وهو يشعر بنشوي داخله ، أنه تركها اليوم بإرادته ولكنها غدا ستهرع إليه بارادتها فليس أصعب على المرأه من الخيانه وليس أضعف من المرأه المجروحه في كرامتها وحين تضعف المرأه تزداد إثاره.

هوت الي سريرها بعد أن تأكدت من غلق باب حجرتها من الداخل وشرعت في البكاء، لم تدر هل دموعها لصدمتها أم لحسرتها على زوجها وفي اصرار وحنق امسكت الهاتف لتتصل به فوجدت هاتفه مغلقا ورأت تلك الرساله التي لا تعلم متي وصلتها، قرأتها من بين دموعها فوجدتها منه يخبرها أنه سافر فجأه بسبب عمل طاريء وسيعود بعد يومين.

لقد أكد ظنونها والتي لم تكن ظنون من البدايه، لماذا عليها أن تتحمل طعناته تلك في صمت ، هل عليها أن تري بعينيها لتسقط آخر آمالها الزائفه في توبته التي لم ينتويها.

بين نشيجها الذي لم ينقطع والآلم الذي يعتصرها شعرت بحقدها على ذلك الحقير الذي ظنها لقمه سائغه يستطيع أن يمضغها بين فكيه دون عناء ولكنها فجأه احست بحركه خفيفه بداخلها، أنتبهت فجأه الي بطنها وقد تكررت الحركه بشكل مفاجيء ومبهر أيضا، مسحت دموعها ووقفت أمام مرآتها تتأمل بطنها وهي تضع يدها عليها، إنه بدأ يتحرك إذن، ظلت تضحك وتجفف دموعها وهي تحادث نفسها ، تلك الفرحه التي شعرت بها جعلتها تضع كلتا يديها على بطنها في حنان وهي تشعر لأول مره كيف تكون الأمومه، احساس غريب أن تشعر بحركته الآن بين احزانها ،

يتحرك ربما ليطمئنها أنه لجوارها ، أنه بداخلها ويحتضنها بل ربما يربت عليها، هدأت قليلا واستلقت على فراشها في رفق تغالب دمعها وتركت لقلبها العنان ليعانق طفلها محاوله تناسي هؤلاء الأوغاد في حياتها.

بعد ليله لا تعلم كيف مضت من نحيب أعيا روحها وصدمه كادت تفقدها عقلها ، فاقت لتجد نفسها تتوسد ذراعيه ، اعتدلت في إعياء تتفحص وجهه ونومته تلك الغير مريحه.

ربما قضي الليله في محاوله تهدئتها، لا تدر كم من الوقت مضي حتي غلبها النوم وغفت بين ذراعيه، دون وعي منها وجدت دموعها تنهمر ثانيه دون توقف لكنها سارعت بمحوها وهي تتجرع مرارتها في صمت كي لا توقظه فقد بدي واضح الألم الذي يشعر به تجاهها.

في هدوء حاولت رفع ذراعه عنها والنهوض دون أن توقظه ولكنه شعر بها ففتح عينيه في قلق وهو يمسك بيدها متسائلا متي استيقظت وكيف حالها.

ابتسمت بصعوبه وهي تحاول أن تجعل صوتها طبيعيا دون أن ترتعش أو يهتز قلبها فيعاود أنينه: أنا كويسه متخافش، كمل نومك على ما احضر الفطار.

لم يفلت يدها وظل ناظرا إليها إلي عينيها في قلق ثم مالبث أن ضمها إلي صدره فاستكانت في وداعه ثم مالبثت أن طوقته بيديها في خوف شعر به يسري داخله فقال مطمئنا: متخافيش من حاجه طول مانا جنبك، أنا بحبك وعمري ماهتخلي عنك.

ابعدها قليلا لينظر إلي عينيها بحنان متفهما مخاوفها: صدقيني يا ليلي عمري ماهبعد عنك ولا هسمح لحاجه إنها تبعدني عنك .

حاولت كبح دموعها لكن هباءا وانسابت كأنهار امتنعت لسنوات، جفف بأنامله دمعها ثم أمسك وجهها بين كفيه رافعا رأسها إليه: ليلي اللي حصل ده مش باختيارنا ولا ذنبك ولا ذنبي ، ده قضاء ربنا ولازم نرضي بيه وده عمري ماهيغير احساسي ناحيتك.

اومأت برأسها في صمت ثم حاولت الكلام مغالبه دمعها: أنا راضيه بقضاء ربنا أنا بس مش مستوعبه، عمري ماتخيلت أني.....

شعرت بنفس الغصه بحلقها فامتنعت عن الكلام كي لا تعاود بكائها، امسك كفيها وقربها اليه وقبلها ناظرا الي عينيها: ليلي أنا متمنتش من الدنيا غيرك ولما فكرت

في الاولاد كان عشان هيكونو حته منك، انت بالنسبالي اختي وبنتي وكل حاجه، متفكريش في اي حاجه طول ماحنا مع بعض، انت اغلي عليا من الدنيا واللي فيها.

تنهدت بعمق ربما لتسمح لكلماته أن تهدهد قلبها ليهدأ ويستقر، شعرت به يتغلغل داخلها بعمق فيحتضن روحها، قبلته في رفق: انت أحلي حاجه حصلتلي في دنيتي.

قال محاولا اضحاكها: طيب بالنسبه للفطار في ولا بلاش النهارده !

ابتسمت وهي تنهض : هحضر الأكل بسرعه على ما تلبس.

_ومين قالك اني نازل النهارده؟

نظرت اليه بتعجب ثم قطبت حاجبيها: خالد انت أخدت اجازه طويله مينفعش تغيب عشان شغلك ولو عليا اطمن أنا هريح النهارده وهبقي كويسه بإذن الله.

بدي مترددا وهو يقف قبالتها ويرمقها بقلق: بس أنا خايف عليكي تقعدي لوحدك.

_متقلقش أنا هقول لريهام تيجي تقعد معايا شويه.

بدي غير مقتنعا حتي دفعته أمامها إلي الحمام وهي تخبره أن ينتهي سريعا ريثما تعد الفطار.

بعد نزوله هوت الي اقرب مقعد قابلها دافنه رأسها بين ذراعيها ويكاد عقلها يجن مما حدث وهنا بدى لها ما حدث تفسير لأحلامها المتكرره ، شعرت بضروره أن تشارك أحد أفكارها، أن تبث أحدهم همها وقبل أن تقرر كانت دينا تتصل بها على غير عادتها بذاك الوقت الباكر، بدي صوتها شاحبا هي أيضا وكأنها امضت ليلتها باكيه، تنهدت ليلي بعمق فلم تكن بحاله مزاجيه مناسبه لتسمع شكوي دينا الآن ولكنها دون مقدمات أخبرتها بسفر سامح الذي أكد ظنها وصدق حديث زياد ثم مالبثت أن قصت عليها ما كان من زياد معها الليله الماضية ، رغم شرودها وألمها إلا أنها اندهشت مما سمعت ثم نصحتها أن تبتعد عنه ولا تثير مشاكل حتي لو اضطرت الي الذهاب عند أمها لحين عوده سامح لكن دينا بدت معانده وهي تصر على طرده من البيت ثم عادت تتحدث عن ياسر وتحذيره لها ، لم تجد بد من إنهاء المكالمة سريعا فلم يكن بداخلها القدرة على النصح فهي أشد ما تحتاج الأن هو أن يستمع إليها أحد ولم تكن دينا الشخص المناسب لذا قررت الذهاب لريهام لتتحدث معها.

****

الفصل السادس عشر

(تبدو السعاده دائما صغيره عندما تمسكها في يديك لكنك إذا تركتها أدركت فورا كم كانت كبيره وغاليه)مكسيم غوركي

بدى الحزن على وجه ريهام وهي تستمع إليها وحاولت إحتواء حزنها بكلمات بدت خاويه أمام مصيبتها، انها ببساطه لن تصبح أم ولا يوجد أمل في مثل حالتها فكيف يمكن مواساتها، ربتت على ظهرها وهي تذكرها بإراده الله والرضي بقدره واردفت: وبعدين مش يمكن لو ربنا رزقك بذريه ممكن ميكونوش صالحين وتتعذبي بيهم فحرمك من الذريه لحكمه يعلمها وحده، احمدي ربنا واستهدي بالله وكويس إن خالد بيحبك، ربنا رزقك بحبه، بجد انسان زي خالد لازم تحمدي ربنا انه ....

بترت كلامها فجأه ولم تدر ماذا تقول ، اتخبرها أن تحمد الله لأنه لن يتركها وأنه لن يفكر في الزواج بأخري من أجل الـأولاد!!

عادت تربت على ظهرها حين دخلت عليهما ساره تحبو دون أن يشعروا بها، حملتها ريهام وهمت بإخراجها لكن ليلي استوقفتها ومدت يدها لتحملها وقبلتها واخذت تسألها عن ياسر وكيف كان يومه مع ساره، في اقتضاب اخبرتها بما حدث منذ أن عاد من سفره والتوتر بينه وبين والدتها ، كانت ليلي مترده لكنها حسمت ترددها وسألتها: هي ساره اتوفت إزاي؟

نظرت إليها ريهام وحزن يتراقص في مقلتيها وأطرقت فشعرت ليلي بالحرج فأخذت تعتذر عن سؤالها وعن تذكيرها بالأمر لكن فجأه رفعت ريهام إليها أعين دامعه : ساره كان عندها القلب وماتت وهي بتولد" ساره" الصغيره.

بدت الصدمه على ملامح ليلي ولم تجد ما ترد به عليها لكنها سألتها بأسف: طيب حملت ليه اصلا ،كان المفروض تقوله من الأول وتصارحه وتاخد احتياطتها.

قالت ريهام بألم: كان عارف يا ليلي، عارف وراضي بس هي اللي أصرت انها تحمل، طول الوقت كانت حاسه بالذنب عشان هتحرمه من الأولاد وهو طول الوقت كان محسسها بمشكلتها وكان بيتكلم عن حبه للأولاد.

هنا غلبها البكاء وقالت مكمله: احساسها بالذنب خلاها تحمل حتي لو كان التمن حياتها وفجأه باغتتنا انها حامل، وقتها كانت في الشهر الرابع ومكانش ينفع تنزله وقتها ،كان خطر على حياتها ، كملت الحمل وهي عارفه أنها احتمال كبير تخسر حياتها.

وجدت ليلي نفسها تبكي هي الأخري حزنا على حالها، إلي اي حد تتشابه أقدار البشر ، ساره أختارت ان تهب حياتها فداء طفل تمنحه للحياه بسخاء كإمتداد لها وهديه لياسر تذكره او ربما تجلده بها بينما هي لا تملك رفاهيه الاختيار ، تري لو كانت مكانها هل كانت وافقتها الخيار؟! .

فجأه قطعت ريهام شرودها: عرفتي ليه بقولك احمدي ربنا انه كرمك بزوج زي خالد، احمدي ربنا انه بيحبك وعايزك ومش فارق معاه الخلفه وانت بس اللي فارقة معاه ، ياسر مفرقش معاه غير الأولاد واضطرت هي تضحي بحياتها علشانه.

شعرت ليلي بقسوه الأقدار التي لا تمنح إلا لتأخذ ، كانت المره الأولي التي تعرف فيها كل تلك الأسرار ، لهذا لم تكن والدة ريهام تحب ساره الطفله، ربما لأنها السبب في سلب روح ابنتها او لأنها كانت القربان الذي أراده ياسر من ساره فقدمته موديه بحياتها.

استأذنت ليلي في الرحيل فلم تجد بدا من الجلوس أكثر فكل منهما تحتاج لمن يساعدها للملمه نفسها المبعثره بعد ذلك القدر من الأسرار.

****

ابتسمت بإستهزاء بعد مكالمه نجلاء تلك والتي باركت لها على الحمل، لم تحتج لذكاء لتعرف أن حماتها سريعا ما نقلت لها الخبر كأفضل وكاله أنباء إذاعيه لكنها لم تتضايق من الأمر فشيء كهذا لا يمكن اخفاءه كثيرا.

في دهشه نظرت إليه وهو يدلف من باب الشقه فلم يكن موعد عودته وبنفس الدهشه رمقته والدته بنظرات فضوليه مستفسره.

ألقي التحيه عليهم وابتسم لتلك الدهشه على وجوههم فقال مازحا: ايه يا جماعه الاستغراب ده كله؟، كل ده عشان رجعت البيت بدري؟!

قالت هالة دون أن تواري دهشتها: اصل مش عادتك، في حاجه في العياده؟

هز رأسه نفيا ثم قال : هالة ياريت تحضريلي شنطه السفر من بليل.

توالت حماتها المهمه عنها متسائله: انت مسافر؟!

اجاب بهدوء وكأنما يستعد للمهاترات الاستنكاريه منها : أيوه، مسافر الفجر إن شاء الله ، عندي مؤتمر في شرم الشيخ وهقعد خمس أيام.

بدت هالة مستنكره وهي تتسائل: وهتسيبنا لوحدنا خمس ايام في الظروف اللي أنا فيها؟

قالت ساميه بغيظ: وماله متخليه يسافر يغير جو وبعدين مالك مانت زي الفل.

زفرت هالة بحده دون أن تعيرها اهتمام وعادت تحدث حسن: لو هتسافر وديني عند ماما لحد مترجع، أنا عايزه ارتاح كام يوم من البيت والعيال.

انصدم من طلبها الحاسم ذلك لقد طفح بها الكيل ولن تتراجع مهما حاول اثناؤها ولكن ما حيره هي أمه وما يمكن أن يفعل معها.

في صمت اتجه لحجرته فلحقت به دون أن تلتفت لنظرات ساميه التي كادت تحرقها ، وقفت امامه وعقدت ساعديها امام صدرها قائله بحده: انت فعلا هتسافر!!

قال بهدوء وهو ينزع سترته: ايوه الفجر ان شاء الله.

بعصبيه قال: كده من غير مقدمات؟!

_الشركه المنظمه للمؤتمر كانت عامله قائمه بالدكاتره المسافرين وكان اسمي بينهم لأن خالد كان في أجازه وأول مرجع اصر ان يضيفني معاهم والموضوع كله حصل فجأه.

زمت شفتيها في عصبيه وهي تحنق على خالد ثم قالت: طيب وبعدين، هعمل ايه لوحدي مع العيال وانت عارف أنا يادوب دخلت التالت؟

قال بإنهاك محاوله انهاء الكلام: هبقي ابعتلكو سيد كل يوم يشوف طلباتكو ولو لزم الأمر ابقي شوفي واحده تنضفلك البيت.

قالت بإصرار: ولو حصل حاجه مين هيوديني للدكتور؟!

قال بنفاذ صبر: طيب انت عاوزه ايه دلوقتي، السفر خلاص اتحدد ايه المطلوب؟!

بحسم قالت: عايزه أروح عند ماما ، أنا ليا زمان مرحتلهاش وكمان تبقي جنبي لو حصل حاجه.

في حيره سألها: طيب وماما هتروح فين؟

بدت في عصبيتها كلبوه شرسه ، تمالكت نفسها بصعوبه كي لا تلعن اليوم الذي أتت فيه والدته إلي منزلها، هل تخبره أنها يمكن أن تقضي تلك الأيام عند نجلاء بنتها او تذهب الي بيتها ريثما تعود ولكنها آثرت صمتها وتركت له الأمر ليتصرف فيه ،

أمام حنقها وعصبيتها المفرطه قال باستسلام : خلاص هوديكي بعد شويه وهكلم نجلاء تاخدها عندها الكام يوم دول.

اظهرت اللامبالاه وان كانت تشعر بالسعاده في قرارتها: هحضرلك شنطتك وهحضر حاجتي أنا والبنات .

خرجت من الحجره لتجدها كعادتها تنسحب مبتعده عن باب الحجره فتأففت بحنق دون تعليق واتجهت لتعد اشياءها.

شعر خالد بالقلق داخله حين طلبت ليلي منه أن تذهب لزياره والدتها، كان يخشي ألا تتمالك نفسها حين تري ندي واياس وعندما تعلم بحمل هالة الذي لم يخبرها به بعد رفقا بها ولعلمه بالصراع النفسي الذي تعانيه لكنه لم يمنعها من الذهاب.

احتضنت هالة بحراره فقد كانت تشتاق لها حقا فهي لم تلتقيها منذ مده ثم قالت لها مازحه: عاش من شافك والله بيت العيله وحشني الواحد ليه فتره مشافش العيال ودوشتهم.

قالت هالة بفرحه:اخيرا قدرت اخلص من حماتي شويه، لولا سفره وتعبي مكانش رضي ابدا يوديها لنجلاء .

قالت ليلي بقلق: تعب ايه بعد الشر مالك؟

أندهشت هالة لجهل ليليّ من الامر ثم سألتها: هو خالد مقلكيش، عشان كده متصلتيش تسألي علية وكنت هعاتبك!

_ لا خالد مقاليش حاجه، خير مالك قلقتيني؟

_لا ابدا بس طلعت حامل والدكتور قالي ان اللولب اتحرك من مكانه وممكن يحصل سقط في أي وقت ولازم ارتاح.

شعرت بنفس الغصه في حلقها والتي لازمتها منذ عرفت بمأساتها وان تمنت بداخلها أن يتم حمل هالة على خير .

التفتت هالة باحثه بعينيها عن اياس التي كانت تمرح مع جدتها ويتضاحكان، ثم التفتت إلي ليلي متسائله: ايه اخبارك مع خالد، حسن قالي ان شكله مكانش متظبط الفتره اللي فاتت دي وأنا اتلهيت في تعبي ونسيت اكلمك.

تنهدت ليلي بضيق وحاولت تغيير مجري الحديث: لا عادي بس ضغوط الشغل ، المهم عملتي ايه مع حماتك ، سابتك ازاي؟

قالت بحماس: لا أنا وقفت المرة دي لحسن يعني هو عايز يتفسح ويسيبلي امه ، قلتله اني تعبانه وعايزه ارتاح عند ماما شويه فكلم نجلاء تاخدها عندها.

ابتسمت رغما عنها من هالة واسلوبها ثم تعجبت فهي تتمني حقالا لو يأتي حماها للعيش معها، حقا تتضارب الاقدار ولا احد يعجبه حاله!

قالت ليلي كمن تذكرت شيئا: صحيح دينا بتكلمك؟

قالت بلا مبالاه: لا، انت عارفه دينا، بتغيب بالفترات ده العادي يعني.

لم تعلق ليلي وإن كان القلق بدأ يساورها خاصه بعد ما كان من زياد ثم انقبض قلبها فجأه حين تذكرت شريف والذي كانت قد نسيت مشكلته في خضم صراعها ومأساتها وبدأت تلوم نفسها لتقصيرها نحوه خاصه وهي تعرف احتياجه لها بعد انتكاسته تلك.

فجأه قطعت تفكيرها صوت هالة قائله: خيار، شامه يا ليلي في ريحه خيار فظيعه مش ممكن كأنه في مناخيري.

التفتت ليلي حولها محاوله الشم ثم انخرطت في الضحك وهي تنظر لهالة التي اخذت تشتم ما حولها كالكلاب البوليسيه وانخرطت في الضحك حتي انقلب الامر الي بكاء لم تستطع كتمانه حتي تعجبت منها هالة واقتربت منها محاوله فهمها ولكنها اسرعت الي حجرتها مغلقه الباب على نفسها منخرطه في عذابها الخاص.

نظرت الي سارة التي تغفو على رجلها في براءه محببه إلي النفس ، ابتسمت لها فبعد كل تلك الضوضاء التي ملأت بها الجو في لحظه فقدت قدرتها على المقاومه وغفت في لحظه حتي آثارت تعجب ريهام من ذلك الهدوء الذي ساد فجأه خاصه وأن والدتها لم تكن بالمنزل.اخذت تداعبها في حنان وتجسدت صورة خالد بمخيلتها هكذا فجأة فانتفض قلبها من سكونه ، شعرت بالأسف على ليلي بعدما حكته لها، لماذا كان القدر قاسيا معها الي هذا الحد ، أن تحرم من الأمومه التي خلقت بالغريزه داخلها لهو أشد أنواع العذاب ، نظرت الي سارة النائمه في أسي ، أيهما اقسي حرمان ليلي من طفل يناديها بأحب الأسماء إلي قلب أي امرأه أم حرمان تلك الزهره النديه من قلب أمها وحنانها.رغم الأسي الذي اكتنفها حزنا على ليلي التي تعلقت بها منذ سكنت إلي جوارها إلا أنها تذكرت خالد وتعجبت من موقفه، كيف استطاع أن يغفر لها ذلك الذنب الذي لم يكن ذنبها، قليلون هم من يخرقون القاعده العامه للرجال في الخذلان، بدت تساؤلاتها في اللاسياب تباعا لعقلها، تري هل حقا أحبها الي ذلك الحد الذي يجعله يضحي بأنانيته في أن يكون له ذريه تحمل اسمه،

كيف له أن يكون بكل هذا القدر من الوفاء النادر والذي لم تجده سارة مع ياسر رغم حبها الكبير له.

دون أن تشعر بدا قلبها الساكن في اللإنتشاء لمجرد تذكره لكل تفاصيل ملامحه.

فاقت من خيالاتها على صوت جرس الباب الذي دق في حماس دون أنقطاع حتي أثار هلعها خاصة أن والدتها تملك المفتاح وبسرعه لعب الشيطان بعقلها وتصورت أن مكروها اصاب والدتها فهرعت الي وضع سارة الي سريرها وجرت لتخرس رنين الجرس وأنين قلقها.

فتحت لتجده أمامها بقامته المعتدله وعيناه السوداوان المتسعتان وشعره الناعم المنساب دائما على وجهه، هتفت غير مصدقه: كريم!!

هرعت إليه مرتميه في أحضانه وتشبثت برقبته فضمها إليه باشتياق دون أن ينطق بكلمه، في لحظات الاشتياق تقف الكلمات عاجزة عن التعبير فتتنحي جانبا مفسحه المجال للدموع لتنطق بما لم تقول.

شدته من يده لتدخله في سرعه وكأنها تخشى أن يذهب ثانية، أخذت تتأمل ملامحه في اشتياق وهي تكتم كثير من الأسئله التي تعتمل بداخلها ولكن ما ان جلس حتي حاصرته بأسئلتها التي لم يجد منها فكاك، ماذا فعل ومتي أتي وكيف ولما لم يتصل، أسئله كثيره متدفقه تطلقها دون أن تدع له فرصه للرد بينما ظلت ابتسامته تتسع أمام جنونها وفرحتها بعودته حتي اندفعت فجأه إلي جواره ملقيه برأسها على صدره في اشتياق فوضع ذراعه حولها مداعبا شعرها في حنان.

قال سامح في غضب هادر: انتي اتجننتي تعملي حاجه زي كده ازاي، ازاي تتصلي بيها وتقوليلها كده؟!

كانت المره الأولي التي تراه فيها غاضبا هكذا ولكنها لم تجد في نفسها رهبه وزادها غضبه عنادا فردت في حده : عايزني اعمل ايه لما اعرف وأتاكد ان جوزي بيخوني، اقعد ساكته زي الهبله ولا استني لحد ماالاقيك داخل عليا بيها تعرفني ع المدام.

قال وصياحه يتعالى اكثر: وانتي فاكره انك لما تتصلي بيها وتهزأيها هتحلي المشكله، انتي بجد غبيه وشكاكه.

ردت صائحه: ده مش شك أنا متاكده، تفسر بإيه سفرك فجأه من غير ماتقوللي والصدفه الباحته أعرف ان الهانم مسافره برضو، المفروض اني افكر ازاي قولِّي.

قال مستهزءا: فكري ياهانم ان في شغل مشترك بينا وانه كان لازم نسافر عشان في حاجات مستعجله لازم نعملها.

_ ياسلام، الحاجات دي بتجي فجأه وبيبقي صدفه برضو ان انتو الاتنين لازم تسافرولها!!

زفر في حده مهددا: دينا أنا مش فاضي للتفاهات بتاعتك دي، أنا شغلي متلخبط فيه مشاكل كتير ومش ناقص، لو الحمل مأثر عليكي ممكن تروحي عند مامتك تغيري جو يومين ولا حتي سافري عشان تهدي اعصابك.

قالت ببتسامه مستهزءه على شفتيها: اسافر عشان اخليلك الجو ابدا مش هايحصل، وعشان يكون في علمك أنا مش نايمه على وداني ولا مصدقه الكلام اللي بتقوله زي بالظبط حوار الرسايل اللي كانت على الموبيل ومسحتها وافتكرت انك ضحكت عليا.

اغمض عينيه وسحب نفس عميق محاولا إخراج غضبه ونفاذ صبره وقال: شكل الواحد غلط انه بيتكلم معاكي، لما تهدي وتعقلي نبقي نقعد ونتكلم.

سحب مفاتيحه وهبط السلم بسرعه وهي تصرخ به أن يقف لتكمل كلامها لكنه لم يبال وأكمل نزوله في سرعه خارجا من الفيلا تحت نظراتها الغاضبه.

اتجهت من فورها إلي هاتفها لتتصل بياسر فهو الوحيد الذي تتمني أن تلقاه الآن، لا تعلم لما يخذلها الجميع اليوم فحتيى ياسر لم يرد عليها حتي بعد أن ألحت كثيرا في اللإتصال فألقت الهاتف بعنف على السرير جوارها ثم ألقت بنفسها تحتضن وسادتها باكيه بإنهيار تام حتى أنها لم تشعر بذلك الذي تسلل في هدوء يرقبها ثم مالبث أن أغلق الباب برفق دون أن تشعر به.

****

سألتها بنبره روتينيه لا تخلو من الفضول : اقوله مين حضرتك؟

أجابتها ليلي بود:قوليله ليلي، اخته .

قالت الكلمه الأخيره فقط لتطمئنها ، اتسعت ابتسامتها ثم مالبثت أن وارت دهشتها بإبتسامه قائله: حاضر ثواني وهبلغه، اتفضلي.

اشارت لها بالجلوس وتركتها لتخبره، أخذت تجيل نظرها بالمكان متأمله فقد كانت زيارتها الأولي له بالشركه ، ابتسمت حين رأت فخامه المكان فرغم كل شيء كان

شريف ناجح في عمله بكل المقاييس، وتخيلت لو رأت أمها الشركه ستنهار تماما أو ربما أصابها السكري من الغيظ.

تنهدت بعمق لافظه أنين السنوات الماضيه، رغم محاولاتها الدؤبه لم تتحسن العلاقه بين والدتها وأخوتها وشريف قط ، منبوذ هو دائما من حياتهم وكما لو أن هذا الأمر ليس كافيا حتي اصبحت علاقته بخالد متوتره أيضا وهذا جل ما يؤثر فيها، كانت بقرارتها لا تلوم خالد فقد كانت عدائيه شريف بلا مبرر، منذ تقدم خالد لها وهو يمارس معه كل الطقوس الإستفزازيه والتي مازال مداوما عليها.

نبهها صوتها الي الدخول إليه فدخلت لتجده واقفا فاتحا زراعيه فاحتضنته في حنان ثم قالت بفرحه: على فكرة الشركه جميله جدا ،برافو بجد انك قدرت توصلها لكده.

قال بزهو مصطنع: طبعا وانت لسه مشفتيش كمان قسم الإنتاج اللي أنا هفتتحه قريب.

قالت بفرحه حقيقيه: ربنا يوفقك دايما.

قال بلوم: دي المره الأولي اللي تيجي فيها الشركه رغم اني ألحيت عليكي كتير بس لازم تيجي في اللإفتتاح ومفيش اعذار المره دي.

قالت بابتسامه: إن شاء الله

صمتت فأثارت ريبته فقال : ليلي مالك؟، شكلك في حاجه مضيقاكي؟

قالت وهي تحاول أن يبدو صوتها طبيعيا: لا ابدا مافيش أنا بس جيت اطمن عليك.

قال بقلق: لا انت شكلك مضايقه من حاجه، انت متخانقه مع خالد؟

رغم أن نبرته هادئه وسؤاله عاديا إلا إنها انفجرت في وجهه في حده: لو سمحت يا شريف متتكلمش عن خالد بأي حاجه، مش كل ماتلاقيني مضايقه تقولي خالد زعلك، أنا كويسه وبطل وسوسه.

بدي مندهشا من عصبيتها الغير مبرره فالتزم صمته ثم قام وجلس قبالتها ونظر في عينيها بتمعن قائلا بهدوء: ليلي فيكي ايه؟، عصبيتك دي مش عشان جبت سيره خالد، انت في حاجه مضيقاكي ومش قادره تحكيها.

انزلقت ابتسامه على جانب فمها: وانت بقي كبرت وبقيت تقدر تحلل شخصيتي وانفعالاتي.

قال متكئا بظهره إلي الخلف : ليلي متغيريش الموضوع، مااالك؟!

ابتسمت تطمئنه: أنا كويسه المهم أنا جايه اتكلم معاك في موضوع.

قال مقطبا حاجبيه: خير في إيه؟

اطرقت محاوله إستجداء شجاعتها: شريف أنا اتصلت بدكتور مجدي وحكتله على اللي حصل معاك آخر مره لما كنت تعبان.

لم يعلق فأكملت: أنا روحت البيت وجبت اوراقك ورسوماتك القديمه.

سكتت برهة ترقب رده فعله لكنه ظل على صمته فمالت للأمام ممسكه بيده قائله بحنان: شريف أرجوك ساعدني عشان أقدر أساعدك ، دكتور مجدي منتظر مني تليفون اقوله هتروحله امتي ، وضعك قالقني ومينفعش نسكت عليه.

سألها بهدوء دون أن يرفع نظره إليها: انت حكيتي لخالد حاجه عن اللي حصل؟

-لأ محكتش لحد ولا حتي بثينه ، بس السكوت مش هيحل المشكله، صدقني انت لازم تروح للدكتور ، بطل تهتم بالناس واهتم بنفسك شويه ويا سيدي لو مش عايز حد يعرف مش هقول لحد بس لازم تتابع مع الدكتور ، حالتك.....

ثم بترت حديثها ، لم تشأ أن تخيفه أكثر وان كانت كلمات الدكتور لم تطمئنها.

_خلاص هبقي اكلمه واخد منه معاد.

قالت بحماس: لأ أنا هكلمه وهاخدلك منه معاد وممكن اروح معاك.

قال باندفاع: لأ مش عايز حد ييجي معايا ولا حد يعرف اني هروح اصلا.

_خلاص اتفقنا بس ابقي طمني عملت ايه معاه

أومأ موافقا ونهضت للرحيل ، حاول إبقاءها لكنها أخبرته انها لا تريد أن تتأخر وهمت بالانصراف ولكنها فجأه التفتت اليه وسألته إن كان قد رأي إيهاب قريبا ، بدي متعجبا من سؤالها لكنه أخبرها انه قابله في الصيدلية مع ابنته منذ فتره بسيطه، امتعضت عند ذكر سيرتها لكنها واصلت سؤالها: طيب لما شافك قالك حاجه؟! ، اتفقتو انكو تتقابلو ولا لأ؟

_لا احنا مالحقناش نتكلم بس اخدت رقمه ، انت كنت عايزه منه حاجه؟

ترددت ان كانت تخبره أم لا لكنها قالت بضيق: بصراحه أنا قلقانه من بنته، علاقتها بخالد مش مريحاني .

سكت برهة مستغرقا في تفكيره فسألته فيم يفكر فأخبرها بهدوء أن تترك الأمر له ولكن ذلك آثار خوفها أكثر فنهرته: لا يا شريف مالكش دعوه بالموضوع ده، ارجوك أنا بس عايزه اعرف عنوان الصيدليه ورقم إيهاب.

حاول الاعتراض لكنها بحسم أخبرته أن يبتعد عن هذا الموضوع لأن تدخله سيزيده تعقيدا.

قررت أن ترحل بعد أن أخذت رقم إيهاب دون أن تخبره انها حقيقه تريد إيهاب في أمر آخر.

خطت مبتعده لكنها قبل أن تخرج التفتت إليه غامزه بعينها قائله:على فكره البنت اللي بره دي عينها منك خلي بالك.

ارتفع حاجباه بدهشه فقالت مستنكره:متقولش انك مش واخد بالك دي مفضوحه اوي ، دي كانت هتموت من الغيره لحد معرفت اني اختك.

تدرج وجهه بحمره الخجل وأطرق فضحكت ثم قالت: شكلها طيبه كمان.

خرجت من شركته وقد عادت لنفسها جميع احزانها وأخذت تفكر بذلك الرقم ، لم يكن الأمر عسيرا ولكنه شر لابد منه كما كانت تقنع نفسها، لن تظل بجهلها كثيرا فالدلائل أمامها تقودها للشك والجنون وعليها أن تتقصي الحقيقه وتسأله عن سبب وفاه والدها فقلبها يحدثها أن الأمر ليس طبيعيا كما كانت تعتقد من قبل.

****

الفصل السابع عشر

قص خالد على والده ما حدث مع ليلي بعد أن احضر نتائج التحاليل و اخبره كم بكت حين علمت بالأمر وكيف أنطفأت روحها وذبلت عيناها وتهدج صوته وشعر والده بما يعاني فربت على كتفه وهو يحوقل ويستغفر الله.

طلب من والده أن يكون الي جانبها تلك الفتره خاصة وأنه سيضطر للسفر قريبا ويخشي تركها وحيدة في تلك الحالة.

بدي والده متفهما للأمر وإن كان استنكر موضوع سفره فأخبره بأمر ذلك المؤتمر فسأله عن موعده فأخبره أنه لم يحدد بعد ثم استأذنه في الرحيل كي لا يتأخر عليها خاصة وإنها نسيت مفتاحها واتصلت به ليبكر في عودته كي لا تضطر للمكوث طويلا عند ريهام وقبل أن يخطو للخارج دق هاتفه فوجد المتصل" رحاب" بدي الإندهاش على وجهه وعاد إلي مجلسه ورد عليها لتخبره إنها تحتاج لطلبيه آخري من العقار الذي يروج له فوعدها أن يحضرها لها قريبا ، شكرته ثم أغلقت على وعد بلقائه قريبا في الغد.

أغلق الهاتف وهو يبتسم حتي وجد صوت والده يسأله بشك عمن اتصل به فأخبره، بدي الرجل غير مطمئنا وسأله بشك: خالد انت في حاجه بينك وبين الدكتوره دي؟

أجابه ببراءه: لا يا بابا، ده شغل عادي واي صيدليه ممكن تطلب مني كميه من الصنف مباشره.

ربت والده على كتفه: خالد انت عارف أنا بثق فيك ازاي بس خلي بالك مراتك دلوقتي مجروحه ومحتاجالك وممكن تلاقيها حساسه من اي حاجه يعني تخلي بالك من حاجه زي دي .

ابتسم خالد من تفكير والده وقال بتفهم: متخافش يا بابا، أنا بحب ليلي ومش ممكن أعمل حاجه تضايقها ولا افكر في واحده غيرها.

_أنا عارف بس خلي بالك الفتره دي لازم تحتويها اكتر.

اومأ رأسه بتفهم ثم استأذن بالرحيل.

لا تعلم لما تشعر بتغيره منذ عودته من سفره ، حاولت جاهده نفض الفكره عن رأسها لكن قلبها لا يوافقها فهو زوجها الذي تعرفه منذ سنوات ، لا تعرف ان كان مجهدا حقا كما يحاول إيهامها أم أنه يشعر بالفتور كما يحدثها قلبها .

اقتربت منه بكل أسلحة الأنثى من دهاء ودلال تحاول ايقاظه في رفق متعمده الإستناد بجسدها عليه ، في دلال همست في أذنه لتوقظه ، تململ في فراشه وهو يوليها ظهره متظاهرا بالنوم متسائلا عن الوقت .

فردت برقه : لسه الوقت بدرى والبنات نيمين ، قوم نتكلم شويه .

سحب الغطاء على رأسه قائلا متظاهرا بالنوم : سيبينى عايز أنام .

تنهدت في عمق ثم حاولت إزاحه الغطاء عن رأسه مداعبه وجنته بأصابعها فقاطعها في حسم: هالة ، سيبيني عندي شغل بدري وعمليات الصبح ولازم اكون فايق.

ابتعدت في حده بينما سحب الغطاء ثانيه على رأسه ، نظرت له بحنق وريبه ثم ما لبثت أن خرجت من الحجرة في ذلك الوقت المتأخر من الليل وظلت جالسه بمفردها أمام التلفاز علها تهدأ قليلا ولكن هباء ، كان عقلها يعمل بسرعة واتّحدت عليها شكوكها لتثير مخاوفها وريبتها من تغيره ونفوره الواضح منها.

كان الوقت باكرا حين جاءها اتصال دكتور مجدي الذي فرحت به كثيرا فاتخذت من نفسها مكانا قصيا مبتعده عن الآذان المتلصصه والأعين الفضولية بالمدرسة وسألته عن حال شريف بعد جلسته الأولى التي علمت بموعدها.

بدي صوته عميقا وهو يخبرها أن ظنونها بمحلها وأن أفضل ما فعلته هو اقناعه بالذهاب اليه قبل أن تتاخر حالته أكثر.

بالرغم من محاولاته لبث الطمئنينه بقلبها إلا أن كلماته زادتها قلقا خاصه عندما طلب منها مقابلتها، دون تفكير اتفقت معه على الموعد دون حتي أن تستشير خالد ولكنها قبل زيارته اتصلت بإيهاب لتعرف إجابه لأسئلتها واتفت أن تلقاه بعد ساعة.

اتصلت تخبر خالد بزيارتها لإيهاب متعلله بالسؤال عن سعر الذهب وأنها تود تغيير القرط الخاص بها ، لم يعارض وعرض أن يأتي ليوصلها فأخبرته أنها ستخرج باكرا من المدرسه وتستذهب إليه مباشره.

حمدت الله على موافقته فقد كانت تخشي رفضه.

رحب ايهاب بها بشده ودعاها للجلوس وهويسألها عن حالها وحال خالد وبعد عده عبارات روتينيه للمجامله بدي عليها التأهب للحديث فقال: خير يا بنتي ، قولتيلي انك عايزه تتكلمي معايا في موضوع؟.

_أنا في سؤال عايزه أسألهولك من زمان بس ياريت تجاوبني بصراحه

_اتفضلي..

سألته بتردد ووجل : هو بابا مات ازاي، أنا عارفه انك كنت معاه يوم ما مات وانت كنت أقرب واحد ليه؟

ظهر الارتباك على وجهه وتمني لو تملص من مقابلتها من البدايه فما كان يتوقع أن تسأله هذا السؤال ، أخذ نفسا عميقا: ازاي مات ازاي؟! ، مات عادي موتت ربنا.

قالت بحسم مختصره طريق المراوغه: لا ما متش عادي، أنا عارفه ده كويس بس عايزه اعرف التفاصيل.

تزايد ارتباكه فقال: انت سألتي والدتك ؟

قطبت ما بين حاجبيها: سألتها وقالتلي انه مات موته ربنا بس أنا مش مقتنعه وجايالك اعرف الحقيقه منك.

قال محاولا التملص من مكيدتها :ماهي والدتك قالتك الحقيقه يبقي ايه اللي مخليكي شاكه وبتسألي بعد السنين دي.

قالت باندفاع وانفعال: لإني اكتشفت حاجه ومش فاهماها وممكن يكون ده له علاقه باللي بيحصل لشريف دلوقتي ولازم اعرف كل حاجه عشان اساعده.

بدأ قلقه يتضاعف: ليه شريف ماله، وايه علاقته بموت والدك؟

_ شريف رجعتله الحاله بتاعه زمان موضوع الهلاوس والاحلام وبيقول كلام غريب وبيشوف حاجات اغرب ورسوماته غريبه اوي.

بدي متلهفا وجزعا لمعرفه ما رأت لكنه تمالك نفسه وقال بهدوء: يا ليلي، انت عارفه ان اللي حصل لشريف زمان كان بسبب صدمته وعدم تقبله لموت والده خصوصا هو كان حنين اوي عليه وكان متعلق اوي بيه .

قالت بنفاذ صبر: الهلاوس رجعتله تاني ده معناه ان حصلتله انتكاسه يبقي اصلا هو متعالجش من الأساس والسبب لسه قائم.

رد بهدوء استفزها: أنا معرفش غير اللي قلتهولك واي حاجه تانيه اسالي والدتك عنها.

هنا ايقنت أنها لن تجد منه نفعا وتأكدت أنه يخفي أمرا ولن يصرح به بينما ترك الأمر الأن بيد والدتها فبدأ اليأس يدب بنفسها ولكنها بحسم قالت له : عموما شكرا يا

عمو بس اوعدك اني هسأل ماما ومش هسكت لحد معرف الحقيقه ، أنا كنت شاكه بس بعد مجتلك اتاكدت اني على حق، بعد اذنك.

تركته قلقا من اصرارها واستغفر الله وقال لنفسه بصوت يكاد لا يسمع: ليه بس كده، بعد السنين دي كلها بنتك مصره تكشف السر يا فهمي، بعد ما كان اتنسي ترجع دلوقت تنبش في الماضي، لا حول ولا قوة الا بالله .

****

شعرت بالإشمئزاز حين رؤيته فلم تتوقع أنه سيملك من البجاحة ما يدفعه حقا للمجيء ثانية لغرفتها ليتحدث معها، بدأت نيران الغضب تتأجج بداخلها وتكاد تطلق حممها عليه.

في غضب صاحت به أن يخرج من غرفتها، اتسعت ابتسامته: ده جزاتي اني جي أواسيكي واهديكي لما لاقيتك في الحاله دي.

اقترب منها بجرأة أشعرتها بالخوف فصاحت ليخرج من حجرتها فقال وهو يضحك من تصرفها الطفولي: مافيش داعي للصراخ والحركات دي، الفيلا مافيهاش حد غيرنا ،اصل أنا مشيت كل الشغالين قلت عشان نبقي براحتنا وعشان متخافيش حد يقول لسامح.

أتسعت عيناها في ذعر وهي تبتعد بظهرها إلي الخلف حتي اصطدمت بالدولاب ولم تجد مفر فقالت مهدده بغضب :زياد اطلع بره أنا سكت المره الأولي ومرضتش اقول لسامح عشان ميطردكش ويحصل مشاكل بس صدقني المره دي مش هسكت.

اقترب منها أكثر بينما انكمشت هي على نفسها ، قال وأنفاسه تلفحها وبنبره هادئة واثقة مستفزة: وانت فاكره أنه هيطرد أخوه عشان واحده زيك، انت تبقي هبله ده لو صدقك أصلا ومقالش عليكي مريضه ومجنونه وانك عايزه توقعي بينا.

فجأه طوقها بيديه وشعرت بأنفاسه حول رقبتها تلفحها فدفعته بقوه وهي تهرع إلي الحمام تفرغ ما بمعدتها من أثر الإشمئزاز ، ذهب خلفها ولم يمهلها كثيرا حتي لتعترض أعاد ضمها في قوه وأنفاسه تتهدج ولا تأبه لشيء من صراخها وبكائها المستغيث وهي تهدده تارة وتستعطفه تارة أخري راجية أن يتركها لحالها، قال وهو يلثم وجهها بشغف: تبقي مجنونه لو متخيله إني هسيبك، انت نعمه مش ممكن سامح يحس بيها ، أنا بس اللي ممكن أقدرك، من ساعه ماشفتك وأنا قلت أنك هتكوني ليا، مش ممكن اسيب الجمال ده كله لسامح .

دفعته بكل ما تملك من قوه وهي تصرخ مستغيثه حتي شعرت بدنو إنهيار قواها فجأه قامت بعضه في رقبته حتي صرخ ألما وأفلتها مرغما فاندفعت تجري وهي تلهث تكاد لا تلتقط أنفاسها وفجأة سمعت حركته خلفها فأسرعت في إندفاعها وهي تنظر خلفها فزلت قدمها وسقطت من أعلى السلم وأخذت صرخاتها تمتزج بشهقات هلعه وارتطام جسدها بكل درجه من درجات السلم حتي وجدت نفسها مدرجه بدمائها أسفل السلم وفي وهن لمحت أقدام موازيه لنظرها قبل أن تغمض عينيها وتغيب عن الوعي.

فإذا وقفت أمام حسنك صامتا

فالصمت في حرم الجمال جمال

كلماتنا في الحب تقتل حبنا

إن الحروف تموت حين تقال

دقت الجرس ولكن لم تجد إجابة فعلمت أن خالد لم يعد بعد، فلم تجد بد وقررت المكوث عند ريهام ريثما يعود وبالفعل دقت جرس الشقة المقابلة وانتظرت برهة ثم همت بدقه ثانيه فانفتح الباب وقبل أن تعتذر أو تنطق بشيء شهقت وتراجعت للخلف في ذهول تام ألجمها عن الكلام واتسعت عيناها دهشة وصدمة.

مرت لحظة متوترة بينهما فلم يكن هو أقل صدمة منها ولكنه تمالك نفسه بسرعه ناطقا اسمها في تساؤل غير مصدقا عينيه حين رآها أمامه هكذا وبدا وكأن صوته بث خدرا بأوصالها ألجمها عن النطق قبل أن تفيق وتتسائل بصوت يبدو أنه خرج من الاوعي محملا بالذكريات وحنين الماضي: كريم ؟!

ابتسم حين سمع اسمه منها بعد كل تلك المده وشعر بخفقان قلبه الذي نسى نبضه مع مرور الوقت بعيدا عنها، بدت اللحظات بينهما طويلة ومريرة أيضا دون أن يجرؤ أحدهما على مس قدسيه تلك اللحظة ولا قطعها بسخيف الكلام.

جاءهما صوت ريهام بالداخل مقاطعا لسيل الحديث الصامت بينهما ومنبها لوقفتها التي طالت أمام الباب ، كانت ريهام تتساءل عن هويه الطارق وهي تقترب من الباب مجففة يديها من أثر المياه حتي وصلت الباب فوجدتها بصدمتها أمامها قالت متسائله: ليلي ؟!

ثم مالبثت أن حانت منها إلتفاته إلي كريم الواقف إلي جوارها لتعرف ردة فعله ولكنها وجدت تلك الابتسامة العذبة على شفتيه فقررت انقاذهما من ذلك الموقف : ليلي ادخلي تعالي ، دي ساره لسه صاحيه وهتفرح لما تشوفك.

أمسكت بذراعها لتدخلها للداخل مفسحه لها الطريق لتمر ،دون وعي منها انساقت ليلي معها دون أن تكون فاقت بعد من شرودها .

جلست في الصالون وتركتها ريهام لتحضر سارة وعند خروجها وجدت كريم قبالتها مستعدا لدخول الحجرة لكنها وقفت أمامه تمنعه فتطلع إليها مستنكرا تصرفها وهم بإبعادها عن طريقه لكنها أوقفته دافعه إياه بيديها وامسكت بيده لتذهب به إلي حجرة جانبيه: كريم مينفعش اللي بتعمله.

قال متعجبا: وأنا عملت إيه؟، أنا هدخل اسلم عليها بس

قالت محذره: كريم ليلي دلوقتي متجوزه وعندها بيتها وجوزها اللي بيحبها وبيغير عليها ، يعني مينفعش حتي تفكر في أي حاجه من اللي كانت بينكم.

تضايق من حديثها وقطب حاجبيه قائلا: عارف، بس في كلام كتير بينا لازم يتقال و....

قاطعته في حسم: ليلي مكانتش تعرف اني اختك ولا اني اصلا اعرف حاجه من اللي كانت بينكم، خليك فاكر ده كويس، أنا مش عايزه اخسر ليلي.

اومأ موافقا متفهما ولكنه قال برجاء: بس سيبيني شويه هدخل اسلم عليها ومتخافيش مش هتكلم في اي حاجه ، انت عارفه أنا...

تهدج صوته وتوترت أنفاسه وبدأ صدره يعلو ويهبط في سرعه من انفعاله فربتت على يده قائله بهدوء : خلاص هسيبكم شويه وبعدين هاجي بسارة.

ابتسم شاكرا ثم أسرع الخطي نحو الصالون وطرق الباب في رفق قبل أن يدخل، نظرت للقادم في دهشه حين رأته يقف أمامها في هدوء وابتسامة رقيقة على وجهه محاولا كتم ما يعمل بداخله من انفعالات فقال: أخبارك إيه يا ليلي؟

بدأت تتمالك نفسها وهي تتسائل : انت هنا ازاي وايه علاقتك بريهام؟

اطرق لحظه دون أن يدر ماذا يقول، هل يخبرها أن ريهام اخته وأنه كان يطمئن عليها منها دائما حتي بعد رحيله .

كيف يخبرها أن ريهام أخفت عليها صلتها به كي لا تفقد صداقتها خاصه بعد أن لعبت الصدفه دورها وجعلتها تستأجر شقته والتي طالما حلم أن يتزوجها فيها .

تنهد في حسره لم تجد لها تبريرا الآن لكنه قال : كريم السريني أخو ريهام السريني.

اتسعت عيناها في دهشه حتي كادت أن تخرج من محجرها وهي تهتف بدهشه: اخوها!!

أومأ برأسه موافقا ، بين دهشتها قامت فجأه متسائلة بعصبية: كل المده دي ومقالتليش.

في تلك اللحظه دخلت ريهام وهي تعرف أن اللحظة التي خشتها كثيرا قد جاءت ، تظاهرت بالإندهاش وتساءلت في بلاهة مصطنعة : ليلي في ايه مالك، بتزعقي ليه؟

قالت ليلي بعصبية : انت ليه مقلتليش ان كريم اخوكي ؟

قالت ريهام ببراءة : لأنك مسألتيش وبعدين انت تعرفي كريم منين .

كانت تلك الطريقة الوحيدة التي وجدتها ريهام مناسبه للتعامل مع الأمر فعلى كل حال كريم لم يقدم ليلي لأهله من قبل فمن الطبيعي عدم معرفتها بعلاقتهما.

ارتبكت ليلي حين علمت بجهل ريهام بالموضوع ولكنها حاولت التماسك للخروج من ذلك المأزق ولكن كريم قاطعها وهو يرمقها دون أن يطرف رمشه او يحيد بنظره عنها وكأنه يسترجع ملامحها في قلبه قال بهدوء:ليلي كانت زميلتي في الجامعه وكنا متفقين على الخطوبه قبل ما سافر و.....

بتر كلماته وهو يرمق تعابير وجهها ويري الألم المرتسم عليه فشعر بغصة بقلبه وتمنى أن يحتويها بين ذراعيه ولكن الحواجز تمنعه حتي من مجرد فكره الإقتراب منها فلم يملك سوي أن يضمها بعينيه معتذرا عما حدث وما سببه لها من آلام لا تقل عما شعر ويشعر به الآن.

شعرت وكأن الزمن توقف عند نقطه بعيده بذاكرتها فلم تدر بأي مكان هي وكأن قلبها وعقلها تجمد عند تلك اللحظة منذ سنوات وشعرت بخفقان قلبها والإضطراب يعتليها ولكن فجأة قطع سيل ذكرياتها رنه هاتفها بالنغمه المخصصه لخالد ، اخرجته في ذهول وهي لا تدرك من أمرها شيئا وأتاها صوته يوقظها من دائره ذكرياتها تلك لتعود لأرض واقعها: ليلي، انت فين؟، أنا في البيت دلوقتي، انت لسه عند ريهام؟

اومأت له كأنه يراها ثم مالبثت أن خفضت عينيها والتي كانت تثبتها على كريم ثم قالت بصوت واهن: ايوه يا خالد أنا جايه دلوقتي ، سلام.

اغلقت الهاتف ووجهت حديثها لريهام قائله: أنا لازم امشي دلوقتي

اعترض كريم طريقها محاولا استبقاءها لكنها رفعت إليه عينيها بنظره صارمة فجذبته ريهام في رفق من ذراعه لتبعده عن طريقها واندفعت هي خارجه وكأنها تهرب من شبح يطاردها واغلقت الباب خلفها وهي تلهث رغم أنها لم تبذل جهدا فهي مجرد خطوات خطتها لكن صراعها الداخلي كان أقسي عليها من الجري، تنهدت في عمق ونفضت رأسها لائمة نفسها على ذكرياتها تلك وتوجهت إلي باب شقتها ودقت الجرس ففتح لها بإبتسامه عذبة : معلش أتاخرت عليكي كنت عند بابا، قعدتي كتير عند ريهام؟

قالت وهي تخطو للداخل: لأ ملحقتش.

ودت لو اخبرته أنه تأخر كثيرا، وأنه كان عليه أن ينتشلها قبل أن تنغمس في ذكرياتها

إلي هذا الحد بل قبل حتي أن تلقاه، لماذا لم يشأ القدر أن يكون هو حبها الأول وأول من نبض له قلبها ؟!

لماذا لم يرحمها القدر من معاناة حبها الموؤد ولوعه الخذلان ، بدت مضطربة المشاعر للغايه خاصة عندما احتضنها خالد من الخلف قائلا في حنان : وحشتيني.

ابتسمت حين لامست أنفاسه شعرها وقالت وهي تضع يدها على يديه المطوقه لخصرها وهي تلتفت بوجهها نحوه : وانت وحشتني اكتر .

ثم استدارت بجسدها كله لتقف بين ذراعيه التي تضمها قائلا: عمو عامل ايه؟

قال وهو يقبل رأسها: كويس وبيسلم عليكي ، عملتي ايه عند ايهاب ، لقيتي حاجه عجبتك؟

بدت غير فاهمه لكنها استوعبت الأمر بسرعه وأجابته: لا مافيش حاجه عجبتني ، الأشكال كلها قديمه ومتكرره.

ضمها اليه في حنان وهو مازال ينظر في عينيها قائلا بحب: انت ليه حلوه اوي النهارده،

ابتسمت في غرور مصطنع: ده العادي بتاعي على فكره ، بس انت مبتقدرش.

ضحك لأسلوبها وغمز لها بطريقه خاصه قائلا: طيب ما تيجي في الأوضه أوريكي إن أنا بقدر.

دفعته بمرح: لا أنا لسه معملتش الأكل ولو دخلت جوه دلوقتي مش هطلع غير على العشا.

قال بمرح: خلاص نقضيها دليفري.

ضحكت وهي تبتعد نحو الحجرة هاربه منه وأغلقت الباب خلفها ريثما غيرت ملابسها دون أن تلتفت لطرقاته الملحه ليدخل.بعد قليل كانت قد أعدت طعام خفيف وشرعا في تناوله ، كانت تبتسم لرقته حين يطعمها بيده ولكن ذلك لم يمنع شرودها والذي لم تقصده فيومها كان حافلا بمفاجآت عده لم تكن في حسبانها وكأن المصائب حقا لا تأتي فرادي وتضايقت من نفسها حين ضبطت مشاعرها تتذبذب وعقلها يخونها ويفكر في كريم وتلك الصدفة الغريبة التي جعلتها تسكن في تلك العماره تحديدا دون غيرها، هل أراد القدر حقا أن يجتمعا بعد تلك المدة بدي عقلها مشوشا غير مستوعبا ، هل كانت ريهام حقا تجهل علاقتهما وما سبب عودته هكذا فجأه بعد غيابه الغير مبرر.

كانت تعلم أن عودته الآن غير محمودة ، نعم كان حبها الأول والذي استمر طول سنوات الجامعه بكل ما تحمل من جميل المشاعر وعذوبتها لكنها الأن زوجه لأخر يحبها وتحبه وتقدره أكثر بعد تمسكه النادر بها ، في امتنان وضعت يدها على يد خالد إلي جوارها وربتت عليها فنظر لها باسما ورفع يدها إلي فمه يقبلها ثم بدي مترددا قليلا قبل أن يخبرها أنه سيضطر للسفر بعد يومين وسيمكث أسبوع أو عشره أيام على الأكثر.رفعت حاجباها في دهشه متسائله عن المكان فأخبرها أنه سيسافر إلي تركيا وأمسك يدها يضمها الي قلبه: صدقيني لو عليا مكنتش عايز اسافر واسيبك بس مينفعش

ابتسمت في تفهم : ميهمكش ، سافر بالسلامة وأنا هقعد عند ماما لحد مترجع

تضايق من فكره ذهابها لوالدتها فاقترح أن تمكث عند والده أو يأت هو ليمكث معها تلك الفتره فقالت معترضه: مش هيرضي يقعد هنا عشان السلم صعب عليه في الطلوع والنزول عشان الصلاة في المسجد وأنا مش هينفع اروح عنده عشان المشوار بعيد للمدرسه وهتأخر أوي في الرجوع.

قال باستسلام: خلاص اللي يريحك يا حبيبتي.

لملمت الأطباق بشرود وعادت تفكر فيما قاله لها إيهاب.

الفصل الثامن عشر

بغريزه الأنثي شعرت هالة أن هناك أخرى في حياة زوجها فتغيره المفاجيء معها ونفوره منها ومن البنات لم يكن اعتياديا، حتي مكوثه في المنزل تقلص واصبح يعود فقط على موعد النوم.

لم تكن وحدها من لاحظت هذا التغيير فأمه أيضا لاحظت ذلك وبدأ يسوؤها فهي لم تعد تراه بالأيام وهذا لم يكن يحدث بالسابق ، حتي إهتمامه ببناته فتر فجأه مما آثار قلقها فدفعها للحديث إلي هالة والتي استغربت الأمر فلم يسبق من قبل أن طلبت أن تنفرد بالحديث معها بعيدا عن البنات ولكنها اطاعتها وذهبت معها إلي حجرتها .

أشارت لها سامية أن تجلس إلي جوارها ووسط دهشتها لم تملك إلا أن تستجيب لها.

_بصي يا بنتي، أنا عايزه اسالك على حاجه كده ومتتكسفيش مني.

رفعت حاجبيها في دهشه لكنها لازمت صمتها وهي تتوجس ريبة من مفتتح الكلام فأردفت سامية بحرج: هو حسن معاكي زي الأول ولا حاسه إنه متغير ؟

اطرقت هالة برهة محاوله أن تستشف ما وراء كلماتها مما دفعها لرفع الحرج متسائله مباشره: قصدي يعني في علاقته معاكي متغير ولا لأ؟

اكتسي وجهها بحمره الخجل واطرقت بصمت فقالت ساميه بود على غير عادتها: يا بنتي احكيلي، بصراحه أنا من ساعه ما رجع من السفر وهو مش زي عوايده لا بيقعد في البيت ولا واخد باله من العيال زي الأول عشان كده أنا بسألك.

ترقرقت دمعه بعينيها حاولت وأدها في مهدها لكنها لم تفلح فانسابت على وجنتها في صمت.

ربتت ساميه على كفها في رفق: خلاص أنا فهمت، قومي شوفي العيال وأنا ليا كلام تاني معاه أنا ميعجبنيش الحال المايل.

قالت هالة بلهفه: لا يا ماما سيبيني أنا أتكلم معاه الأول أنا مش عايزه احرجه معاكي ، يمكن في حاجه مضايقاه مني وميقدرش يقولهالك.

ابتسمت في تفهم: ماشي كلميه بس لو ملقتيش حل معاه قوليلي وأنا هعرف اشوف شغلي معاه، اللي بيحصل ده حرام في حقك وحق البنات.

شكرتها هالة وعادت إلي بناتها وهي تشعر بالامتنان نحوها فقد كانت المرة الأولي التي تقف إلي صفها وتخاف عليها وعلى بيتها ، بث ذلك بعض الأمأن إلي نفسها المضطربة وقررت أن تصارحه بشكوكها وتغيره نحوها.

فتحت عينيها بوهن وهي تشعر بثقل أجفانها وبخدر يسري بأوصالها، غير مستوعبة أخذت تتأمل المكان حولها ورويدا رويدا بدأت في استيعاب الأمر وبفزع تذكرت ما كان قبل قدومها إلي المشفي ، حاولت النهوض لكنها لم تجد قوه كافية لذلك فاستسلمت في وهن وهي تلتفت إلي صوت الباب الذي يفتح في بطء وهي ترقب القادم والذي لم يكن سوي ياسر الذي ابتسم حين وجدها قد استفاقت وسألها في حنان عن حالها، بدت مصدومة من رؤيته فلا تعلم ماذا أتي به إلي هنا ومن جاء بها من الأساس وكيف عرف هو بالأمر؟، لابد أنه سامح ولكن أين هو ، ظلت الأسئله تراودها بين دهشتها وألمها ودمعها الذي خانها فانساب علي وجهها، بخطوات مترددة اقترب منها ساحبا مقعد ليجلس جوارها وظل يتأملها في أسي وشفقة عليها، اشاحت بوجهها إلي الجهة المعاكسة كي لا يرى دمعها التي لم تدر وقتها لأي سبب تذرفه، ما بين ندمها وصدمتها واحساسها بالخيانه والخذلان والخوف متاهات تلفها وتغرقها بقاعها أكثر.

شعرت بلمسه يده المترددة تربت كفها في رفق فارتفع نشيجها وهي تري ذلك الحب في عينيه، انتفض قلبها وهي تبكي بألم لا يعلم كيف يحتويه، حتي الكلمات أضحت بائسة أمام مأساتها، كيف يخبرها أن أوان الحزن الحقيقي قد آن وهي بعد لم تدر بمصابها.

في رقه ذابت لها سألها: حاسه بايه دلوقتي، في حاجه وجعاكي؟

أجابته وهي تكفكف دمعها: أنا كويسه ، اومال سامح فين؟!

بدت الحيره في عينيه لكنه قال: لسه ما وصلش...

بتر جملته ولم يفصح أكثر حتي ارتسمت دهشه جليه على ملامحها وسألته بصوت واهن: أومال مين جابني هنا وإيه اللي حصل بالظبط.

أخبرها أنه هو من أحضرها ، هنا أدركت أن تلك الأقدام التي رأتها قبل أن تفقد وعيها كانت له ، إذن فقد جاء بعد أن رأي مكالماتها التي لم يرد عليها، عقدت الدهشه لسانها فأخبرها موضحا أن القلق أعتراه حين رأي مكالماتها وحاول الإتصال بعدها فلم ترد فتصاعد قلقه ولم يجد بد من الذهاب إليها.

حاولت الإستناد على مرفقها لتعتدل في جلستها لكنها لم تفلح وكادت تسقط لولا أنه نهض لمساعدتها ودون تفكير وضع يده حولها مانعا إياها من السقوط وبالأخري عدل من وضع الوساده خلفها.

وكأن القدر هيأ تلك اللحظة تحديدا ليثير أعصابها فتشعر بدغدغة خفيفه تعتريها وزادت نبضات قلبها حتي يكاد يسمعه حين وجدت نفسها بين ذراعيه، في لحظه بدت دهرا شعرت بنفسها هشة صغيرة كعصفورة بين أحضانه وأمام صدره العريض الذي خبرت نشوة دفئه لأول مره ، دون قصد منها شعرت بقلبها ينصهر ووجنتها تشتعل سخونة من حمره الخجل المحببه تلك، ودت لو تضع أناملها على صدره تلتمس دفئه حقا ، تشعر بدقاته ، أن تحتويه بيديها لتصدق انها فقط لا تحلم وامتدت أصابعها في الفراغ بين قلبها وقلبه لكنها سرعان ما أنزلتها في خجل وانكمشت بجسدها إلي الوراء متفاديه الإحتكاك به ، وكأنما شعر هو بذلك التيار الذي سري بجسدها وبجسده أيضا فلم يملك سوى أن يبتعد قليلا كي لا يتفاقم الأمر إن لم يتمالك نفسه خاصة وهي بمثل ذاك الضعف،لماذا يزداد عشقه لها دائما في ضعفها ، لماذا يشعر بخفقان قلبه يتزايد أمام حزنها؟ ، لم لا يشعر بذلك أمام جمالها وأنوثتها!، فقط ضعفها وانكسارها يثيرانه حد الجنون فيشعر بها تتخلله رغم كل وعوده لقلبه أن يتناساها ويبتعد.

في تلك اللحظة تحديدا وقبل ابتعاده ببرهة وجدا الباب يفتح بعنف ويدلف سامح إلي الداخل في غضب بادي على وجهه وعاصفه بركانيه تستعر بداخله، لم يكن يحتاج مثله لتفسير ، حين رأي ياسر متكئا هكذا في هذا الوضع لم يكن ليصدق أنه فقط يساعدها في الجلوس.

في جنون اندفع نحوه ممسكا بتلابيبه ووسط دهشته لكمه في أنفه مما اضطره أن يتقهقر إلي الخلف خطوات مترنحا غير مستوعبا لما يحدث مستنكرا تصرفه هذا الغير مبرر وبدون وعي هتفت دينا بلوعه: ياسر..

نظر لها سامح بغضب واقترب منها وصفعة قويه دوت على وجهها زلزلتها، وسط ذهولها وذهول ياسر الذي فاق للتو من ترنحه اتجه ياسر نحوه بعصبية ممسكا إياه من ياقته ليبعده عنها وواجهه بعينين يشعان نار وهم بالحديث لولا أن قطع عليه صراخ سامح المجال: انت حيوان، أنا آمنتلك ودخلتك بيتي تقوم تخوني، انت سافل ، وألتفت إلي دينا مكملا سيل شتائمه وغضبه الهادر: وانت كمان أسفل انسانه شفتها في حياتي، أنا اتجوزتك وانت ماحيلتكيش حاجه وستتك وعملتك هانم وسكنتك في فيلا عمرك ماكنتي تحلمي تعدي من قدامها تخونيني، أنا تخونيني مع ده وفي بيتي!!!

وهنا حاول التعدي عليها ثانية إلا أنه وجد ياسر ممسكا بيده المرفوعه مانعا إياه من ضربها فتلاقت نظراتهما نارية ، حاول أن يفلت يده من قبضته لكنه لم يفلح حتي قال ياسر وشراره الغضب تتطاير من عينيه: بس كفايه لحد كده، قبل ماتمد ايدك وتضرب واحده ست ابقي اعرف الاول مين اللي انت إئتمنته ودخلته بيتك وحاول هتك عرضك، مين اللي خانك من غير مايراعي حرمه ولا الدم اللي بيجري في عروقكوا، روح اسأله الأول قبل ما تيجي تظلمها وتتهمنا بالخيانة.

ارتفعت دقات قلبها بشده من خوفها وهلعها وهي تلمح وجه ياسر الغاضب والذي لم تره من قبل وزاد من خوفها شراسه سامح والتي قد تدفعه لفعل أي شيء، لا تعلم ما الذي جعله يفكر في ذلك ولا سبب اتهاماته الباطلة وظلمه لها هي التي تحتاج حنانه الآن قبل أي شيء.

نفض سامح يده من قبضه ياسر وهو يصيح: انت مش ممكن تكون سافل للدرجه دي، انت كمان عايز تشككني في أخويا عشان تداري عملتك انت والهانم!!

لأول مره نطقت من وسط دموعها وألمها الذي بدي جليا بعد أن أطارت صفعته آثار البنج المتبقية في محلولها المعلق بذراعها وقالت بصوت باكي: سامح متظلمنيش، زياد حاول يغتصبني وأنا بهرب منه وقعت من على السلم وياسر هو اللي جابني هنا.

حاول أن يتمالك نفسه قليلا وإن كانت أنفاسه الثائرة مازالت تخرج حممها فترسم على ملامحه لوحة مخيفة قال: وانت فاكراني مغفل وهصدقك، أنا كنت متأكد إنكو هتقلبوا الحقيقه بعد ما زياد لقاكو مع بعض في الفيلا ولا تقدري تقوليلي إيه اللي جاب البيه الفيلا بعد ما مشيت ومين سمحله يدخل؟!

لم تدر بما تجيبه سوي دموعها وتزايد خوفها ، ماذا ستخبره عن ياسر؟، هل تخبره أنه جاء لأنها حاولت الإتصال به كثيرا لتشكوه زوجها أم تخبره أنها كانت تعرفه من قبل وأنها لا تثق في سواه حتي هو زوجها لم يكن ليحتويها ويبث الأمان في نفسها المضطربة مثله .

قاطع صمتها صوت ياسر والذي جاء هادئا عميقا رغم ما يعتمل بنفسه من انفعالات:أنا جيت لما لاقيتها رنت عليا عشان تستنجد بيا ولما ماردتش على اتصالي قلقت يكون حصلك حاجه وجيت الفيلا وأنا فاكرك هناك ولما لاقيت الباب مفتوح دخلت خصوصا لما لقيت عربية زياد بره وندهت ملاقيتش حد من الشغالين لحد ماسمعت صراخ جي من فوق وقبل مستوعب الموقف كانت بتجري وزياد وراها وفي لحظه وقعت من على السلم ونقلتها هنا .

كان يستمع إليه بإستنكار وابتسم بسخرية وبحركة مسرحية صفق بيده قائلا بتهكم: برافو، سيناريو محبوك بس تصدق انك نسيت حاجه مهمه، اردف بنبره اكثر حده واتهاما: انك تقولي انك والهانم كنتو بتتقابلو من ورايا وبتخرجو سوا وان زياد شافكو ولما حذرك إنك تبعد عنها وإلا هيبلغني عملتو الفيلم ده ومشيتو الشغالاين عشان تحبكوها.

أردف بحسم موجها حديثه لها: عموما اللي في بطنك ميلزمنيش وورقتك هتوصلك قريب.

هتفت قبل أن يغادر بلوعة: سامح لأ، استني متظلمنيش والله ما خنتك واللي في بطني ده ابنك.

تركها تصرخ دون أن ينظر خلفه، نزعت بسرعه الأسلاك المعلقه بكفها وخطت بقدمها لتلحق به ولكنها في لحظه مادت الأرض بها حين رأت الدماء تكسو ساقيها وكادت أن تسقط أرضا مغشيا عليها لولا أن هب ياسر لإحتضانها بين ذراعيه هاتفا ليحضر أحد الأطباء .

وضعها على السرير قبل أن يهرع خارجا صارخا في إحدي الممرضات أن تحضر الطبيب حالا فأسرعت بدورها لاستدعاء أحدهم.

ألحت عليه أن تذهب معه إلي المطار لتودعه لكنه قبلها في حنان: لا يا حبيبتي ما ينفعش، أنا هروح مع عربية زمايلي ومينفعش تيجي معايا عشان هتكوني الست الوحيده هناك.

قالت بتحدي: يعني انت الوحيد اللي متجوز ومراتك هتروح تودعك!!

ابتسم من طريقتها : لا مش الوحيد المتجوز بس الوحيد الي بيغير على مراته كده، لإني الوحيد اللي مراتي زي القمر ومحبش حد يبصلها ويبحلق فيها .

قال جملته تلك وهو يداعب ذقنها بأنامله في حنان ناظرا إلي عينيها فقالت: أنا رايحه مع جوزي مش لوحدي.

قال : طيب وهترجعي ازاي لوحدك والوقت اتأخر ، أنا هنزل يادوب ألحقهم .

قالت بإستسلام : خلاص يا حبيبي بس خلي بالك من نفسك واوعي تبص يمين ولا شمال انت فاهم.

قالت جملتها وهي ترفع إصبعها محذره فأقترب منها مقبلا اصبعها ثم ضمها إلي صدره بدفء: أنا عمري ما أقدر ابص لغيرك وانت عارفه.

قالت وهي تطوقه بذراعيها كطفلة صغيرة : متتأخرش عليا يا حبيبي.

نظر بعينيها بتأمل : ادعيلي ارجع بالسلامة.

قطبت جبينها وهي تنظر إليه بقلق: خالد انت بتخوفني ، في إيه؟

ضحك وهو يقول بمرح: والله انت بتحبي الدراما فقلت محرمكيش يعني.

ثم واصل ضحكه الذي استفزها فلكزته في ذراعه ثم مالبث أن نظر إلي ساعته فأخبرها أنه تأخر وودعها ناطقا بنصف الشهادة فأكملت باقيها ونزل في سرعة وهمت أن تغلق الباب خلفه ولكن فجأة أنفتح الباب أمامها وظهرت ريهام قبالتها ، همت أن تتجاهلها وتغلق الباب لكن نداءها أوقفها فاقتربت منها ريهام قائله في رجاء: ممكن اتكلم معاكي شويه، أنا عارفه ان خالد نزل دلوقتي وانك قاعده لوحدك، وبصراحه عايزه اكلمك في موضوع.

لم تكن مرحبه بتلك الزيارة لكنها فتحت الباب وسمحت لها بالدخول دون أن تنطق حتى دخلا فتقدمتها إلي الغرفة الجانبيه .

لم تدر ريهام أي طريقا تسلك لتبدأ حديثها، أمضت دقائق بسيطه في السؤال عن حالها وعن خالد كمقدمه عقيمه لجلسات نسائيه معتادة واطرقت برهة قبل أن تقول مباشره: ليلي أنا مكنتش أعرف بموضوع كريم ولا اللي حصل زمان، أنا مش عايزاكي تاخدي مني موقف وتبعدي، أنا معرفتش غير بعد ما مشيتي وكريم حكالي اللي كان بينكو.

كانت تعلم انها تكذب لكنها لم تشأ أن تخسر صداقتها خاصة انها يكن لها ذنب فيما حدث بينهما كما لم يكن لها يد في الصدف التي لعبت دورها فجعلت من ليلي جارتها وصديقتها.

بعد فتره وجيزه من الصمت : عموما أنا هصدقك خاصة واني أنا وهو مكانش بينا حاجه رسمي ووارد انه ميكونش حكالكو حاجة لإنه من الأساس مااعتبرش الموضوع جد.

_لا والله كريم عمره مكان بيتسلي ولا بيسرح بيكي.

قالت ليلي بمكر: وانت عرفتي منين الكلام ده؟

دارت ريهام ارتباكها بجداره وقالت كاذبة : لأنه حكالي كل حاجه بعد مامشيتي، صدقيني يا ليلي لو سمعتيه هتعذريه، هو كان مسافر عشان ساره ،عشان....

قاطعتها ليلي في حسم : ريهام كفاية لو سمحتي، أنا مش عايزة اعرف اي حاجه عن اللي فات، أنا نسيت كل حاجه تخصه من يوم ما خالد دخل حياتي وميفرقش معايا ايه سبب بعده.

قالت ريهام برجاء: بس يا ليلي اديني فرصه اشرحلك ، هو عايز يفهمك كل حاجه عشان تسامحيه .

بنفس الحسم ردت: ارجوكي لو عايزانا نفضل صحاب بلاش نتكلم عنه، قلتلك ميفرقش معايا السبب وميفرقش إن كنت أسامحه ولا لأ.

كادت ريهام أن تخبرها أنه لم يهنأ بنوم منذ فراقها فهي أخته وأدري بحالته وودت فقط لو تعطيها ليلي المجال لتشرح لها سبب بعده وتركه لها فجأة لكنها بدت صارمه على غير عادتها لا تبغي التراجع، قطعت تفكيرها متسائله: اخبار سارة إيه؟

اخبرتها أنها بخير ثم عادت ليلي تسألها عن ياسر وعن حاله فاخبرتها بحزن أنه ينوي اخذ ساره لتعيش معه لكن أمها ترفض ذلك وتصر على التشبث بها وأخبرته أنها مازالت صغيره وتحتاج لأمرأة ترعاها ، قالت ليلي بتفهم: عندك حق بس هو كمان باباها ومن حقه بنته تعيش معاه وتتعود عليه ويتعود عليها.

قالت باستنكار: وتفتكري هو فاضلها ولا هيعرف ياخد باله منها، كفايه انه كان السبب في موت أمها دلوقتي عايز ياخدها تتشرد معاه ويحرمنا منها .

_حرام عليكو كده، الأعمار بيد الله ولو ربنا مكانش رايد انها تحمل مكانتش حملت وعمرها مكتوب بالثانيه والدقيقه يخلص امتي.

_ونعم بالله بس مسألة إنه ياخد سارة دي عامله مشكلة في البيت حتي كريم قرر انه يتكلم معاه ويقنعه يسيبها معانا نربيها لحد متكبر شويه.

كان ذكر كريم في الحديث كافيا لتشعر بغصة في قلبها منعتها من الحديث ولكنها حاولت تناسيه مكملة حديثها معها حين سألتها عن خالد فاخبرتها أنه سافر وسيعود بعد فترة .

رن هاتفها فنظرت إلي المتصل فوجدته دكتور مجدي فاستأذنت من ريهام أن تجيب وهمت بالنهوض لتذهب لحجره مجاوره ولكن ريهام استاذنت في الرحيل ورغم إلحاحها عليها لتبقي لكنها أصرت فلم تكن تجد داعي لبقائها.

دخلت الحجره لتجده يكمل ارتداء ملابسه دون أن يتناول افطاره استعدادا للنزول فقالت تسأله بجفاء: انت نازل يا حسن دلوقتي؟!

اجابها دون أن يلتفت إليها: ايوه ورايا عمليات النهارده.

_بس اللي اعرفه ان مبارح كان عندك عمليات هو كل يوم

نظر إليها متعجبا:أنت من امتي بتسألي عن شغلي ومواعيدي ، في ايه؟!

قالت بحده:في اني مابقتش اشوفك خالص في البيت ، حتي البنات مبقتش تهتم بيهم ولا بتقعد معاهم زي الأول ، أنا عايزه أعرف في ايه بظبط

قال بنفاذ صبر وهو يعدل من هندامه: هالة مش ناقص نكد على الصبح، قلتلك مشغول وورايا عمليات، اسيب حالي عشان اقعد معاكو هنا في البيت.

ردت بصوت مختنق من البكاء الذي تكتمه: طيب قولي ايه اللي مغيرك، من يوم مارجعت من السفر وأنت مش معانا حتي مامتك لاحظت ده وسألتني.

قطب جبينه ونظر إليها متفحصا ثم سألها: سألتك علن ايه؟

قالت بحماس: سألتني لي متغير ومبقتش بتقعد في البيت ولا بتشوف العيال.

رفع حاجبيه دهشه قائلا: من امتي انت وماما بتقعدو وبتحكو مع بعض ده انتو طول عمركو ناقر ونقير وعلى طول مشاكل مع بعض ، دلوقتي اتفقتو عليا .

_لا بس حالك هو الي خلانا نتكلم وتغيرك ده مش طبيعي.

سكت برهة قبل أن تضيف في أسي: انت في واحده تانيه في حياتك؟!

رفع حاجبيه دهشه ونظر إليها فوجدها جادة في حديثها ترمقه منتظرة ردة فقال باستخفاف: انت اكيد اتجننتي، الحمل شكله مأثر عليكي.

قالت بحدة : أومال في ايه، دي مش تصرفات ، أنا بجد زهقت.

قال بحده: ابتدينا

تركها وخرج من الحجره قائلا : سلام قبل ما تبتدي وصله النكد المعتاده وأنا عندي شغل.

جلست سامية مفكرة في حال ابنها بعد أن سمعت ما قاله فهي تعرفه جيدا وتدرك تغير حاله والذي لا شك خلفه امرأة فلا يبتعد هكذا ويتغير حاله في تلك المدة إلا لو

عرف أخري سلبت لبه فأنسته بيته وزوجته، حين وصل تفكيرها لتلك النقطة وجدت نفسها تشفق عليها مما دفعها تتعجب من حالها ففيما سبق كانت لا تتواني عن تبكيتها وإدعاء أنها لا تناسب ابنها الطبيب، قامت من جلستها تلك وهي تتجه لحجرة هالة حتي أذنت لها بالخول وهي تكفكف دمعها، جلست جوارها وهي تربت على كتفها في حنان: متزعليش كل حاجه وليها حل، وبإذن الله هيرجعلك زى الأول وأحسن.

ثم أردفت بشيء من الحسم :قومي غيري هدومك واغسلي وشك عشان ننزل .

بدت الدهشه عي وجهها : هنروح فين؟!

قامت منهيه الحوار: البسي الأول وبعدين هتعرفي، قومي عشان مانتأخرش.

****

الفصل التاسع عشر

لم يكن سؤال دكتور مجدى يثير دهشتها بقدر ما أثار ريبتها،إنه إذاً يشك مثلها في طريقة وفاة والدها ومما زاد ريبتها سؤاله إن كان والدها أو والدتها يتناولان القهوة بكثرة ،هنا ألجمتها التفاصيل وذكريات فقررت الذهاب إليه في الحال فمن أسئلتة عرفت أنه استنتج الكثير عن حالة شريف وهي لن تقف مكتوفة الأيدى حيال ذلك فقررت أن تساعده لينكشف كل شيء .

بعد قليل كانت تطرق باب العيادة الخاص به ،في سرور سمح لها بالدخول.

جلست أمامه في اهتمام وإصغاء تام لما يقول شارحا كل النقاط التي اضطر للوقوف عليها في حالة شريف إبتداءً من أحلامه المتكررة لتلك المرأة ذات العين الواحده وهو يجسد مخاوفه في هيكل امرأة وحيدة العين ثانيا أمر إنطوائيته منذ صغره والتي أصابته بشيء من العدوانية عند كبره كميكانيزم دفاعى لإحساسه بالإضطهاد وأنه شخص غير مرغوب فيه من قبل الآخرين وعند تلك النقطة توقف يسألها عن تفاصيل وملامح طفولته،شعرت بالتيه وهي تجهل ماذا عليها أن تحكى : مش عارفه أحكى طيب حضرتك مسألتش شريف ليه ، اكيد من كلامه كنت هتفهم كتير عن طفولته ؟!
أجابها في هدوء وهو يرجع بكرسيه إلى الخلف : بصى يا مدام ليلى ،مشكله شريف معقده ،فيها جزء واضح يخص الطفوله خصوصا مع الرسومات اللى شوفتها واللى اكدتلى ده بس فيه حاجات مش فاهمها وهو كشخصيه انطوائيه محاكاش كل حاجة ، أنا بالنسبه له شخص غريب مش موثوق فيه وده اللى خلاه مش قادر يقول كل اللى جواه ده غير أنى حسيت أنه جانى بس إرضاءا ليكي

أومأت ليلى برسأها موافقه قائله: أنا ألحيت عليه كتير لحد ما رضى يجى هنا .

سكتت برهة ثم قالت :طيب حضرتك ممكن أسمع الكلام اللى شريف قاله وبناءا عليه ممكن أساعدك ،ينفع .

التفتت بجواره إلى درج مكتبه وهو يلتقط (سى دى) خاص بشريف واضعا إياه في مشغل الأقراص قائلا : هيبقى كويس اوى لو أنك وضحتيلى بعض النقاط لأنه رافض يحكيلى كل اللى جواه بس ده ميقلقش لانه حكى بالفعل حتى لو قشور بس دى كبداية كويسة.

مضى أكثر من نصف ساعة وليلى تستمع إلى التسجيل الخاص بشريف وبالفعل أدهشها بعض المواقف التي كانت قد نسيتها بينما حكاها هو بكل تفاصيلها وكأنها بالأمس .

انتهي التسجيل ونظر إليها متفحصا نظرة الألم المرتسمة على وجهها والممتزجة بالذهول أيضا .

انتظر لحظة تتمالك فيها شتاتها ثم سألها: مين بقى سهير وايه موضوع الحواديت ده ؟

أبتلعت ريقها بصعوبة وخرج صوتها مبحوحا قائلا: دى تبقى والدتى وان شريف يبقى أخويا مش شقيقى ، اخويا من بابا بس .

دون تلك النقطه في "أجنده"أمامه وهو يعدل من وضع نظارته على عينيه ثم أكملت في شرود: هو دايما وهو صغير كان بيطلب منها انها تحكى له حدوته عشان ينام زى ما بابا كان بيحكيله وهي مكانتش يترضي تحكيله معانا ، كانت بتقوله دول بنات وحكاياتهم غيرك وكانت بتحكيله لوحده.

أومأ برأسه متفهما ثم أكمل قائلا: بس كانت بتحكيله حكايات مخيفه بالنسبه لطفل في سنه وده كان سبب موضوع التبول اللاإرادي اللي كان عنده مش كده؟!

هزت رأسها في خجل مما كانت تفعله والدتها فأكمل : كويس كده قدرت أعرف مين الست اللي بيرسمها، مدام ليلي ارجوكي، انت هنا مكان شريف لو عايزاه بجد يخف ساعديني، كلنا بنغلط وكلنا مش معصومين من الغلط بس محدش فينا بيتحمل خطأ التاني أبدا يعني انت مش لازم تحسي بالكسوف لأنك ببساطه مش انت اللي غلطتي.

أومأت برأسها موافقة وقالت: ماما عندها ميه بيضا في عينيها ولأنها متعالجتش بقت عينها مش بتشوف منها وبتشوف بس بعين واحده.

قال بحماس:طيب تمام، احكيلي بقي اللي كان بيحصل لما شريف بيعملها على نفسه بليل وهو نايم.

اطرقت ليلي تتذكر ثم شرعت تحكي له عن تلك الليالي التي كان ينام فيها رهبه وخوفا من تلك الحكايات وأنه حين ينام يصحو ليجد فراشه مبتلا والتأنيب الذي يلقاه جراء ذلك من والدتها وسخريه هالة ودينا الدائمه منه بينما كانت هي تساعده واخبرته كيف استطاعت أن تخلصه من تلك المشكله بعد فتره.

ابتسم مجدي نازعا نظارته في اعجاب واضح قائلا: بجد انت حد ذكي اوي، ازاي طفله زيك قدرت تحتويه بالشكل ده وتخلصه من مشكله كانت ممكن تبقي مزمنه لحد دلوقتي، عشان كده هو متعلق بيكي بس المشكله بقي ان التعلق ده بقي مرضي فبقي يعتبرك اخته وحبيبته وامه ودي المشكله.

بدت الدهشه على وجهها فاكمل: طيب احكيلي عن علاقته بجوزك عامله ازاي.

بدت غير مباليه وهي تخبره عن الفتور في العلاقه بينهما منذ خطبتها وأنها فسرت ذلك بعدم قدرته الماديه وكان ذلك سبب رفضه له ثم قصت عليه اخر موقف يوم حادثة خالد.

_طيب انت ماربطيش الحاجات دي كلها بتعلقه بيكي يوم مرضه والهلاوس اللي مفاقش منها غير في وجودك.

قالت بدهشه: أنا عمري ما فكرت كده، أنا كنت بلتمس له الاعذار وخصوصا اني كنت اقرب واحده ليه في اخواتي اما بالنسبه لخالد فزي ماقلتلك هو مكانش موافق على الجوازة من الاول .

اكمل تفسيره: صدقيني حتي لو كان مرتاح ماديا او لو حد تاني خالص غير خالد كان برضه هيتعامل معاه بنفس الطريقه العدائيه لانه بالنسباله غريمه، الشخص اللي اخد منه حبيبته ومتستغربيش لان في حالات بتلاقي تعلق زايد بامه او ابوه لدرجه يرفض ان اي حد يشاركه الحب ده وده يفسر رجوع الهلاوس بعد جوازك وانشغالك وبعدك عنه.

فغرت فيها غير مصدقه ما تسمعه ، هل حقا احبها شريف بتلك الطريقه المرضيه؟!

_عموما متقلقيش من الموضوع ده لان ده تدريجيا هيتحل بل بالعكس ممكن ده دلوقتي يبقي ميزه لانه هيساعدنا في علاجه بسرعه، المهم للطفوله، بالنسبه للقهوه ايه اللي حصل؟

قالت بحيره : معرفش غير أن بابا كان بيشرب قهوه كتير وماما كانت دايما تعملهاله.

كان يقلب تلك الاثناء في احدي كراسات الرسم امامه حتي توقف عند تلك الصوره التي رأتها ليلي من قبل ، نفس المرأه السابقه والتي عرفت أنها والدتها تمسك بيد فنجان القهوه وبالاخري كيس صغير تسكب منه داخل الفنجان ، قرب الكراس منها

متسائلا: تفتكري الصوره دي قاصد بيها ايه؟، نظرت متمعنه ثم لوت شفتيها بمعني لا تعرف.

_طيب قوليلي انت كنت حكتيلي عن الحاله النفسيه اللي جاتله زمان بعد وفاة والدك وفقد النطق مش كده؟

اومأت براسها اي نعم فاكمل متسائلا: طيب رجعله النطق ازاي؟

حكت له عن تلك الحادثه وكيف أنه اندفع ليسقط الكوب من يدها ويصرخ محذرا اياها من تناوله، صمتت برهة كما سكت هو ايضا وقبل أن يسألها اجابته في شرود : هو كان فنجأن مش كوبايه وساعتها نطق بعد مارماه وحضني وبكي.

سكتت برهة فلم يقاطعها وكأنما يساعدها على استحضار بقيه الصوره من عقلها الباطن وتقف بنفسها على الحقيقه، حانت منها التفاته الي الرسم الذي أمامها وقرأت تاريخه فهتفت: بس الرسمه دي قبل ما يحصل معايا الموقف ده تقريبا قبلها بسنتين.

ابتسم مجدي دون تعلق وتركها تكمل شارده: الرسمه دي بعد ما بابا مات على طول!!

فجأه هبت من مقعدها وهي تصيح كالمجنونه: أنا مش فاهمه حاجه، ازاي رسم الرسمه دي وازاي عرف بيها قبل ماتحصل ، انت عايز تفهمني ان شريف مكشوف عنه الحجاب.

لم يندهش من هزيها ولا انفعالها ، يعرف أنها ليست بهذا الغباء لتتحدث عن شريف كشخص مكشوف عنه الحجاب ولكنها حيل نفسيه فالتغابي يجعلها تبتعد عن الواقع الذي بدأت اكتشاف وجهه القبيح، قال في رزانه :لو سمحتي يا مدام ليلي اقعدي واسمعيني كويس.

كان لصوته الهاديء تاثير اقوي من المهديء فمالبثت أن هدأت وجلست تستمع له ، قال: الموضوع كله ان شريف شاف والدتك وهي بتعمل القهوه لوالدك قبل ما يموت عشان كده رسم الرسمه دي لأنها اثرت فيه خصوصا انه مبيحبش والدتك بس السؤال هنا ايه الكيس ده، وقتها شريف مكانش عنده هلاوس يعني الرسمه دي حقيقيه ، واقع شافه بالفعل فرسمه يعني مش من خياله انتى فاهماني؟!

القت برأسها بين راحتيها في اعياء من كثرة التفكير ، شعرت براسها سينفجر ولأنها لا تستطيع أن تستوعب اكثر من ذلك ولكنها هبت فجأه واتجهت نحو باب العياده ، حاول مجدي ايقافها لكنها لم تعره اهتماما وخرجت من فورها وهي

مصممه علي معرفه الحقيقه من شريف نفسه واتصلت به وعرفت أنه بالشركه فاخبرته أنها قادمه اليه.

كانت تسير الي جوارها كالمغيبه لا تدري الي اين تأخذها في تلك الطرقات الغريبه، حمدت الله أنها تركت البنات عند والدتها قبل أن تذهب معها، اعادت سؤالها للمره : امشي وانت ساكته ولكنها تلك المره اضافت جمله" خلاص هانت" وبعد مشي اكتر من نصف ساعه تمنت لو تسألها ماذا تعني لها كلمه" هات" في قاموسها اللغوي إن لم تكن تعني أنهما وصلا ؟!

سارت باستسلام بجوارها حتي عبرت عده حواري وبعض الطرقات الملتويه وطرقت ذلك الباب الخشبي المهترئ فجاءها صوت فج يسألها عن اسمها فاخبرتهم فانفتح الباب ووجدت أمامها امرأه تكاد تجزم أنها لم تري مثلها في القبح، صافحت ساميه المرأه بطريقه تشي أنها ليست زيارتها الاولي لذلك المكان ، دخلت ساميه تتبعها هالة وتتقدمهم تلك المرأه الي حجره داخليه أخر ممر مبني بالطوب تشع منه رائحه الطين المروي بالماء ورغم غرابه المكان الا أنها احبت رائحه الطين الملله تلك.

جلستا في مواجهه ذلك الرجل واخذت تتأمله هالة في رهبه بجسده الممتليء وطوله وملامحه الفظه وكـأن الابتسام لم يعرف طريقا لوجهه في يوم.

فجأه ارتفعت عيناه من ذلك الكتاب الذي كان يطالعه ونظر اليهما بأعين متغضنه زادتها خوفا منه فالتزمت صمتها وأنزوت خلف ساميه محاوله تفادي نظراته.

بالرغم من أن النهار في اوله والشمس تتوصد كبد السماء الا أنها شعرت وكأن الليل اسدل ستائره فالحجره لم تكن تحتوي على اي منفذ وتضاء بمصباح ذابل بالكاد يلقي الضوء على وسطها باضائته الخافته المخيفه.

ربتت ساميه كتفها مشجعه : ازيك يا شيخ عبد الله.

أومأ براسه دون أن ينطق فاكملت: احنا جاينلك عشان ابني حاله متغير معانا ومراته بتقول انه متغير معاها ومبقاش بيقعد في البيت خالص.

سكتت برهة لتستشف أن كان منتبها لها ام لا فقال: كملي يا ستي.

اكملت في حماس ووسط استياء هالة تحكي له ما تخشاه من تغير في احواله خاصه بعد عودته من سفره، نظر الرجل الي هالة ونظره الاستياء على وجهها ثم امسك

بورقه وقلم واخذ يسألها عن اسمها واسم والدتها فلم تجبه وتوجست ريبه فاجابته ساميه نيابه عنها ودون تلك الكلمات امامه ثم سألها: حاسه بتغييره ده من امتي؟

قالت باقتضاب: من ساعه ما رجع من السفر .

اومأ متفهما ثم سالها: انت حامل؟

بدت الدهشه على وجه هالة فهي لم تخبره بحملها وكذلك حماتها كما أنها مازالت باول شهور وحملها لم يظهر بعد عليها .

دون أن ينتظر اجابتها تركهما ودخل حجره جانبيه متفرعه من تلك الحجره واختفي قليلا فمالت على اذن ساميه : مين الراجل ده وبيعمل ايه وليه الاسئله دي كلها وايه المكان الغريب ده؟!

لكزتها ساميه في زراعها خشيه أن يسمعها ثم قالت باستياء منها: اسكتي اوعي يسمعك، ده الشيخ عبد الله هو اللي هيعرف ايه اللي مغيره ومبعده عنك وهيقولنا ان كان حد عامله عمل ولا في واحده لايفه عليه وعايزه تاخده منك.

نظرت لها غير مصدقه أن الجهل وصل بها الي ذاك الحد فقالت لها باستنكار: معقوله يا ماما انت مصدقه الكلام ده، ده راجل نصاب ودجال!!

حدجتها ساميه بنظره صارمه وفي ثقه من خبر الامر من قبل: لا طبعا مش دجال وبعدين السحر والجن مذكورين في القرآن .

نظرت لها هالة غير مصدقه قناعتها تلك ولكنها صمتت حين عاد وهو يحمل بيده قدرا به ماء يغلي والقي فيه بتلك الورقه التي خط عليها الكلمات منذ قليل ، دقائق واصطبغ الماء باللون الاحمر ثم سمعت هي دقات عصاه على الارض محدثه نغما معينا وكأنها اشاره متفق عليها، افلتت منها ابتسامه وهي تتذكر فيلم النمر والأنثي وكلمه السر المتفق عليها بين افراد العصابه وكادت ضحكتها تغلبها فتنفلت منها لولا أن نظرت لها ساميه بغضب مكتوم فوضعت يدها تكتم ضحكتها حين تخيلت أن " جامايكا" سيحضر بعد قليل.

فاجأها طلبه بأن تضع يدها على ورقه بيضاء لم يخط بها شيئا ، دقيقه وسحب الورقه وهو ينظر الي تلك الكلمات المخطوطه بحبر احمر، كان فضولها سيقتلها وهي تختلس النظر لتقرأ ما خط بتلك الورقه، ابتسم الرجل لاول مره وقرب منها الورقه تاركا لها فرصه لتشبع فضولها لكنها لم تستطع أن تفسر سوي اسمها واسم زوجها وبقيه الكلمات كانت اشبه برسوم او ربما حروف بلغه اخري لا تعرفها.

سحب الورقه وطواها عده مرات حتي صنع منها حجابا ووضعه بجواره واطرق قليلا قبل أن يرفع راسه اليهما شبه شارد وكأنه ينظر لنقطه خلفهما مما اثار حفيظتها فالتفتت بسرعه الي الخلف فلم تر سوي ظليهما والذي بدي اطول من المعتاد ثم قال:جوزك في واحده في حياته ومخلياه مش طايق بيته ولا عياله، واحده شاغلاه مبيفكرش غير فيها وشغله متعطل بسببها وبيفكر يتجوزها.

قال جملته الاخيره ناقلا نظره بينهما ليستشف وقع كلماته عليهما ، بدت هالة شارده غير مستوعبه لما يقول ، لم تكن تصدق شيئا من اقوال اولئك المنجمين المدعين معرفه الغيب لكن كلماته اثارت فيها بعدا اخر لم تكن تقيم له وزن من قبل، ماذا لو كان بالفعل بحياته اخري يفكر في الارتباط بها او ربما تزوجها بالفعل؟

ظلت تفكر في مصيرها وذلك الخطر الذي يهدد حياتها وأمنها ، وجدت ساميه تضع مبلغ مالي لا تعرف قدره امام ذلك الرجل قبل أن تسحبها من يدها ليرحلا.

ودت لو تسالها بعد خروجها عن سبب تلك الزياره وعن تلك الاموال التي منحتها له لكن ساميه عالجتها بنظره ناريه وهي تلمح تلك التساؤلات بعينيها : اوعي تنطقي وتحكي لحد على مشوارنا ده ، موضوعك خلا ص بقي في ايد الشيخ عبدالله وهو هيحله باذن الله.

قالت باستهجان: اديكي قلتي باذن الله يبقي ايه لا.زمه الدجالين والكلام ده، كذب المنجمين ولو صدقوا.

قالت تنهرها: متقوليش كده، ده مش منجم ده راجل واصل وهيعرف يفك العمل اللي عاملاهوله الست التانيه ويرجعلك جوزك بس متجيبيش سيره لحد.

قالت هالة بضيق: صدقيني ده راجل كداب وحكايا واحده تانيه دي كلها رسمه من تاليفه عشان نخاف ونصدقه وياخد الفلوس اللي اديتهاله دي.

قالت ساميه بحنق: يعني ده جزاتي اني واقفه جنبك وعايزه ارجعلك جوزك بدل مانت نايمه على ودانك ويروح يجبلك ضره الله اعلم منين،.

سكتت هالة وهي تتسائل بداخلها عن صحه ذلك الكلام وتتعجب من مساعده حماتها لها، هي التي لم تكن تتوان عن تقريعها لماذا الأن وفجأه تغيرت واصبحت تساعدها؟!

لم تجد سوي تفسيرا واحدا هو أن حماتها تخشي من تلك الجديده _ان كانت هناك فعلا_من أن تستقطب حسن إليها وتدفعه الي كرهها هي ايضا فهي على كل حال

وبرغم كل ما هو بينهما الا أنها لم تسيء إليها في يوم وتتحمل بقاءها معها لكن تلك الاخري لا احد يعرف ماذا عساها أن تفعل؟ .

انقبض قلبها عند وصولها لذلك الحد، انها حتي تخشي من التفكير في الامر كيف عليها أن تتقبل ذلك كحقيقه لو صح حديث ذلك الرجل.

نظرت الي ساميه والتي استندت على زراعها متعبه من تلك الطرق الملتويه، امسكت بيدها تسندها حتي وصلا الي الشارع الرئيسي بعد فتره غير يسيره من المشي ثم ذهبا لمنزل والدتها لاصطحاب البنات ثم عادا للمنزل.

**** ***

الفصل العشرين

(يرتكبون كل الحماقات التي تدفعك للرحيل ثم يسألونك بكل براءة :لما رحلت؟) مارك توين

أخذ يجوب الطرقات ذهابا وإيابا من التوتر وهولا يدري ما الذي فاقم الأمر إلي هذا الحد، لماذا ظلمها سامح ولم يسمح لها حتي أن تدافع عن نفسها ، شعر بالحنق نحوه وندم أنه لم يبرحه ضربا ليعرفه قدره أما ذلك الندل الآخر فود لو ذهب إليه ليقتله بعد فعلته تلك، كيف له من الجرأة والبجاحة لقلب الحقائق هكذا ؟!، زم شفتيه بقوة وتوعده في سره.

فجأة خرج الطبيب من الحجرة فاتجه ياسر نحوه والقلق يمزقه وسأله في لهفة : اخبارها ايه يا دكتور؟

قال الطبيب في هدوء: عندها انهيار عصبي وادياها مهدأ بس هي محتاجه حد من أهلها ضروري جنبها ، اللحظات اللي جايه هتكون صعبه أول ماتفتح عينيها .

مضى الطبيب في طريقه بعد أن شكره ياسر وظل مطرقا لا يعرف ماذا يفعل؟ ، إنه لا يعرف من أهلها سوي سامح ولا يدري أين تعيش والدتها ولا رقمها لكنه فجأة تذكر أنه لاقاها عند أختها صدفة حين ذهب لزياره ابنته.

اتصل بريهام وطلب منها رقم هاتف ليلي ، اندهشت من طلبه فأخبرها بما حدث لدينا، شهقت من الصدمة فلفتت انتباه كريم الجالس جوارها ثم سمعها تخبره انها ستبلغها بالأمر وطلبت منه العنوان.

أغلقت الهاتف بقلق واتجهت نحو الباب وسط ذهول كريم الذي سألها عما حدث ولكنها لم تجبه من اندفاعها وانطلقت تدق جرس الشقه المقابله في جنون دون أن تسمع إجابة فأيقنت أنها لم تعد بعد .

عادت إلي شقتها واندفعت نحو هاتفها لتتصل بليلي فصرخ فيها كريم : ريهام في ايه؟ ردي عليا إيه اللي بيحصل وياسر كان عايز ايه؟!

قالت بقلق: دينا اختها في المستشفي .

قطب حاجبيه دون أن يفهم شيئا فما علاقه ياسر بدينا ولما يتصل بليلي وليس زوجها.

كانت ليلي قد وصلت توا لمكتب شريف الذي كان ينتظرها في قلق لاغيا كل مواعيده بعد استشعاره خطورة زيارتها في هذا الوقت المتأخر .

ما ان دلفت لداخل مكتبه حتي لمح الانفعال على وجهها فقالت مبادرة: شريف ، دكتور مجدي كلمني ولسه جايه من عنده دلوقتي .

أطرق ولم ينبث بكلمة، جلست قبالته وهي تحاول أن تتمالك نفسها قائله بهدوء زائف: انت لازم تحكيلي على كل حاجه ، انت لازم تتكلم عشان أقدر اساعدك لازم...

قاطعها رنين هاتفها فالتقطته بغضب فوجدت ريهام تتصل فلم تجبها وأعادته لحقيبتها ثم عاودت حديثها : شريف في حاجات كتير مش مفهومه، من أول رسوماتك الغريبه لأحلامك وهلاوسك اللي بدأت أفهم تفسيرها دلوقتي.

أمسكت يده بحنان بينما ظهرت لمحه من الحزن على محياه .

- شريف أنا أختك ومحدش أقربلك مني ، لازم تحكيلي اللي مخبيه جواك واللي مقدرتش تقوله لحد دلوقتي أنا....

دق هاتفها ثانية فتركت يده في حنق لتجد اتصال آخر من ريهام فتوجست ريبه فأجابتها فجاءها صوت ريهام قلقا تسألها : ليلي انت فين دلوقتي؟

تزايد توترها وهي تسألها عما حدث فقالت ريهام: مش عارفه اقولك ايه بس ياسر كلمني وقالي إن دينا في المستشفي وإن حالتها صعبه.

اتسعت عيناها دهشة وخوف : مستشفي ايه قوليلي بسرعه.

- اهدي يا ليلي وقوليلي انت فين وكريم ييجي ياخدك الوقت اتاخر ومينفعش تروحي لوحدك

- متقلقيش عليا اديني العنوان.

أملتها ريهام العنوان ثم أغلقت الهاتف وهي تنظر لكريم بشرود فسألها عن مكانها فأخبرته أنها لا تعرف فهي لم تخبرها فشعر بحنق قائلا لنفسه" عنيده" ثم هرع إلي حجرته مبدلا ملابسه وسط دهشة ريهام التي سألته: انت رايح فين؟!

- رايح المستشفي

سحبت ليلي حقيبتها وهمت بالرحيل دون أن تنطق بكلمه فأوقفها شريف في لهفه ليلي في ايه، ايه اللي حصل؟

بدت مترددة ونظرت إليه ولكنها حسمت نفسها قائلة : دينا في المستشفي وحالتها خطر وأنا لازم اروحلها.

سكتت برهة ثم قالت بحسم: هتيجي معايا ولا هتسيبني اروح لوحدي؟!

بدى مشدوها من حديثها ولكنه لم يملك سوي أن يرافقها خاصه في ذلك الوقت.

طوال الطريق وهي تدعو الله أن ينجيها وألا يكون قد أصاب حملها مكروه بينما كان شريف إلي جوارها يختلس النظر إليها وقد تسرب القلق إلي نفسه وبدأت مشاعر عدة تتداخل بقلبه.

وصلا المشفي واندفعت إلي الاستقبال تسأل عن حجرة دينا فأجابتها موظفة الإستقبال دهشة: على فكره الاستاذ اللي هناك لسه سائل عليها برضه

نظرت ليلي إليه فلم تتعرف عليه لبعد المسافه فظنت أنه سامح فاندفعت نحوه لتسأله عما حدث وصحبها شريف بعد أن أصرت عليه ألا يتركها بمفردها.

اقتربت منه بينما كان يوليها ظهره في نفس اللحظة أنهي محادثته والتفت يواجهها بعينيه ، اندهشت عند رؤيته فلم تكن تتوقع أن تراه هنا فقال مبررا وجوده: أنا عرفت اللي حصل من ريهام وقلت متبقيش لوحدك في ساعه زي دي.

بدي الغضب على وجه شريف الذي تقدم إلي جوارها ناظرا لها بإستفهام فقالت من بين ذهولها: استاذ كريم اخو ريهام جارتي اللي اتصلت بيا.

ثم قالت معرفه: شريف اخويا.

مد يده مصافحا فالتقطها شريف في غيره باديه على وجهه وود لو يلكمه إعتراضا على تطفله ولكنه لم يملك من أمره شيئا .

أخذت تتلفت حولها لمعرفه مكان الحجرة فقطع حيرتها: الدور اللي فوق

استبقتهما في لهفه بينما تأخر هو خطوه مانحا شريف المساحه الكافيه ليلحقها ، رمقه شريف بنظره نارية لم يقابلها سوي بالإطراق ثم تبعهما.

أمام الحجرة كان ياسر واقفا وتبدو على وجهه أمارات التعب ، قبل أن ينطق اندفعت نحو الحجرة فاستوقفها قائلا : هي نايمه الدكتور اداها مهدأ وقال هتصحي بعد شويه.

اعتصر القلق قلبها فقالت محاوله إدعاء الهدوء:هبص عليها بس.

في رفق فتحت الباب بينما وصل شريف وكريم بالخارج وصافحا ياسر وقام كريم بالتعارف بينهما فاندهش ياسر الذي لم يكن يعرف أن لدينا أخ من قبل فقال له بود: استاذ شريف حضرتك ممكن تدخل تتطمن عليها .

ارتبك شريف لكنه لم يجد بد من أن يدخل ، فتح الباب في هدوء وظل واقفا خلفه وأنفاسه تتلاحق لايدري ماذا يفعل.

وقفت ليلى أمام سريرها وانهمرت دموعها حين رأت تلك الأسلاك المعلقة بجوارها وذلك الإعياء والإجهاد المرتسم على ملامحها، اقتربت منها في هدوء وأمسكت يدها في رفق وهي تناديها بصوت خافت خشيه ازعاجها .

قامت مجففه دمعها والتفتت لتجد شريف خلفها وقد بدي الألم على وجهه فسألها في ترقب: هو ايه اللي حصلها؟

قالت برقة: انت خايف عليها يا شريف؟

بدي مرتبكا وفي تلعثم قال : أنا خارج بره استناكي.

سبقها إلي الخارج و لحقت به فوجدت ياسر و كريم بانتظارها ،حاولت تجاهل قلبها الذي أخذ يدق بعنف عند رؤيه كريم ونظراته المصوبه إليها ، اتجهت نحو ياسر متسائله: ايه اللي حصل؟

أطرق ياسر محاولا تجنب نظراتها وقال بأسي: دينا سقطت

شهقت ليلي بجزع فقد كانت تخشي سماع ذلك: ازااي؟

_وقعت من على السلم وسقطت و...

بتر كلماته وهو يرقب دموعها فاحترم حزنها فصمت ولكنها أدركت أنه يخفي جزء من الحقيقه فقالت تستعطفه: وإيه تاني وفين سامح ازاي متصلتش بيه لحد دلوقتي؟

ازداد توتره ولم يجد ما يجيبها به سوي صمته الذي كان يجلدها وأصرت عليه فقال بأسي ملقيا بحمله الثقيل: دينا مش ممكن تحمل تاني.

أسقطتها الصدمة على الكرسي المجاور وهي لا تدري ماذا تفعل ، أحاسيس شتي اعتصرتها بين أمواج الألم والحزن ، لا تدر أيهما تنعي ، حظها أم حظ أختها العاثر والذي جعلها بين عشيه وضحاها تفقد طفلها وتفقد معه أي أمل في الإنجاب، لا تدري لأي مصاب تتألم بسرها الذي لم تخبر به احد أم لفاجعة دينا التي بلا شك ستكسرها.

أفاقت على صوت كريم القلق والحذر في سؤاله: ليلي انت كويسه ؟

لم تجبه وظلت في شرودها لا تقوي على الحراك ، رمقه ياسر بتعجب من حميمية علاقتهما بينما اشتعل الغضب في عين شريف الذي قال بحده:استاذ كريم بيتهيألي حضرتك ممكن تروح أنا موجود معاها واكيد مش هتحتاج خدماتك.

بدي جافا في حديثه لكن ذلك لم يثن كريم عن رغبته في الاطمئنأن عليها والبقاء قربها فقال بهدوء: لا معلش خليني موجود يمكن تحتاجو أي حاجه ولحد ما نتطمن على مدام دينا.

عض شريف شفتيه كاظما غيظه ، ربما لو في موقف آخر لما توانى عن ضربه لكنه كان قلق حقا على ليلي التي غاصت في صمتها حتي القاع فقال بقلق: ليلي اجيبلك دكتور؟

هزت رأسها نفيا ثم رفعت رأسها إلي ياسر في تساؤل : سامح عرف اللي حصل؟

هز رأسه نفيا فقالت بشرود: لازم يعرف، لازم يكون جنبها دلوقتي هو أكتر واحد ممكن يخفف عنها.

تمني لو أنه أخبرها بالحقيقه لكن لم يكن ذلك هو الوقت مناسب لكنه وجدها تخرج هاتفها لتتصل به فقال بسرعة : مدام ليلي أنا اتصلت بيه وعرفت إنه مسافر وتليفونه مقفول.

ظهرت خيبه الأمل على وجهها ووضعت هاتفها إلي جوارها في يأس وأخذت تنتحب.

شعر كريم بقلبه ينزف حزنا عليها، ود لو يضمها إلي صدره ليطمئنها ويخفف حزنها، يعرف جيدا أنها تعاني الأمرين مصاب دينا والذي اجتر حزنها الدفين وسرها الذي لم تخبر به أحد سوى ريهام شقيقته.

حمد الله أنه لم يخبرها بحقيقته فلم يكن ليتحمل حزنها وألمها لذا قرر السفر هربا دون أن يمنحها فرصه لتوديعه أو عتابه، يعلم أنه بذلك سيفقد حبها ولكن كان ذلك أهون عليه من أن يستشعر شفقتها أو أن يكون سببا في تحطم صورته الأبية في مخيلتها.

لم يكن صعبا عليه أن يتخيل صدمتها حين سافر فجأه منهيا كل شيء دون حتي أن ينذرها ، فقط رحل دون أي كلمه وداع ، رحل بعد أن وعدها بخطبة لم تحدث ووعود آخري لم تتحقق ، تركها ترتشف ألم خداعه ولوعة هجره دون أن تجد إجابه عن اسئلتها الحيري .

شعر بيد ياسر على كتفه تسحبه من ذكرياته فنظر اليه بشرود ثم عاود النظر الي ليلي والتي كانت تلقي المها وحزنها على صدر شريف الذي احتضنها محاولا تهدأتها.

قال ياسر بصوت خفيض: تعالي معايا ننزل الكافتريا شويه.

صحبه في هدوء تاركا قلبه خلفه يواسيها في صمت.

ما إن خطا مبتعدان قليلا حتي قال ياسر : انت تعرف ليلي منين؟

قال كريم بإقتضاب: انت عارف إنها جارتنا وطبيعي أعرفها هي وجوزها .

رمقه ياسر بنظره جانبيه: بس انت ليك سنين منزلتش مصر من قبل حتي ما يسكنو عندكو!!.

أطرق ساكنا ولم يعلق فاحترم ياسر صمته ولم يعقب وإن كان صمته قد أكد الكثير من شكوكه خاصه لهفته عليها وقلقه المبالغ فيه.

قال دون أن ينظر إليه: خلي بالك اخوها شكله حمقي بلاش تدخلنا في مشاكل معاه الله يخليك .

أتاهم صوت دينا ضعيفا واهنا فهرعت إليها ليلي لتطمئن عليها بعد أن استعادت وعيها ،بدت دينا غير مدركة لما حولها في البداية وأنها لا تفهم شيئا مما يجري بل وعلتها الدهشة لدي رؤية ليلي بوجهها المتوتر ودموعها المنهمرة ،نظرت حولها في صمت وماهي إلا لحظات حتى استعادت ذاكرتها فانهمرت الدموع حارة على وجنتيها وهي تنظر في عيني ليلي في آسى قائلة :أنا سقطت يا ليلي،البيبي خلاص راح وسامح هيطلقني.

أخذت تربت على يدها قائله : معلش يا حبيبتى ،احتسبى اجرك عند ربنا وبعدين سامح مش ممكن يستغنى عنك لأنه بيحبك وهو بس مسافر وأول ما يجيي م .....

قالت دينا بأنفعال وهي تبكى :سامح مش مسافر يا ليلي مش هيرجع ،سامح فاكر انى خنته وهيطلقنى و.....

غلبها البكاء وظلت تنتحب في هستريا فاحتضنتها ليلى مربته على ظهرها وهي تحاول أن تستوعب حقيقه ما حدث لكنه لم يكن الوقت المناسب لتسألهاعن شيء قالت لها مواسية :خلاص يا دينا اهدى ربنا هيسترها ويبين الحقيقه ،بس المهم دلوقتى ترتاحى ومتفكريش في حاجه وربنا هيحلها من عنده انتى بس قولى يا رب.

قالت دينا وهي تغالب دموعها في انكسار :يا رب ،يا رب.

احتضنتها ليلى وقبلت رأسها ثم عدلت من وضع الوسادة خلفها ،أراحت دينا رأسها وهي تتطلع إلى ليلى بأعين دامعه وتتعلق بيدها كطفل شريد قائله باستعطاف :ليلى ما تمشيش وتسيبينى .

-متخافيش مش هسيبك ،هطلع بره بس اطمنهم عليكى ارتاحى بس دلوقتى

نظرت دينا في تساؤل :هو ياسر لسه برة ؟

-ايوة هو اللى قال لريهام تبلغنى انك هنا في المستشفي .

قالت دينا في آسى وحزن :تخيلى ، سامح فاكرنى خنته مع ياسر !!

اتسعت عينى ليلى في دهشه وبدأت الخيوط تنكشف أمامها رويدا رويدا ،لم تعقب على ما قالته دينا فأكملت دينا في ألم :السافل الحيوان ،ده لولا ياسر كان زمانى ....

وظلت تبكى في حرقه فضمتها ليلى قائله :خلاص يا دينا عشان خاطرى متفكريش في حاجه دلوقتى ،نامى وارتاحى كل حاجه هتتحل بأذن الله .

دثرتها بالغطاء وتركتها بعد أن وضعت قبله حانية على جبينها وأثار الدموع على وجهها لترسم صورة حية عن معاناتها.

أغلقت ليلى الباب خلفها لتتنهد في آسى وقررت أن تسأل ياسر عما حدث ولكنها وجدت كريم أمامها يرمقها بعينيه الواسعة والتي طالما عشقت النظر إليها دون أن تمل .

ظلت برهة ساكنة في مكانها تواجه نظراته القلقة بنظراتها اللائمة واللامبالية في نفس الوقت ،مزيج غريب من المشاعر كان يعتمل في قلبها في ذلك الوقت ،لماذا تشعر تجاهه بكل ذلك الحنق والكره والعتاب ،نعم أنها تشعر برغبتها في عتابه حتى وإن كان لن يجدى نفعا .

كانت نظراتها تلسعه بسياطها أمام غضبها وألمها لم يملك غير صمته حتى خفضت نظراتها بعيدا عنه في آسى وتأثر قال: أنا آسف.

علا الإستنكار ملامحها وقالت بإستخفاف: آسف!!

تخطته ثم دلفت إلي الممر باحثة بعينيها فلما لم تجد أي من ياسر أو شريف فنظرت إليه في حدة: اومال هما فين؟

اقترب منها قائلا : نزلو الكافتريا ، ثم اقترب أكثر فابتعدت خطوة إلي الخلف حتى اصطدمت بالحائط خلفها فبدى الغضب جليا على محياها لكنه لم يتراجع وظل يرمقها بنظراته المحبة الشغوفة و قال بهيام: ليلي أنا لسه بحبك، سامحيني ارجوكي.

تهدجت أنفاسها من فرط انفعالها وتوترت أعصابها ولم تشعر بنفسها إلا وهي تهوي بكفها على وجهه بصفعة مفاجئة بأنفعال: انت حتى مالكش حق الاعتذار وإياك تقول الكلمه دي تاني.

أغلق عينيه ووضع يده مكان صفعتها ، في سرعة تخطته وبعدت عنه وهي تلهث من فرط انفعالها واضطراب مشاعرها .

واجهها بنظره كسيرة ودمعة أبية تترقرق في مقلتيه وقال في حزن: أنا آسف.

قالها وأسرع بخطاه مبتعدا وهي ترمقه بأعين حزينة والدموع تنساب في غزارة تنعى قلبها الذي خفق خلفه مناديا في صمت وشعرت بجسدها يرتعش وهي مازالت ترقبه حتي اختفى طيفه من أمامها فهوت على المقعد ودفنت رأسها في ألم بين راحتيها وظلت تنتحب وهي تنعي سنين مضت تمنت فيها ذلك اللقاء وتهدجت أنفاسها حتي كادت أن تتوقف ، نطقت اسمه في أنين وكلمه واحدة تتكرر : ليه؟

لا تعلم إن كانت تبكي مأساتها أم لأنها فجأه اكتشفت أن بقلبها يوجد بقايا نبض له ؟!، وسط كل آلامها وأحزانها وتلك الدوامات التي تعيش فيها بين شريف ودينا ومأساتها هي أيضا فجأه يظهر أمامها متخطيا حاجز الزمن الذي مضى بعد رحيله متناسيا كل شي، بأي حق وبأي عذر تسامحه، ألا يعلم أن السماح رفاهية لا ينالها أمثاله والغفران منحه لا يهبه أمثالها.

تمثل أمامها ظل ظنته هو في البداية حتى رفعت عينيها فوجدت شريف يقف أمامها وقلق في عينيه بلا حدود ، كفكفت دمعها وسألته في وهن: فين ياسر؟

أشار بيده إلي آخر الممر فهمت بالذهاب إليه قبل أن يمسكها من ذراعها ويجبرها لتنظر إليه ، نظرت له بدهشه ممتزجه بالألم من قبضته فقال: انت تعرفي كريم منين؟

اتسعت عيناها دهشة ثم مالبثت أن نزعت زراعها منه قائله: كان متقدملي زمان، خلاص؟

بدى الصدق في حديثها لكنه أدرك أنها تخفي شيئا آخر وود لو يضغط عليها لمعرفته

ولكنها لم تكن تقو على ذلك ولا هذا هو الوقت المناسب.

تركها فأسرعت خطاها حتي وجدت ياسر حيث أشار لها شريف وواجهته بنظراتها وسألته بحسم: ايه اللي حصل بالظبط يا باشمهندس؟، أنا عرفت حاجات كتيره من دينا بس مفهمتش الموضوع كله فلو سمحت احكيلي بالتفصيل إيه اللي حصل.

أطرق ياسر بإرتباك، يعلم أنه لم يخطأ في شيء لكنه يخشى سوء فهمها ولكن امام اصرارها لم يجد مفر فحكي لها كل شيء منذ دخل الفيلا حتى وجدها أمامه بعد سقوطها مباشرة.

كانت تسمعه وعيناها تتسع دهشة وذهول وامتزجت بدهشتها الحنق الشديد حين عرفت بما فعله سامح بعدها وتخاذله عنها ، ودت لو تقتل زياد فبسببه خسرت طفلها واومتها والآن زوجها.

نظرت لياسر بإهتمام : انت قلتلي انك ملقتش حد من الشغالين جوه؟!

أجابها بثقة: ايوه أنا ناديت ومالقتش حد وبعدها سمعت صراخها ولقيت زياد وراها.

_طيب لما جبتها المستشفي ليه مكلمتش سامح على طول.

_كلمته بس تليفونه كان غير متاح وبعدها بساعتين تقريبا لاقيته هنا .

هزت رأسها بتفهم واكتملت الصوره بمخيلتها: يبقي زياد راحله بعد ما خدت دينا للمستشفي وقال يسبق هو يحكي اللي حصل مع عكس الادوار ويبان هو الضحية وطبعا أخوه مش هيكدبه.

هز رأسه في أسف مؤمنا على حديثها ثم قال: صدقيني يا مدام ليلي أنا مكانش في حاجه بيني وبين دينا ، أنا.....

قاطعته في صرامة بدت متنافية مع جمال ملامحها قائلة: يا باشمهندس أنا مش محتاجة حد يقولي إن اختي شريفة أنا بس بفكر ازاي اثبت لسامح إنه غلطان وإنه ظلمها لما صدق اخوه.

قال بأسف: أنا حذرتها قبل كده من زياد وقلتلها تاخد بالها منه.

عضت ليلي على شفتيها من الندم فهي من نصحت دينا أن تخفي الأمر عن سامح كي لا تثير المشاكل، ربما لو سارعت بإخباره لما تمادي في الأمر ربما كان سكوتها هو من شجعه ظنا منه رضوخها .

شعرت بوخز ضميرها يعذبها ويزيد عذابها ما تعانيه دينا الآن جراء سكوتها.

التفتت إليه مستأذنه فقد تركت شريف بمفرده ، سارت الردهه الطويلة وهي تبحث عنه فلم تجده فتساءلت إن كان قد تركها حقا ورحل ، تنهدت في ضيق ثم قررت الاطمئنان على دينا ، فتحت باب حجرتها بهدوء كي لا توقظها فصدمتها رؤية شريف بالداخل والذي كان يقف ليس ببعيد عنها، يرمقها بإمارات الحزن على وجهه، ظلت ترقبه خلسة وهي تبتسم في حنان، ظلت هكذا بضعه دقائق ثم اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه فانتفض في ذعر ناظرا إليها فقالت تطمئنه: في إيه متخافش مالك؟

بدي مرتبكا ثم أسرع الخطي خارجا من الحجرة وهو يلهث من إنفعاله وكأنه لص تم ضبطه متلبسا بالسرقة.

ضحكت ليلي غصب عنها من ارتباكه وبراءة تعابيره وأسعدها حقا تعبير الحزن الذي ارتسم على وجهه حين رأى دينا هكذا أمامه، ألقت نظره عليها فوجدتها تغط في نومها بعد ذلك المهدأ الذي ينساب في وريدها ، تركتها وأغلقت الباب خلفها في رفق فوجدته بالخارج شاردا حتي رآها فرسم على وجهه تقطيبه دفاعيه قائلا: أنا ماشي هتمشي معايا ولا ايه؟!

نظرت له دهشه: أنت هتمشي وتسيبني لوحدي؟!

_خلاص امشي معايا وخلي امك او هالة ييجو يقعدو جنبها.

قالت بلوم: امشي خلاص أنا هفضل جنبها

بدي مترددا حتي أتاه صوت الممرضة تخبرهم بانتهاء موعد الزيارات وغير مسموح ببقاء أكثر من فرد واحد مع المريضة فرحل بصحبه ياسر بينما عادت هي إلي حجرة دينا واستسلم جسدها للنوم لفرط عنائها الجسدي والنفسي.

الفصل الواحد والعشرون

(أصعب ما في الحب هو أن ترتبط عاداتك بالطرف الآخر لأن تلك العادات تعذبنا بعدما ننفصل عمن نحب) آثير عبدالله

استمعت لحركة المفتاح بالباب فنظرت إلي الساعة فوجدتها تجاوزت الخامسه فجرا ، سحبت الغطاء على وجهها وتصنعت النوم فلم تكن مستعدة لمشاجرة جديدة معه، شعرت به يتحرك في هدوء خشية إيقاظها وأبدل ملابسه واتجه للحمام ليغتسل، رفعت الغطاء قليلا وسحبت جاكته وأخذت هاتفه ، حاولت فتحه لكنه كان قد غير الرمز السري فزفرت في حنق فخرج بعض الهواء الدافيء من فمها وتكثف على شاشة الهاتف الباردة وخط رسما معينا مجسدا بتلك الأبخرة فابتسمت في ذفر ثم أعادت رسم ذلك الرمز فوجدت الهاتف قد فتح ، في سرعة أخذت تبحث بعينيها في بريد رسائله وسجل مكالماته حتي وجدت ذلك الرقم الغير مسجل بإسم لديه قد وردت منه عده مكالمات واخري صادره وكانت آخرها منذ ساعتين ، ودت فحص سجل الرسائل لكنها شعرت بأقدامه تقترب فدونت الرقم بذهنها بسرعة ثم تظاهرت بالنوم.ألقى بسترته بعيدا والتقط هاتفه دون أن يلتفت أنه لم يخرجه من سترته من الأساس ، انغمس جسده أسفل الغطاء موليا إياها ظهره منتشيا بليلته وغاص في نومه، التفتت إليه فوجدته قد غط في نومه فدونت الرقم بهاتفها سريعا وهي تفكر في قدر الألم الذي يحمله لها ذلك الرقم وأي حقيقه ستصدمها حين تتصل به.ودت حقا أن تواجهه فقط لتمنحه فرصه ذهبية للكذب وتمنح نفسها مساحة أكبر للانخداع قبل أن تصطدم بحقيقة قد تهدم معبدها الآمن وتصدع جدران قلبها الهش ولكنها لم تكن تملك الشجاعه لمواجهته فقررت اكتشاف الأمر بنفسها.

بعد أن خرج وأوصلت إيناس لحضانتها التقطت هاتفها في وجل وضغطت زر الاتصال وقلبها يتصارع دقاته فهمت بإنهاء الاتصال لكن جائها صوت أنثوي ناعس وكأنها تتمطي في فراشها قائله برقه: الو مين؟

في سرعه أغلقت الهاتف وكأن شبحا يطاردها وارتمت على أقرب مقعد وهي تشعر بالصدمة، إذن فهي الحقيقة أمامها متجسدة بمعالمها المخيفة دون قناع، إنه يتحدث إلي أخري ويلقاها أيضا، استشعرت الخوف من تلك المحادثة التي قامت بها منذ قليل وذلك الصوت الذي آثار غيرتها الأنثويه وحفيظتها أيضا، إلي أي حد يا تري وصل بعلاقته بها وإلي أي حد سيتصدع قلبها وبيتها جراء فعلته، نظرت إلى ندي التي تلهو في براءة وشعرت بيد قويه تعتصر قلبها، إلي أي حال سيؤول حالها هي وبناتها وكذلك الجنين الذي تحمله بأحشائها !!

قامت فزعه من نومها وأخذت تفرك عينيها محاوله محو آثار ذلك الكابوس الذي يراودها دائما، إلي متى ستظل تلك الأفعى تطاردها في أحلامها ،استغفرت الله ثم نظرت فوجدت دينا لم تستيقظ بعد فنظرت إلى ساعه يدها فوجدتها قد تجاوزت الثامنة صباحا فسحبت هاتفها في هدوء ثم اتصلت بإحدي زميلاتها تطلب منها إجازة لمده ثلاث أيام ريثما تستقر حالة دينا فهي لن تتركها على أي حال ثم اتصلت بوالدتها لتخبرها أن تحضر دون أن تحكي لها التفاصيل بالهاتف لكنها فقط أخبرتها أن دينا مريضة ، تنهدت في راحه بعد أن أنهت المكالمه فلم يكن يسيرا أن تتغلب على فضول والدتها وإلحاحها .

حانت منها إلتفاته الي دينا فوجدت المحلول شرف على الإنتهاء فخرجت تنادي إحدي الممرضات لتزيله ثم اتجهت إلي الكافتريا لتتناول إفطارها.

بعد قليل رأت والدتها تلهث من فرط انفعالها وتتوجه نحو الإستقبال تسألهم عن حجرة دينا فأسرعت نحوها تدلها على الحجرة وما بين أسئلتها التي حاصرتها بها أخبرتها بكل ما كان وإن أصرت عليها ألا تفاتح دينا في شيء فهي لن تتحمل شيء من جدالها الآن.

صدمت أمها حين علمت بما حدث والتزمت صمتها بينما ظل عقلها يبحث عن حل لتلك المشكله ثم فجأة التفتت ليلي إليها قائلة محذرة: ماما اوعي تجيبي سيره لدينا هي متعرفش إنها مش ممكن تخلف تاني كفايه عليها حوار السقط وسامح.

نظرت أمها إليها قائله باستنكار: هو فين ياسر ده وايه اللي وداه الفيلا أصلا وقتها.

نظرت لها ليلي دهشه مستنكرة : هو ده اللي ربنا قدرك عليه ، ده بدل متقول كتر خيره إنه لحقها من السافل اللي حاول يغتصبها.

دخلت أمها الحجرة دون أن تعلق وما إن رأتها دينا حتي انهمرت دموعها فاحتضنتها أمها في حنان رابته على كتفها وهي تواسيها وتهدهدها فقالت دينا من بين دموعها وهي تدفن وجهها في حضنها: البيبي راح يا ماما وسامح سابني.

أخذت تتحسر على طفلها الذي فقدته بعد أن تعلقت به وبدأت تحس بنبضه داخلها ودفنت وجهها ثانيه في حضن والدتها التي بدت باردة الوجه شاردة العقل وهي تفكر فيما سيحدث بعد تهديد سامح بتركها وتتساءل بين نفسها كيف تعيده ثانيه إليها بينما هربت دمعه حارقة على وجه ليلي تأثرا بما تعانيه دينا وهي تتخيل أمومتها المبتوره مثلها وقد حرمت كليهما من تلك الغريزة التي ولدت بها دون أمل في الشفاء .

خرجت قبل أن يلمح أحد دموعها ولفت ذراعيها حول نفسها مواسيه نفسها على مصابها وجرحها الذي اخفته حتي عن أقرب الناس إليها .

شعرت بحنين مفاجيء لخالد وتمنت وجوده بجوارها في ذلك الوقت ، لماذا تشتم عطره في المكان وتشعر بدفء أحضانه يكتنفها ، تنفست في عمق وهي تدعو الله أن يعيده إليها سالما.

اتفقت معهما أن تذهب لشقتها لتبدل ملابسها وتستحم بعد عناء الليلة الماضية ثم قالت لدينا مطمئنه: متقلقيش خالد مسافر وهرجعلك تاني.

أمام المشفي لمحت كريم يتحدث إلي ياسر في اهتمام فغضت بصرها واعترتها حمرة الغضب مما فعلت بالأمس مع كريم ورد فعلها المبالغ فيه ولكن الحظ عاندها إذ رآها ياسر وناداها فتنهدت في حنق وعادت إليهما متصنعة الهدوء فسألها عن دينا وعن حالها،حاولت تجاهل نظرات كريم وهي تجيبه وتخبره انها بخير وأن والدتها معها فاستأذن ليراها ثم استدرك سائلا إياها عن وجهتها فأخبرته أنها عائده لمنزلها فقال بحماس: خلاص، روحي مع كريم هو راجع البيت تاني .

تلعثمت ودون أن تنظر لكريم قالت: لأ شكرا اصلي هشتري شويه حاجات في الاول

لم تمنحه فرصه لجدالها واستئذنتهما وانطلقت مبتعده ، راقبها كريم وهي تبتعد وقد لاحظ تجنبها رؤيته اوالحديث اليه فاحزنه ذلك اكثر، لكنه أفاق من شروده على كلمات ياسر الذي استأذنه ليذهب للاطمئنان على دينا ورحل بدوره.

دخلت شقتها وألقت بجسدها المنهك على سريرها وهي تتلمس موضع نوم خالد وقالت لنفسها بصوت حالم: وحشني اوي

بدي وكأنها تجتر ذكرياتها في استعذاب واغمضت عينيها تستحضره بمخيلتها وهي تتمني سماع صوته ولكن لدهشتها بدت صورة كريم تتصدر ظلام عينيها ففتحتهما في سرعه خائفة وجلة، لماذا يقتحم حياتها على هذا النحو، لماذا لا يبتعد كما اختار هو ، ما الذي جعله يعود لحياتها بهذه الجرأة فارضا ذكرياته على مخيلتها بعد أن دثرت بقاياها بوشاح النسيان.

اتجهت صوب الحمام وألقت بحمولها في المياه الدافئة المعطرة برغاوي الصابون التي تعشقها، بالرغم من أحاسيسها المتضاربة إلا أنها مازالت تتعجب من إنكساراته المتتالية ونظرة الحزن التي كست عينيه منذ عودته ، لماذا تشعر به غريبا هكذا عما اعتادته من قبل،لم يكن كريم الذي عشقت جنونه ورعونته وإقباله الزائد على الحياه،

شيء في روحه قد بهت وفقد بريقه ، تنهدت في حنق من نفسها متمتمه : ارجعلى بقي يا خالد محتاجالك اوي.

تحتاجه لتحتمي به من غزوات قلبها المستعرة ، تشعر بدرعها الواهي يتصدع وإنه لا ملاذ لها اليوم سواه، لم يكن حنينها بقدر إحتياجها للأمان بين ذراعيه، في بعده تضعف روحها فتصبح كهشيم تذروه الرياح ولم يكن كريم بريح بل عاصفه تعلم قوتها جيدا وقدرتها على إقتلاع جذورها لولا بقايا جذور ممتده بعمق سنوات بعده تحميها وتبقيها ثابته بأرضه .مضي يومان وهما لا يفارقاها في المشفي ، بدأت تتماثل للشفاء خاصة مع زيارات ياسر المستمره للإطمئنان عليها والتي لم تكن ترضى والدتها التي كانت تعامله بجفاء لاقاه هو بموده تليق بعاشق مثله فلأجل عين تكرم ألف عين ، اتصلت ليلي بحماها لتخبره أنها لن تكون بشقتها الأيام المقبله وحكت له ما أصاب دينا فحزن لأجلها وأخبرها أن تعتني بها وألا تقلق حياله.أذن لها الطبيب بالخروج لكنها كانت تحتاج ملابس لخروجها فلم تجد سوي ليلي لتأتي لها بملابسها، ترددت ليلي في البداية لكنها اضطرت لذلك فلم يكن غيرها ليذهب خاصه بعد ما حدث مع ياسر فأضحى ذهابه إلي هناك ضربا من الجنون ، قررت الذهاب فأصر ياسر ألا تذهب بمفردها وأن يرافقها كريم لكنها رفضت وقررت الإتصال بشريف ليرافقها ، كان كريم بالفعل ينتظر ياسر بالأسفل ولمحها وهي تنزل السلالم والحنق يعتلي وجهها وهي تمسك هاتفها بين أناملها بعصبيه ويبدو أنها تحاول الإتصال بأحدهم دون جدوي ، خرجت من الباب غير ناظره أمامها حتي كادت تصطدم به فاعتذرت في خجل وظلت واقفه أمامه مطرقه لبرهة لا تدر ماذا عساها أن تقول له حتى سمعت صوت ياسر خلفها يسألها بإهتمام: ها كلمتي شريف، هييجي امتي؟

أطرقت في خجل وهي تسب شريف في سرها لعدم رده: لأ مكلمتوش ، تليفونه مقفول.

قال منهيا ترددها: خلاص يوصلك كريم ويكون معاكي لحسن تحصل اي مشاكل.

نظر لها كريم في ترقب منتظرا ردها فأومأت وهي مطرقة في استسلام وهي مغلوبة على أمرها .

في سرعه فتح لها كريم باب السيارة ووسط ترددها وخجلها لم تجد بد من الصعود دون أن ترفع نظرها إليه واستدار مودعا ياسر .

سرى توتر محرج بينهما محملا بالكلمات ،أدار مسجل السيارة قاطعا صدى الصمت الساري بينهما ، أنطلق صوت كاظم بروعته عابرا حدود خجلها ليثير دهشتها وشجنها.

ماتت بمحراب عينيكـــــي ابتهالاتي وأستسلمت لرياح اليأس راياتي

جفت على بابك الموصود أزمنتي ليلي وما أثمرت شيئا ندائاتي

بدت الدهشه على وجهها تأبي الأنقشاع ، كيف لتلك النغمات أن تثير حنينها بهذا الشكل وكيف له بعد تلك السنوات أن يحفظ وعده ويسمعها اسمها بتلك الأغنيه محملا بكل هذا القدر من الشجن والألم.

في دهشه نظرت إليه فابتسم وهو ينظر أمامه: مبسمعش غيرها لحد ما بقت بتمشي في دمي.

عادت تنظر أمامها دون أن تعلق وأطلت من النافذه ونسمه خفيفه من الهواء تلفحها فانسابت دمعتها في صمت عابرة حاجز الزمن معيده إليها ذكريات ظنت أنها دفنت في طيات النسيان لكنه وبدون سابق إنذار اقتحمها ليتجسد حنينها جليا في نظرتها، إنها لعنه الذكري تطارد أولئك الصادقين في الحب وحبها كان صادقا نديا، بريئا في إندفاعه ، سخيا في عطائه بلا حدود.

في عهد مضي لم يكن يسمعها فيه سوى نبضات قلبه وألحان كاظم التي تنساب بإسمها، تتذكر دائما أنها أحبت شجن الألحان مصحوبة بنظرات الهيام في عينيه لكنها لم تتخيل يومها أن ذلك الشجن هو فقط ما سيبقي لها بعد رحيله وأن تلك الألحان التي طالما أحبتها سيأتي يوما تكون سببا في دمعها ليال طوال لا تعرف فيها سببا لهجره، ربما لو ادعي أي عذر لكانت قد غفرت له لكن رحيله الغير مسبق بأعذار ،مبتور التمهيدات أفجعها فباتت تكره أي شيء يثير ذكرياته بداخلها وكان صوت كاظم أشدهم قسوة على قلبها.

ظل الصمت سيد الموقف حتي قاطعه هو يسألها: تحبي أغير الأغنيه؟!

دون أن تلتفت اليه قالت: لأ خليها.

لم تدر لما رفضت أن يغيرها، ربما بقايا مازوخية تشعر بها وتستلذها في شجن غريب.

توقف أمام الفيلا وهم بالنزول فنظرت له مستفهمه فقال ببساطة: هنزل معاكي طبعا.

قالت بحده: لأ طبعا هنزل لوحدي.

- لا طبعا تدخلي لوحدك ازاي وزياد ممكن يكون جوه وبعدين افرضي سامح اتعرضلك!!

اطرقت مترددة وحاولت الإعتراض لكنه أغلق باب السيارة وعلى وجهه نظرة حاسمة ورافقها إلي الداخل.

فتحت لها إحدي الشغالات وأدخلتها وقبل أن تصعد وجدت سامح أمامها ونظرة غضب في عينيه وقال بحده: انت رايحه فين؟!

بدي الغضب في عينيها وهي تجيبه: طالعه أجيب هدوم دينا ، ده بعد اذنك يعني؟

قالت جملتها الأخيرة تلك في نبرة تهكم آثارت غضبه فقال : ملهاش حاجة عندي غير ورقتها و دي هتوصلها قريب و بالنسبة للهلاهيل اللي جات بيها تاخدها .

بدا الغضب يعتصر كريم الذي استفزه طريقة حديثه معها لكنه حاول كبت غضبة و قال في هدوء مصطنع : بشمهندس لو سمحت الكلام ده ملوش لازمة مشكلتك انت و المدام حلوها بينكم انما دلوقتي محتاجين حاجتها من غير مشاكل .

نظر إليه سامح في تهكم متسائلا : و حضرتك مين بقي و بأي صفة بتتكلم .

بدا الإحراج على وجه ليلي و لم تدر بما تجيبه فقال كريم قاطعا ترددها: تقدر تعتبرني قريبها و لو سمحت عايزين نخلص و نمشي.

قال في تهكم لاذع ردا عليه: قريبها ؟! ثم وجه حديثه إليها قائلا : قريبك و لا عشيقك واضح ان كل واحدة فيكم مخليالها راجل استبن .

لم يتمالك كريم نفسه تلك المرة و في غضب اندفع نحوه و لكمه في وجهه بقوة اضطرته للتراجع للخلف وصاح فيه بحدة :اخرس و اياك تجيب سيرتها على لسانك تاني .

و اندفع نحوه ثانية لولا أن هرعت ليلي إليه و أمسكت ذراعه و نظرة راجية و قالت برجاء : بلاش يا كريم ، سيبه بلاش مشاكل .

نظر إليها و أنفاسه تتهدج من فرط عصيبته و هم بالحديث لولا أن وجده يندفع نحوه و في قوة أعاد إليه اللكمة و هو يلهث و ينظر إليه شامتا ، صرخت ليلي في فزع و هي تري أنفه ينزف و شلال من الدماء تنهمر رغم محاولته لإيقافه، نظرت إلي سامح بغضب هادر : انت حيوان ، غبي ، ثم عادت تنظر إلي كريم في ألم فقال سامح في تهكم : عشان يبقي يمد ايده تاني ، عامل فيها راجل .

رغم ألمه لم يستطع أن يتمالك نفسه و رغم الخوف الذي رآه في عينيها لكنه اندفع نحوه و ركله بقدمه حتي أوقعه أرضا و اندفع نحوه و أمسك به من ياقة قميصه و هم بضربه ثانية لولا أن أتت ليلي و امسكت يده المرفوعة و في رجاء : خلاص يا كريم كفاية.

تركه من أجلها و بصق عليه و في حنق قال :أصل ميخونش إلا خاين و ميقولش كده إلا انسان قذر زيك ، ابقي شوف اخوك اللي انت مأمنله حاول يعمل ايه في مراتك ، خليك راجل و هاتلها حقها بدل متظلمها و تتجني عليها .

نظر إلي ليلي في حزم قائلا :اطلعي هاتي حاجات اختك بسرعة .

و أعاد النظر إليه بإشمئزاز بينما صعدت ليلي الي حجرة اختها تلملم اشيائها ، انحني نحوه و أمسكه من ياقة قميصه ليرفعه إليه قائلا في حنق : ياسر لو خانك زي ما بتقول مكنش خد مراتك المستشفي و فضل معاها و بعدين مسالتش نفسك زياد كان فين وقتها و اشمعني دلوقتي اللي قرر يقولك على علاقتهم اللي بيدعيها .

تركه ليسقط أرضا متألما من فكه الذي أخذ يحركه في صعوبة بينما هبطت ليلي في تلك الأثناء قائله : يالا يا كريم

هم بالإنصراف ثم التفت إليه أخيرا قائلا : ابقي أسأل الخدامين مين اللي قالهم ياخدوا أجازة اليوم ده و اعرف زياد كان فين .

أمام مرآة السيارة حاول أن يمحي آثار الدماء التي كست أنفه و ذقنه بينما نظرت إليه في أسف عما حدث له بسببها ، لم تعرف ماذا عليها أن تقول لكنها مضطرة للإعتذار : أنا اسفة ، نظر إليها و ابتسامه رقيقة على شفتيه : بتعتذري على إيه ، أنا لولا إنك معايا كنت قتلته .

قالت في تأثر : بس مكانش ليه لازمة تحتك بيه أصلا،

قال بعصبيه : كنتي عايزاني اسمعه بيقول كده عليكي و اسكت إزاي ؟،

قالت مطرقة : برضه مكانش لازم تضربه و بعدين هو عنده حق .

اتسعت عيناه دهشة و حاول ثبر أغوارها لمعرفة كنهة حديثها لكنها لم ترفع نظرها إليه ، ابتلع دهشته و حنقه و قال بلوم : عنده حق !!

قالت في سرعة : أنا آسفة ، مقصدتش ، بس مكنتش عايزة الامور توصل للحد ده .

التفت إليها في حده قائلا باندفاع : ليلي ، أنا مقدرتش اسمعه بيتكلم عنك كده و اسكت أنا .....

تمالك نفسه و أطرق ساكتا بينما أعتراها الخجل و تأنيب الضمير لصحبته من الأساس .

أمام صمتها لم يملك إلا أن أدار المحرك و انطلق إلي بيت والدتها بعد أن اخبرته بالعنوان ، ود لو أخبرها بحبه لكنه لم ينس بعد الصفعة التي تلقاها في غضب كما لم ينس أنها أمرأة متزوجة .في تلك الأثناء كان ياسر قد تدبر أمر المشفي و احضر ملابس جديدة لدينا التي بدت دهشتها كبيرة لإهتمامه ذلك بينما لم يثير ذلك في والدتها سوي الإمتعاض الذي بدى على وجهها دون أن تنطق بشيء ، اتصل كريم و أخبره أنه سيسبقهم الي منزل والدتها و اتفق أن يلقاه هناك ، في الطريق بينما جلست والدتها إلي جواره و هي في الخلف كان يختلس النظر إليها أثناء القيادة ثم ما لبث أن شعر بخجلها فكف عن استراق النظر إليها و ثم قال مقاطعا الصمت الشائب بينهم : اومال شريف فين ، مشفتوش النهاردة هو ميعرفش انك خارجة ؟.

- التزمت والدتها الصمت بينما بدت الدهشة في صوتها و تساءلت : هو جه المستشفي ؟!

- قال في تعجب من جهلها : ايوه كان موجود لما جات ليلي و فضل معانا لحد ما خلصت معاد الزيارة ، على فكرة كان قلقان عليكي اوي بس كان بيخبي ، ثم ابتسم
- مكملا: بس شخصية ظريفة .

ألجمت المفاجأة دينا فلم تستطع الرد بينما قالت والدتها مقاطعة حديثه في حنق : لا اصل هو مش بيزورنا كتير ،الدنيا تلاهي زي ما انت عارف .

أومأ متفهما دون أن يلتفت الي دينا ليري الدهشة التي اكتنفتها و الشرود الذي أحاط بها ،طوال الطريق لم تتبادل معه أي كلام ، كان شعور الذنب يسيطر عليها ، ماذا لو عرف خالد بكل ما حدث ، هل تستغل غيابه إلى هذا الحد؟! ، و لكنها واست نفسها أنها مضطرة إلي ذلك بسبب ما حدث مع دينا و لكن نفسها تجلدها و تسألها عما تشعر به تجاه كريم.

تنهدت في عمق آثار أنتباهه و سألها في قلق : أنت كويسة ، في حاجة؟ .

هزت رأسها نافيه و لم تعقب ، كانت أعصابها مشدودة و جسدها قد أنهكه التفكير و هنا رن هاتفها فانتزعها من شرودها و أجابت ،لم يكن المتصل سوي الحاج عبد العال حماها و الذي بدي القلق على صوته و هو يسألها عن حالها ، أخبرته أنها بخير فسألها : يا بنتي ليه ٣ ايام بتصل بيكي في البيت محدش بيرد و مكانش معايا الموبايل بتاعك لحد ما شريف الله يكرمه اداهوني ، قالت في تعجب : شريف ؟! و انت شفت شريف فين يا عمي ؟

أخبرها أنه التقاه صدفة في الصيدلية ثم سألها عن حال دينا فأخبرته أنها بخير فقال - أنا و الله يا بنتي عايز اجيلكو بس معرفش عنوان المستشفي فين مليهولي .

تعجبت منه إن كان شريف قد أخبره بما حدث لدينا لما لم يخبره بالعنوان ، لم تسأله - و قالت : ليه يا عمي مفيش داعي تتعب نفسك ، احنا خرجنا النهاردة و هنروح على البيت على طول .

- سألها في دهشه: اومال انتوا فين دلوقتي ؟

- احنا لسه في الطرق ، فقال في طيبة : طيب اديني دينا اسلم عليها .

بدت مرتبكة و لم تدر ماذا عساها أن تفعل ، بالتأكيد لن تخبره انها ليست بجوارها و انها مع كريم ، قالت و قد ضغطت بكفها على السماعة : الو ايوه يا عمي أنت سامعني .

- اجابها بصوت مرتفع نسبيا : ايوه يا بنتي ، في ايه ؟

- قالت : معلش أصل الموبايل هيفصل ، حضرتك هنوصل البيت و اشحنه و اكلمك .

ثم أغلقت الهاتف دون أن تعطيه فرصة للرد و زفرت في ارتياح ثم ما لبثت أن شعرت بالضيق لاضطرارها الكذب و هي لم تفعل شيء ، نظرت إلي كريم ثم أعادت النظر أمامها، ها هي البداية الآن تكذب ولا تدر ماذا عساها أن تفعل أيضا!!، في هدوء دون أن يلتفت إليها سألها : حماكي ده صح .

نظرت اليه و بدهشة اجابته :ايوه . لم يعقب و انعطف في شارع جانبي و هو يسألها - فين البيت بالظبط .

أشارت إلى بناية صغيرة في نهاية الشارع توقف عندها و كانت سيارة ياسر بالأسفل ، تطلع إلي أعلى متسائلا : انت ساكنة هنا ؟!

قالت بتحفز : لا كنت ساكنة هنا ، دلوقتي ساكنة مع جوزي في ...

قاطعها في آسي و شرود: في شقتي .

نظرت إليه في دهشة و قبل أن تسأله تراجعت فقد اكتفت اليوم بالإنفعالات و ترجلت من السيارة دون أن تدعوه إلي الصعود و بعد أن خطت خطوتين عادت اليه لتشكره .

تركته و هرعت إلي داخل المبني و هو يرمقها حتي اختفت من أمام ناظريه ، تنهد في عمق و حزن و استدار ناظرا خلفه مستعدا للرحيل قبل أن يلمح ياسر ينزل هو أيضا من البناية ، أوقف المحرك و ترجل ليلقاه و عندما رآه ياسر و آثار الدماء على قميصه خمن ما قد صار و في عجاله حكي له كريم ما حدث بينما ،انتابت ياسر موجة من الغضب و أخذ يتوعد سامح .

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

الفصل الثاني والعشرون

(لا يمكن إنقاذ النار سوي بمزيد من الحطب)

أعطت ليلي حقيبة الملابس الي دينا و إمارات الإعياء على وجهها ، سألتها دينا في قلق: قالكو حاجة لما جبتو الهدوم و لا مكنش موجود.

ألقت ليلي بجسدها على المقعد و ألقت برأسها الي الخلف و أغمضت عينيها قائله

- لوشفتي كريم مكنتيش قلتي كده و كنت فهمتي إيه اللي حصل .

- قالت دينا في فزع : ايه اللي حصل ، اوعي يكون اتخانق معاكو .

- قالت ليلي و قد أعتدلت في جلستها : ده إنسان همجي و متخلف و لو سمعتي اللي قاله و لا اللي عمله .

- قالت أمها في إندفاع مدافعة : حرام عليكو ، تلاقي كريم ده استفزه بكلمه و لا قاله حاجة زعلته.

همت ليلي أن ترد عليها و تنكر إدعائها هذا و لكن نظره واحدة لوجه دينا المرتجف و الحزن المترقرق بعينيها جعلتها تكتفي بأن رمقت أمها بنظرة لائمة ثم استاذنت لتدخل حجرتها و قبل أن تدخلها قالت أمها سائله : هو شريف كان في المستشفي ؟.

قالت ليلي بصوت مجهد :ايوه يا ماما و دخل اطمن على دينا و هي نايمة .

قالت أمها في عدائية واضحة :و لما هو حنيين كده ،مجاش ليه يوصل اخته لما خرجت من المستشفي و محدش شافه اليومين اللي فاتوا ليه؟!.

نظرت إليها ليلي في استنكار و دهشة واضحين و لكنها قالت منهية الحوار :أنا هريح شوية ،و دخلت حجرتها و بدلت ملابسها ثم ألقت بنفسها على السرير في إعياء ،قرابة الساعتين مضت و هي لا تشعر بجسدها المنهك حتي أفاقت على رنة هاتفها فوجدت المتصل شريف ،تناولت الهاتف في كسل ثم أجابته و في اقتضاب أخبرها أنه قابل حماها فسألته لما لم يخبره بعنوان المشفي فأجابها في استنكار

- عشان خفت يجي يلاقي كريم هناك ويحس باللي حسيت بيه ،اكيد وقتها مش هيكون موقفك لطيف .

قالت في ملل :خلاص يا شريف قلتلك كان متقدملي و الموضوع خلص ، المهم عايزه اقابلك ضروري .... لا مش هينفع بكره ..... يا بني عندي شغل و بعدين أنا عايزه افهم كل حاجة .. خلاص تمام ، ساعة بالكتير و نتقابل ، متتأخرش .

اغلقت الهاتف و وضعته إلي جوارها في كسل واعتدلت في فراشها و اخذت تحرك رقبتها يسارا و يمينا حتي تفيق ثم اتجهت إلي حجرة دينا فوجدتها نائمة او بالأحري تتظاهر بالنوم ،خرجت و أغلقت الباب خلفها في هدوء ثم اتجهت صوب المطبخ حيث كانت والدتها تعد الطعام فقالت لها :ماما أنا نازلة دلوقتي ،مش هتأخر .

نظرت لها والدتها في تساؤل :رايحة فين دلوقتي و تسبيني أنا واختك.

قالت و هي تضع قطعة من الكيك في فمها : الله حلوة الكيكة دي ،عموما أنا مش هتأخر .

همت بالخروج فقالت والدتها :هتقابلي شريف ؟!

التفتت إليها في لامبالاة و قالت :ايوه ..

- ليه ؟

اتسعت عيناها دهشة و هي تجيبها : من امتي بتهتمي ان كنت بشوفه و لا لا ، أنت ناسية أننا طول عمرنا بعاد عنه لولا اني كنت مصرة اقابله دايما .

قالت أمها في نفاذ صبر:خلاص ،خلاص أنا غلطانة إني سألتك ،روحي شوفي هتعملي ايه .

تركتها ليلي لفضولها و اتجهت للحمام لتغتسل لتصلي قبل أن تنزل بينما ظلت والدتها في المطبخ ساهمة و تشعر بانقباض قلبها خاصةبعد مكالمة أ/ ايهاب لها بعد رحيل ليلى من عنده منذ بضعة أيام.وقفت هالة أمام مرآتها و هي تشعر بالخجل من نفسها لكنها اليوم لن تتراجع ،عدلت من وضع خصلات شعرها و الذي صبغته مؤخرا رغم خطورة ذلك على حملها لكنها قررت المجازفة .

نظرت إلي المرآة مرة أخري لتري فستانها العاري و الذي يكشف كتفيها في وضوح و كذلك نحرها الذي زينته بعقد زفافها و الذي نسيت طريقه مع إهماله و قلة استخدامه .جلست إلي حافة سريرها شاردة و هي تتذكر صوت تلك المرأة الذي أتاها في الهاتف ناعما مثيرا يدغدغ الأعصاب ، مجرد الشك كان يقتلها فما بال صوت تلك المراة التي أكد لها وجود إحداهن في حياة زوجها و أغلب ظنها أن تكون إحدى الممرضات اللاتي يعملن معه فما رأته حين زارت دينا بالمشفي من

سلوك الممرضات مع اللأطباء اكد لها ذلك.نظرت إلي فستانها الأبيض و أفلتت منها ضحكة مزيج من السخرية و المرارة ، حمدت الله أن حماتها شعرت بها تلك المرة و قررت من نفسها أن تقضي يومين عند نجلاء حتي إنها و لدهشة حسن عرضت عليهم أن تصطحب معها إيناس لكنه أبى خوفا من شقاوتها خاصة مع حسن ابن اخته .لم تكن هالة لترتدي مثل ذلك الفستان لو كانت حماتها بالمنزل لكنها الآن معه بمفردها في فرصة لا تتاح كثيرا و عليها انتهازها و بالفعل وضعت إيناس بسريرها باكرا و كذلك ندي و ظلت تنتظره في حماس أنثي تتدرع بمفاتن أنوثتها لإسقاط الرجل الذي تحب في شباكها .مضي الوقت بطيئا و هي تتلفت بين الحين و الأخر الي ساعتها و التي تجاوزت منتصف الليل بكثير ، نعم تأخر رغم تنبيهها له أن يأتي باكرا ، إنه حتي لا يكلف نفسه عناء الاتصال بها و إبلاغها بتأخره ، ظلت تتأرجح على أرجوحة الإنتظار ما بين شغفها و قلقها من عدم مجيئه و خاصة بعد عده مكالمات أثمرت عن رسالة الكترونية مسجلة تخبرها أن هاتفه مغلق.بعد الرابعة صباحا شعرت بحركة مفتاحه المميزة في الباب فقررت مواجهته اليوم فلم تعد لديها قدرة على التغابي أكثر من ذلك .شعرت بحركته الخفيفة و التي بدت و كأنه لا يريدها أن تستيقظ من نومها لكنه لم يعلم أنها في غرفتها تنتظره ،في هدوء فتح الباب ليجدها تجلس على "الفوتيه" وغضب مستتر في عينيها تنتظره و تكاد عيناها تطلق شررا يحرقه و مع ذلك حافظت على صمتها فازداد موقفه سوءا ،بدى مرتبكا أمام أنوثتها التي أعدتها بعناية كوجبة ساخنة جاهزة للإلتهام لكنها أضحت الآن باردة.في أسف أخبرها أنه كان مضطرا للمكوث في المشفي بسبب حالة حرجة ، لم يبد عليها الإقتناع بما قال و ظلت ترمقه بنظراتها التي تجلده ،وقفت أمامه تتفحصه ثم اقتربت منه قائله في هدوء لا يصف شيئا مما يعتمل في في نفسها : قافل موبيلك ليه؟ ، قالت كلمتها تلك في ثقة و إتهام في آن واحد، بدى مرتبكا ثم قال متمالكا نفسه :كنت في العمليات و كان لازم اقفله و بعدين غريبة إنك صاحية لحد دلوقتي .

- أغمضت عينيها في نفاذ صبر ثم نظرت له قائلة :لو سمحت اديني الموبايل .

نظر إليها في عدم فهم فكررت كلامها في حدة واضحة فقضب حاجبيه مستنكرا و قال : هالة انتي في ايه مالك ، صحيح أنا اتأخرت و انت عندك حق تزعلى بس متزوديهاش قلتلك كان عندي شغل .

اتجهت نحو "الكوميدو" و تناولت هاتفها في عصبية و هي تأتي بقائمة الأسماء الصادرة ثم توقفت عند رقم معين غير مسجل و أرته له متسائله في عصبية : رقم مين ده يا حسن؟

نظر إلي الرقم في دهشة ثم نظر إليها و قال مراوغا : معرفش و بعدين انت اللي متصله بيه يبقي لازم تكوني عارفه هو رقم مين .

قالت و هي تضييق عينيها :بس أنا الرقم ده اتصلت بيه بعد ما لقيته على موبايلك من كام يوم و لقيتك متصل بيه خمسين مرة ده غير الرسايل اللي ملحقتش اشوفها .

- انتي بتفتشي موبايلي من ورايا و بعدين فتحتيه ازاي أنا عامل باسوورد.

ابتسمت في تهكم : يعني انت عامل باسوورد مخصوص عشان معرفش افتحه ،عموما أنا اتصلت بالرقم و عرفت رقم مين و دلوقت عايزة افهم الموضوع منك.

أطرق صامتا و هو لا يدري أي طريق يتخذ لمراوغتها و لكن أمام درع معرفتها انهارت حصونه فقال في هدوء مستسلما : عايزة تعرفي إيه يا هالة .

- مين الست دي ؟!

سكت برهة و هو ينظر في عينيها و يري الترقب فيهما فأشاح ببصره قائلا : دي مراتي.

ساد الصمت بينهما و كأنه هالة قدسية ليس لأحد أن يخترقها ، ذاهلة كانت من هدوءه و صراحته القاتلة و كأنه كان بانتظار سؤالها بل يتمناه حتي يخبرها بالحقيقة التي أخفاها عنها، ربما ودت لو كذب ، لو أخبرها أنها نزوة عابرة و سيعود إليها و لكنه يقتل أخر أمل داخلها ، جلست في شرود على حافة السرير غير مستوعبة و غير قادرة على النطق فجلس جوارها مطرقا أيضا مانحا إياها الوقت لاسيتعاب صدمتها .

- قالت في شجن : من إمتي؟ .

- أجابها محاولا التماسك : من شهر تقريبا .

- بدت دهشة و هي تسأله : شهر ؟، شهر و أنا نايمة على وداني !!

- لم يجب فقالت تسأله بأعين دامعة : طيب ليه ، ليه يا حسن اتجوزتها ليه ؟!

- قال في عصبية كبتها طويلا: عشان مبقتش مرتاح في البيت ، عشان زهقت من المشاكل يا هالة، كفاية و لا اقول كمان .

- قالت بنفس الأسي التي تحمله :لا قول كل اللي جواك ، عايزة اعرف قصرت في ايه .

قال و هو يضحك في تهكم و سخرية : قولي مقصرتيش في ايه وبصي لنفسك في المراية دلوقتي و انتي تعرفي اتاخرتي قد ايه .

وقفت قبالته و دموعها تخفي الرؤية عن عينيها قائلة : يعني دلوقتي اتنسي كل حاجة عملتها و باقي بس انك تقولي اني مكنتش زوجة مناسبة ليك من البداية

وضع يده على كتفها ناظرا في عينيها : هالة أنا مقلتش كده بس انتي عارفة اني مش بتاع نزوات و لا علاقات طياري عشان كده اتجوزت و ده شرع ربنا .

نفضت يده عنها في غضب قائلة :شرع ربنا انك تتجوز عليا من غير ما تقولي ؟! انك تخبي المده دي و متسألنيش عن رأيي، إنك تهملنا و مترجعش البيت كل يوم غير قبل الفجر !

- رد في هدوء استفزها : ولو كنت قلتلك كنتي هتوافقي ؟

ردت في انفعال و حدة : لا طبعا و لا هقعد في البيت اصلا بعد اللي عملته ده ، من بكرة هاخد البنات و اروح عند ماما و ورقتي توصلني.

نظر إليها في هدوء قائلا : مش وقت الكلام ده انتي دلوقتي منفعلة و مش هينفع نتكلم .

هم بالخروج من الغرفة فوقفت أمامه مانعة إياه من الخروج قائلة في عصبية : انت رايح فين ، انت تطلقني دلوقتي قبل ما تمشي و تروحلها براحتك بعد كده و بالمرة ابقي خليها تتحمل أمك .

نظر إليها بشرر و النيران تتصاعد من عينيه و لكنه تمالك نفسه قائلا في حسم : بصي يا بنت الناس أنا اتجوزت زي ما كل الناس بتعمل و ده شرع ربنا يعني معملتش حاجة غلط و طلاق مش هيحصل ، أنا بناتي ميربهمش حد غيري .

وضعت يدها في خصرها و ضاعف كلامه ذلك من عنادها : يعني ايه ، يعني تتجوز عليا و كمان مش عايز تطلقني ، هعيش معاك غصب عني !!

قال مهددا :لا طبعا ، بس لازم تعرفي لو اصريتي على الطلاق أنا هاخد البنات و براحتك .

قالت في صوت أشبه بالصراخ : ده بعدك بناتي هيفضلو معايا و انت ابقي خلي العروسة الجديدة تجبلك عيال تربيهم .

زفر في حدة و أبعدها عن طريقة و خرج و هي مازالت تلاحقه و تهتف فيه طالبة الطلاق و لكنه خرج و صفق الباب خلفه في عنف و هنا استيقظت الصغيرة باكية خائفة فهرعت إليها تضمها إلي صدرها لا تعلم إن كانت تطمئنها ام تستمد منها أمانا تفتقده بعد فجيعتها تلك في زوجها الذي لم تشك فيه يوما ، زوجها الحنون فجأة هكذا و بكل برود يخبرها بأمر زواجه و يتهمها أيضا بالتقصير هي التي تتحمل أولاده و أمه ذلك الحمل الذي يضايقها دون أن تشتكي فقط كي لا تزيد أعباءه الأن يخبرها أنها اهملته و أنها تأخرت في اهتمامها به ، لماذا لم يخبرها بهذا من قبل لماذا الآن رأي كل تلك العيوب ،فقط من أجل أن يجد المبرر لتلك الزيجة التي لم تكن في حسبانها و الأقسي من هذا كله تهديده بأخذ البنات في حال طلبت الطلاق و الذي هو حقها دون جدال ، لكنه يأبى أن يمنحها ذلك دون مقابل .انهمرت دموعها في بكاء غير منقطع و هي تضم طفلتها إلى قلبها في خوف من الآتي و تتمني أن تستيقظ من كابوسها ذلك الذي يأبى أن ينقشع، قضت ليلتها تبكي حالها و تفكر بالمستقبل الغامض الذي ينتظرها بملامح مجهولة مخيفة تعتصر قلبها في ألم و خوف .

اتصلت بشريف بعد أن ذهبت للشركة ولم تجده هناك بينما اخبرتها نادية أنه شعر بصداع شديد ، كان قلقها باديا على وجهها مما دفع ليلي للإبتسام دون مبرر وهي تستشعر حبها صادقا ،تتمني حقا أن يشعر به شريف فربما ساعده على التخلص من هلاوسه ، أتاها صوت شريف عبر الهاتف فقالت تسأله عن مكانه : أنا عندك في الشركه انت فين ؟

اخبرها أنه في الصيدلية فسكتت برهة قبل أن تسأله عن عنوانها فأخبرها أنه في صيدليه " الرحاب " استشعرت ريبة في نفسها لا تدري كنهها لكنه قطع تفكيرها قائلا : ليلي استنيني في المكتب عندك أنا عشر دقايق وجي على طول .

وددت لو اعترضت ولكنها امتثلت لكلامه واغلقت الهاتف وانتظرته ، دقة مواعيده من أهم سماته فلم تمض العشر دقايق حتي وجدته أمامها في اعياء يبدو على وجهه ، اغلق الباب خلفه بعد أن طلب من نادية أن ترحل وتتركهما بمفردهما .

قالت تسأله بخبث : ايه حكاية رحاب بقي ؟! ابتسم لمقصدها قائلا : ولا حاجه .

رفعت حاجبها استنكار قائله : عموما هعمل نفسي مصدقاك بس على فكره نادية كانت قلقانه عليك اوي .

ابتسم دون أن يجيبها فأطرقت برهة تختار بدايه لحديثها قالت في هدوء : أنا جاية النهارده عايزة اسمعك ، عايزاك تحكيلي كل الي جواك من غير ما تخبي وصدقني محدش هيعرف حاجه انت مش عايزني اقولها .

اطرق في صمت مفكرا وقال دون أن ينظر إليها : ايه الي عايزة تعرفيه يا ليلي ؟! تنهدت في ارتياح فقد بدى على أهبة الإعتراف فاقتربت منه قائله : احكيلي عن موضوع القهوه ، ايه الي شفته وسبب الرسمه الي في الكراسه بتاعتك

سادت فتره صمت لم تشيء قطعها بينما احتار هو بين الإفصاح والإحجام لكنه كان قد ناء بحمله فقال في هدوء : أنا شفت سهير وهي بتحط بودرة لبابا في فنجان القهوه .

قالت ف اهتمام: ده كان امتي؟

في نفس هدوءه : يوم ما مات ،أنا شفتها لما دخلت المطبخ صدفة علشان اشرب ولما شفتني هددتني لو قلت لحد هتدبحني وتخلي دمي يملي البيت وهتولع في اوضتي لحد ما اموت .

ارتسمت ملامح الصدمة على وجهها وانعقد حاجبها في دهشة ثم عادت تسأله : طيب وهي جابت البودره دي منين وايه اللي خلاها تقولك كده ؟!

بدات أنفاسه تتهدج والإنفعال يبدو في نبرته : الكيس كانت شيلاه في صدرها وحطت منه البودره ، ثم بدي صوته أكثر حدة أشبه بالصراخ : هي الي سممت بابا وخافت احكي علشان كده هددتني .

بكي في انهيار وهو يدفن وجهه بين راحتيه : أنا السبب في موته ، أنا خفت ومقدرتش احكي ، خفت من النار ، خفت من الدم ، خفت منها وسكت أنا السبب في موت بابا ، أنا السبب .

ظل في بكائه الذي لا ينقطع كطفل رضيع يحتاج من يضمه ليطمئنه بينما كانت هي في دهشتها لا تقو على الحراك رافضا عقلها تصديق ما يحكيه ، امتدت يدها نحوه في وهن وتردد وربتت على كتفه لكنه استمر في نشيجه ، قالت في شرود : هو استاذ ايهاب يعرف الي حصل ده ؟

لم يجبها واستمر في بكائه بينما اتضحت الصورة بمخيلتها ، لهذا إذن رفض إيهاب إخبراها لأنه يعلم أن أمها السبب وهو من كان صديقه لم يستطع ردعها أو إنقاذه .

وعند تلك النقطه من تفكيرها تجسدت في ذهنها صوره أكثر بشاعه من كون أمها قتلت أبيها وهنا لم تبال بشريف الذي انكمش على نفسه والخوف يدب في أوصاله واندفعت خارجه كشرارة نار تحرق ما أمامها واندفعت لبيت والدتها دون أن تلمح نادية التي كانت تقف بجوار الباب في ذعر ودهشة مما سمعت.

بينما كانت تقف ساهمه في المطبخ أتاها صوت دينا مناديه بعد أن سمعت صوت الباب يفتح فسألتها: هي ليلي نزلت و لا إيه؟

اجابتها أمها في ضيق :أيوة راحت تقابل شريف

سادت لحظة صمت ثقيلة وكل منهما تغوص في أفكارها ، تنهدت دينا في آسى و دون قصد نزلت دمعة حارقة على وجنتها فاقتربت منها والدتها و ربتت على كتفها في حنان و ضمتها إليها قائلة :متخافيش كل حاجه هتتصلح ،اما خليته يرجعلك زى الكلب مبقاش أنا ، هو فاكر إن بالساهل يقدر يطلقك كده وتخسرى كل حاجه ،ده بعده .

انتزعت دينا نفسها من حضن والدتها و هي تبكى قائله :هتعملى ايه يا ماما،ده مصدق إنى خونته مع ياسر و مش مصدق أي حاجه عن زياد و قالى ورقتك هتوصلك قريب .

زفرت أمها في ضيق قائلة معاتبة :يعنى كان لازم اللى اسمه ياسر ده يجى الفيلا في الوقت ده قالت دينا في لهفه : يا ماما ده هو اللى أنقظنى ووقف جبنى و ساعدنى ،قالت أمها في عصبية :اه هو اللى ساعدك و هو اللى هيخرب بيتك ماهو أي راجل في الدنيا لازم يغير لما يلاقى راجل غريب قريب من مراته ويصدق إنها بتخونه .

هنا قالت دينا في عصبية و هي تجفف دموعها :يعنى أنا دلوقتى اللى بقيت غلطانه ،زياد كان هيغتصبنى و سامح بيخونى كل يوم و ساكته و برضو غلطانه .

قالت أمها في تأنيب: ماانتى اللى هبله و مبتعرفيش تحافظى على بيتك و لا جوزك كان ممكن تخليه ميبصش لواحده غيرك و ميحطش غير على عشك بس اقول ايه طلعتى هبله أنا اللى كنت بقول عليكى اذكى واحده في اخواتك اديكى هضيعى كل حاجه من ايدك .

قالت في شبه صراخ :أنا اللى غلطانه في الاخر ، كنت عايزانى اعمل ايه مع واحد عينه زايغه و مفيش حاجه تملى عينه ،اللى زى سامح اتعود على إن كل اللى يعوزه يلاقيه اما البنت الاخيرة دى فالباشا كان بيحبها من زمان وسابها بسبب اخوه و لما اخوه سافر رجع لحبه القديم اعمل ايه أنا في حاجه زى دى .

ثم قالت من بين أنفاسها المتهدجة بالبكاء : أنا خلاص مش عايزاه ومش عايزة اي حاجه تفكرني بيه ، أنا هطلق منه وابتدي من جديد مع حد بيحبني ويحترمني مش واحد شايف إني اقل منه وان وجوده في حياتي نعمه لازم احمد ربنا عليها !!

قالت أمها في ضيق وانفعال : يعني ايه ؟! عايزة تسبيه وتخسري العز ده كله ، عايزه تطلعي من المولد بلا حمص !! انتي غبيه ؟،وبعدين مين ده الي عايزه تبدئي معاه من جديد بعد ما تطلقي ،مين الي هيرضي بيكي بعد الي حصل ، اوعي تكوني فاكره الي اسمه ياسر ده هيرضي يتجوز واحده مش بتخلف و ... .

هنا قطعت كلامها وهي تشعر بالندم والتسرع لكنها لا تملك الكلام بعد النطق به فعضت على شفتها بشدة .

****

الفصل الثالث والعشرون

(بعض الأحداث التي نمر بها تعيد تشكيل حيواتنا من جديد، نشعر بعدها وكأننا ولدنا أشخاصا آخرين أشخاصا لم يعودوا يشبهون أنفسهم) آثير

نظرت إليها دينا في عدم فهم قائله : انتي قولتي ايه يا ماما؟! يعني ايه مبقتش بخلف ، أنا سقطت بس ، ايه الي مش هيخلني اخلف هه ؟ ما تردي عليا ، ردي .

قالت جملتها الأخيرة في صراخ فردت أمها في آسى : الدكتور قال مبقتيش تخلفي تاني بعد الوقعه بتاعه السلم دي ، ربنا رايد كده يا بنتي .

بدت صدمتها أكبر من أن تستوعبها فقالت في ذهول : يعني أنا مش هبقي ام ابدا ، يعني خسرت امومتي واتحرمت من كلمه ماما طول عمري!!

بدأت في بكاء حاد وهي تقول بإنهيار : انتي السبب حرام عليكي ، انتي السبب ، انتي الي خلتيني اتجوز سامح انتي الي خلتيني اهم حاجه عندي الفلوس ومبقتش بفكر في غيرها ، سبت كل حاجه عشان ابقي سيدة مجتمع ومعايا فلوس وعربيه وفيلا ، اديني اترميت في الشارع وخسرت كل حاجه حرام عليكي .

قالت أمها دهشة : دوقتي يا دينا بقيت أنا السبب ، ليه يا بنتي كده ، أنا الي كنت عيزاكي تعيشي احسن عيشه وتلبسي احسن لبس تقوليلي كده بقي دي جزاتي !! قالت دينا في انفعال :ايوة انتي السبب انتي اللي كرهتينا في ابونا وبعده خليتينا خسرنا اخونا الي مفروض يكون سندنا ، انتي الي خلتني اتجوز سامح واسكت على نزواته وادوس على كرامتي بس عشان مطردش من العز الي أنا فيه علشان كنت خايفه لفلوسه تكون لغيري ، لولاكي كنت اتجوزت ياسر الي بيحبني من زمان بدل ما اكون أنتيكه في فيلا كل الي هدف منها هو الشكل الاجتماعي إنما أنا عايزة ايه وبحس بايه مش مهم ،فاكرة لما كنتي بتقوليلنا إن اخونا ده عار لازم نتبري منه ، هو العار ده اللي نجح في شركته وبقاله اسم ، هو الي واقف جنب ليلي وساعدها وسندها بجد ،ليلي الوحيدة الي مسمعتش كلامك وبقيت جنبه عشان كده بيحميها لكن احنا كل واحده فينا في وادي وكل الي بيعمله والي هيعمله سامح فيا علشان متاكد إني مليش ضهر يحميني ولا حد يقفله وياخدلي حقي .

هبت أمها واقفه في عصبية وقالت في حدة : دلوقتي بقيت أنا المجرمه في حقك وحق اختك وبقيت أنا اللي كرهتكم في اخوكم وابوكم ، من امتي ؟ انتي ناسيه لما كنت بسرق الفلوس من وراه علشان مكنش راضي تكملي تعليمك ناسيه لما كنا بنقعد ايام وليالي عايشين على العيش الحاف علشان مكنش في فلوس في البيت

نجيب اكل وكل فلوسه كان بيصرفها على مراته التانيه ولا نسيتي الفلوس الي كتبها كلها باسم ابنه وحرمكو من كل حاجه وبقيت إنها وصيه عليه وهو معاه الفلوس دي ومع ذلك مكنش حلتي اللي يكفينا مصاريفنا واكلنا وشربنا ، نسيتي ده كله يا دينا ، نسيتي انتي نزلتي تشتغلي من امتي والمرمطه الي كنتي بتشوفيها علشان اكل العيش دوقتي بتقولي اخويا وسندي.

دخلت ليلي في تلك اللحظه وأمارات الغضب على وجها وفي حركة مسرحية صفقت وهي تقول : برافو ، خلاص خلصتي الاسطوانه الي بقالك سنين بتسمعيهالينا .

نظرت إليها دينا بأعين باكية بينما أكملت حديثها في إنفعال قائلة : دالوقتي بقي عايزة اعرف الحقيقه كلها والي مش هينفعش تخبيها اكترمن كده .

نظرت إليها أمها بوجل وهي تحاول أن تستشف ما يعتمل بصوتها وما أخبرها به شريف ثم أكملت ليلى وقد احتقن وجهها من فرط انفعالها : بابا مات ازاي يا ماما ؟؟

نظرت إليها دينا في دهشه ثم نقلت نظرها إلي أمها التي ارتجف جسدها وأطرقت برأسها دون أن تجيب فقالت ليلي في تهكم : تحبي تحكي انتي ازاي ولا احكي أنا !!

قالت في هدوء : ايه الي قالهولك شريف ؟

قالت دينا مقاطعة حديثهما في بلاهة : في ايه يا ليلي أنا مش فاهمه حاجه ؟

قالت ليلى في نفس انفعالها :امك حطت سم لابوكي في القهوة قبل ما يموت .

شهقت دينا في فزع بينما استطردت ليلى مكمله : وطبعا الاستاذ ايهاب عارف ومش بعيد يكون له يد في موضوع معاه وطبخوها مع بعض علشان يخلالهم الجو و... .

هنا هوت أمها بكفها على وجهها في قوة وقالت بحدة : أنا سيباكي من الصبح تقولي اللي تقوليه وتعملي اللي تعمليه عشان معاكي حق تفهمي كده بعد الي حكاه شريف لكن تتكلمي على شرفي اقتلك وأنسي اني خلفتك من الاساس .

بدت دينا منكمشه أكثر على نفسها غير مستوعبة لأي مما يحدث حولها بينما التفتت ليلي تنظر إلي والدتها والشرر يتطاير من عينها قائلة بغيظ : بتضربيني ليه؟، علشان بقول الحقيقه الي طول عمرك مخبياها علينا ، علشان كشفت سرك.

فقالت أمها صارخة : اخرسي وإياكي تنطقي بكلمه زياده ،شريف قالك على كيس البودرة الي شافه وقالك اني هددته لكن مقلكيش على الحقيقه الي طول عمري بخبيها علشان خاطركم وعشان محدش في يوم يعايركم بيها عشان تمشوا وراسكم مرفوعه ، لكن تيجي وتتهميني في شرفي لحد كده وكفايه .

سكتت برهة تلتقط أنفاسها بينما تعلقت أعين دينا وليلي بها فقالت مكملة: الكيس اللي شريف شافه ده بودرة ابوكم كان ابوكم بيتعاطاها من زمان ،حاولت كتير امنعه منها لكن كان بيضربني ويبهدلني فمكنش قدامي الا أني اسمع كلامه واحطهاله في القهوة زي ما كان بيقولي علشان كانت بتعلى مزاجه اما في اليوم الي مات فيه طلب مني القهوة الي متعود عليها واداني الكيس وقالي احطله منه علشان كان صنف جديد وكان عايز يجربه وايهاب وقتها كان معاه في الصالون وحاول يمنعه لكن من غير فايده ،وبالفعل عملت القهوة ودخل شريف وشافني وخفت يحكي قدام حد من الجيران ونتفضح فهددته علشان يخاف ووديت لابوكي القهوه بعد ما شربها عرق فجأه وقعد يرجع وحاولنا نساعده لكن امر الله نفد ووقتها الدكتور قلنا إنه اخد جرعه زياده من البودرة علشان كده مات وايهاب ربنا يكرمه مرضيش الجثة تتشرح علشان الفضايح.

سكتت برهة لتتمالك نفسها وتتجرع مرارة ذكرايتها ثم قالت : عرفت ايه الي حصل بقي ، والي شريف شايله طول عمره في قلبه والي خلي ايهاب ميقلوكيش يوم ما رحتي وسالتي مكنتش عايزة اقولكم اني بعد عمايل ابوكم دي كلها كمان كان مدمن وانه كان بيحرمنا من الاكل واللبس علشان مزاجه ، عرفتي كنت بخبي عليكو الحقيقه طول الوقت ده ليه؟!

هوت ليلي إلي أقرب مقعد وهي تشعر بأنفاسها تتسارع لتخرج من صدرها وبدت صدمتها أكبر من أن تستوعبها وشعرت باتزان الأشياء يختل من أمامها ثم غابت عن الوعي .

- طب استني يا بنتي ربنا يهديكي

قالت في هدوء مصطنع والدموع تنهمر من عينها :معلش يا ماما أنا لازم امشي ، مينفعش اقعد في البيت بعد الي حصل واتقال .

قالت ساميه في آسى : طب استني يا بنتي لما يرجع أنا هتكلم معاه .

قالت هالة وهي تغلق حقيبتها: خلاص مبقاش في منه فايده الكلام، احنا قلنا كل حاجه ممكن تتقال،أنا رايحه عند ماما وسايباله البيت وقوليله إني مصره على طلبي.

حاولت سامية اقناعها وإثناؤها دون جدوي فقد كان جرحها أكبر من أن يحتوي وانطلقت باكيه من بيتها الذي قضت فيه قرابه الخمس سنوات هانئه بنعيمه ، راضيه بمعيشتها بالرغم من منغصات حماتها المستمرة إلا أنها اعتادتها وتأقلمت معها لكن تلك المرة خارج طاقتها فلم تستطع البقاء وودعت حماتها من بين دموعها تاركه إياها خلفها بقلب مكلوم على زوجة ابنها التي لم تسئ إليها في يوم رغم تدخلها الزائد في حياتها ، اندهشت إذ حزنت بجد عليها وبكاها قلبها قبل عينيها في حزن على رحيلها وخيانة ابنها لها وعند تلك النقطة قررت أن تعاقبه ولكن بطريقتها وأعدت خطتها بإحكام لمعاقبته.

كانت ناديه تشعر بخوف حقيقي وهي تقف بجوار الباب الموارب وهي ترقب شريف في نفس الوضع الذي تركته ليلي عليه وهو ينهمر في البكاء، شعرت بالخوف الشديد عليه ولم تدر ماذا عساها أن تفعل ولكنها حسمت أمرها وتقدمت منه في هدوء منادية عليه فلم يجيبها فاضطرت أن تضع يدها على كتفه لتفيقه من شروده لكنه انتفض و نظر إليها في رعب حقيقي و هو يهزى كطفل صغير خائف حتى أثار شكله المرتجف خوفها أيضا فقالت بوجل :استاذ شريف هو حضرتك في حاجه تعباك .

لم يجيبها بينما انكمش على نفسه أكثر و هو يهزى بنفس هلاوسه التي كانت تراوده فلم تدر من أمرها شيئا حتى وجدت نفسها تقترب منه و تربت على كتفه فاستكان قليل ناظرا إليها في تساؤل و كأنه لم يراها من قبل و نظر إليها في اعتذار و هم يضم ساقيه أكثر إلى صدره و يتكور في مقعده و قال في صوت طفولى بائس :معلش مش هعمل كده تانى و الله ما هقول لحد بلاش النار ،بلاش .

و ظل يبكى في هستريا صارخا و دموعه تكسو وجهه و هي تشعر بالدهشه من خوفه و لكنها رغم خوفها اقتربت منه في اشفاق عليه و ضمته في رفق إلى صدرها فاستكانت رأسه في هدوء و هدأ روعه قليلا مما جعلها تضم رأسه أكثر إليها و هي تهمس في أذنه برفق :متخافش محدش هيأذيك .

لاحظت انتظام أنفاسه قليلا و إرتخاء أعصابه المشدوده و في هدوء أبعد رأسه عن صدرها و ظل يرمقها بعنين خاويتين غير مستوعبا لشيء مما يحدث و لا مستوعبا لماهيه المكان حوله ،كانت تشعر بكل انفعالاته مستوعبه مخاوفه خاصه بعد ما سمعته من حواره مع ليلى عند عودتها صدفه بعدما نسيت هاتفها بالمكتب ،لا تدرى لما شدها فضولها بأن تستمع له ،ربما هو الفضول نحو من تحب لثبر أغواره و اكتشاف دوافنه خصوصا إذا كان شخصا غامضا كشريف .

و برغم خوفها مما سمعت وخوفها من سلوكه الطفولى المفاجئ إلا أنها شعرت نحوه بحنين جارف و حب دفين جعلها تتمنى أن تحمله بأحشائها لتحميه من مخاوفه و هلاوسه التي ما عرفت عنها شيء إلا منذ قليل .

اقتربت منه في جرأة لم تعتدها في نفسها من قبل ووضعت يديها متحسسه جبهته فابتعد عنها في خوف و دهشه فقالت بصوت قلق تسأله :انت كويس ؟!

قال بارتباك و خجل: أنا الحمدلله ،متقلقيش ،و شكرا ليكى .

شعرت بإحراجه البالغ فقررت أن ترحل و لكنها التفتت إليه و سألته :هو حضرتك هترجع البيت ازاي ؟

ساد الصمت في المكان فقالت :لو سمحت أنا ممكن اوصل حضرتك ،مش هينفع تسوق العربيه و انت في الحاله دى .

حاول الإعتراض محرجا منها لكنها قالت في حسم :أنا معنديش مشكله ،بس هكلمهم الاول في البيت و اقولهم أنى هتاخر ،ثوانى و هرجع لحضرتك .

و بالفعل حدثتهم في المنزل و أخبرتهم أنها ستتأخر في العمل ثم عادت إليه فوجدت الإعياء قد تبدي به فقالت في رفق: يالا حضرتك ، اتفضل.

و بالفعل تقدمها و في شرود شكرها بينما قادته إلى المنزل خاصته و هي تحافظ على صمتها منعا لإحراجه بعد ما حدث منه منذ قليل ، كانت تلتفت إليه بين الحين و الأخر تطمئن عليه بينما شعر هو بالتوتر من نظراتها تلك و اعتراه خجل منها و من نفسه بينما انزلقت ابتسامة عذبة على شفتيها من خجله .

اوصلته للمنزل و أصرت على الصعود معه رغم إعتراضه ،استقبلتهما خالته في دهشه و ذهول خاصه عندما رأت وجه شريف المجهد و ذلك الإعياء الذي يعتريه فقالت نادية في خجل : معلش أنا جيت من غير معاد بس استاذ شريف كان تعبان شويه ومحدش كان في الشركه غيرى فوصلته عشان مكنش ينفع يسوق لوحده .

شكرتها بثينة بشده و دعتها للدخول لكنها رفضت لتأخر الوقت و همت بالانصراف عندما اوقفها شريف قائلا :أنسه نادية ،شكرا جدا لتعبك و أنا اسف انى قلقلتك عليا.

قالت بابتسامة لاحظ عذوبتها لأول مرة وتذوق نقائها في اندهاش :مفيش تعب و لا حاجه ،هبقى اكلم حضرتك بكرة و اطمن عليك ،تصبح على خير.

انصرفت مغلقه الباب خلفها فظل يرمق ذلك الفراغ الذي تركته خلفها في شرود و اشياء عده تعتمل بقلبه حتى أنه لم يلتفت لصوت بثينه التي نادته في قلق تسأله عن حاله وعما ألم به فأجابها في اقتضاب أنه بخيرثم تركها و دخل غرفته و استقلى على سريره و قلبه يرتجف في عنف ما بين خوف و ندم على ما صرح به لليلى و لكن بجانب خوفه امتزج شعور براحه لم يعهدها من قبل و لم يعلم لها سبب و كأن ثقله الذي اضطر لحمله بقلبه منذ سنوات قد انزاح الآن .

كان الوقت باكرا حين دق جرس الباب في اصرار مثير للقلق ،هرعت تفتح الباب في قلق و تذمر خشيه أن يوقظ ليلى التي بالكاد استطاعت النوم بعدما صار الليلة الماضية ،فتحت الباب لتجد هالة قبالتها و عينيها تكسوها الدموع و تحمل ندى على ذراعها بينما تمسك ايناس بيدها و هي شبه مغمضة العينين .

نظرت إليها في قلق متسائلة عما بها لكن هالة لم تجبها بل افسحت لنفسها طريقا و خطت إلى الداخل واضعه طفلتها على الأريكه و عادت لتلتقط حقيبه ملابسها .

نظرت سهير إلى الحقيبه ثم قالت بهلع :في ايه ،انتى اتخانقتى انتى و حسن و لا ايه؟

قالت هالة و هي تلتقط أنفاسها من بين دموعها :خلينى ادخل الاول و بعدين اسالينى براحتك.

قالت لها بنفاذ صبر : اهو ادخلى و احكيلى ايه اللى حصل و ايه الشنطه اللى دخلالى بيها على اول الصبح دى .

قالت هالة و هي تلقى بجسدها على المقعد المجاور و تحاول أن تتماسك : أنا و حسن هنطلق

ضربت أمها في لوعة على صدرها قائلة :يا مصيبتى ،ليه !،ايه اللى حصل ؟

قالت هالة بعد أن فقدت سيطرة على نفسها و انهمرت في البكاء :حسن اتجوز عليا يا ماما

جلست أمها إلى المقعد المجاور ساهمة ،مصدومة مما قالته فهي لم تتخيل يوما أن حسن يمكنه أن يفعل ذلك فقالت في حده :اكيد أمه القرشانه هي اللى زنت عليه لحد ما اتجوز.

قالت من بين نشيجها :لا يا ماما متظلميهاش هي اتصدمت زيى بالظبط و....

لم تستطع أن تكمل حديثها اذ غلبتها دموعها ثانيه فاستسلمت لها ،اسندت أمها ذقنها على كفها و هي تزفر في حده و تستغفر الله مما أصاب بناتها ،ففي مده قصيرة ترى ابنتيها لديها في منزلها و كل منهما قد انهدمت حياتها .

قامت ليلى مترنحه تخطو إلى الخارج بعد أن سمعت صوت ندى و هي تبكى فقامت من نومها الذي اختلسته بصعوبه من ساعات التفكير المضنى و الصراع نفسى الذي عانته الليلة الماضيه بعد ما أخبرتها أمها به ،كانت ليلتها مريرة بعد أن اكتشفت أن والدها مدمن و أنه توفي إثر جرعه زائده من المخدرات ،رغم كل عيوبه و شدته الا أنها حملت له بقلبها حب دفين لم تصرح به قط لكن أن تتخيل أنه كان مدمن و أنه أنفق كل ما يملك على "مزاجه "و حرمهم من الاكل في كثير من اليالى لهذا السبب كان ذلك فوق طاقه احتمالها و كان المسمار الأخير في نعش ذكراه الجميلة لديها حتى أنها لم تجد في نفسا الشفقه عليه و لا الحزن على مماته بتلك الطريقه بل وجدت كل الشفقه على أمها تلك التي ظلمتها بظنها و كلامها الجارح و التي تحملت ما تنوء به الجبال فقط لتحافظ على صورته بأعينهن و تقيهن شر ألسنه الناس التي لاترحم و تزر كل وازرة وزر أخرى وشد ما ألمها هو مرض شريف و ظنونه التي لا تعرف كيف يمكن أن تقنعه أنه كان سراب لا أساس له من الصحة و أن والدتها كانت بظنه مظلومة .

اطلت عليهم بوجهها الشاحب و هي ترمق هالة الباكية و إيناس التي تتكور على نفسها في خوف حتى رأتها فجرت عليها تتعلق بساقيها طالبة الأمان ، التقطتها ليلى و حملتها في حنان و هي تضمها إلى قلبها ثم اقتربت منهما فقالت والدتها ونظرة قلقه تكسو عينيها : ايه اللى قومك من السرير دلوقتى ،ادخلى نامى .

نظرت ليلي الي هالة متفحصه غير مباليه بوهنها وجلست جوارها تربت على كتفها في قلق قائلة :في ايه يا هالة مالك؟ ،زعلتي تاني انت وحماتك.

قالت أمها تجيبها وهي تلوي شفتيها في حسره: ياريت ، البيه جوزها اتجوز عليها.اتسعت عينا ليلي في دهشة وذهول ونظرت الي هالة تسألها صحة هذا الحديث فأكملت أمها في حسره: وكأن بيتنا ناقص احزان، في الاول دينا ودلوقتي هي ، والله دي عين وصابتنا.

علا صوت هالة بالبكاء بعد كلام أمها ذلك فنظرت إليها ليلي في عتاب ثم اخذت بيد هالة وهي تقول : خلاص ادخلي ريحي دلوقتي وربنا يحلها من عنده ، ادخلي في اوضتي دينا في الاوضه التانيه وكمان عشان تاخدي راحتك انت والبنات.

ثم قالت لإيناس التي تعلقت برقبتها: وانتى يا حبيبتي ادخل نامي مع ماما.

بالفعل استجابت لها هالة فقد كانت تحتاج للراحه بعد ليلتها الطويله و عيناها التي لم تذق النوم بعدما عرفت الحقيقة .

جلست ليلى بجوار أمها مطرقة في خجل فنظرت لها قائله في جفاء لا يخفي قلقها عليها : و انتى ايه اللى صحاكى ، ادخلى نامى مش ناقصين تدوخى دلوقتى و لا تتعبى تانى .

اقتربت ليلى من والدتها و في خجل انحنت على رأسها تقبلها في ندم :أنا اسفه يا ماما سامحينى .

اشاحت أمها بوجهها إلى الجهه الآخرى متمنعه فقالت ليلى بصوت مخنوق :و الله مكنش قصدى ،أنا كنت مصدومه لما عرفت الحقيقه و ما عرفتش افكر صح .

قالت في عتاب و حدة : حقيقه ايه ؟! الحقيقه اللى قالهالك شريف و انتى صدقتيه زى الهبله .

قالت ليلى مدافعة : بس يا ماما شريف قال اللى شافه فعلا و اللى انتى هدتيه عشان مايقولوش و فضل شايله في قلبه العمر ده كله و كان بيسببله هلاوس و كان سبب خرسه.

قالت إليها أمها في دهشه : يعنى أنا اللى غلطانه دلوقتى عشان خبيت موضوع ابوكم و بقيت السبب في مرض ابنه و الهلاوسه اللى بتجيله .

سكتت ليلى في إمتعاض متمنيه أن ينتهي هذا الحوار فهي لن تستطيع أن تخبرها أنها حقا السبب في مرض شريف و أنه عانى بسببها طوال تلك السنوات كما أنها كانت السبب في ابتعاد دينا و هالة عنه ،نظرت إليها أمها في عتاب منتظرة ردها لكنها قالت في اقتضاب :أنا رايحه البس عشان أنزل ؟!

قالت وهي متجهه إلى غرفتها :لازم اروح البيت محتاجه شويه حاجات من هناك

لم تدع فرصه لأمها لمجادلتها أكثر فدخلت الحجرة في هدوء كى لا توقظ هالة و غيرت ثيابها في سرعة و استعدت للنزول حين سمعت صوت دينا منادية فاتجهت إليها فسألتها : انتى هتروحى لشريف مش كده ؟

ابتسمت ليلى قائله:ايوة

اطرقت دينا قائله :طيب ابقي سلميلى عليه

هزت ليلى رأسها في تفهم و فرح :حاضر

الفصل الرابع والعشرون

مرت في طريقها على الشركه حين لم يجيب على اتصالها فلم تجده هناك بينما اوقفتها نادية و أخبرتها أنها اوصلته الليله الماضية للمنزل بعد أن تأخر الوقت و اشتد به الإعياء نظرت إليها ليلى في ريبه محاوله ثبر أغوارها لتصل الي حقيقه ما عرفت من هذيانه فهي تعرف جيدا تلك الحاله التي تركته عليها الليلة الماضية بعد اعترافه بما ضاق به صدره طوال تلك السنون لكن نادية قطعت عليها تفكيرها حين استأذنتها لتجيب على الهاتف و الذي كان منه يخبرها أنه لن يأتى العمل اليوم فأخبرته بوجود ليلى عندها فألتقطت ليلى السماعه منها في لهفه لسماع صوته و الذي أعياه البكاء فقالت له أنها ستحضر لمنزله في الحال و اغلقت الخط و رمقت ناديه بنظرة متفحصة ثم استأذنت راحله و هي تتمنى ألا تكون حالته سيئة خاصة بعد نسيانها إياه الليلة الماضية و هي منشغله بمعاناتها.

طرقت الباب فوجدت بثينه قبالتها ترحب بها ثم تخبرها بقلقها عليه بعد أن عاد بالأمس و الإعياء يتملكه و قبل أن تسترسل في حديثها استأذنتها ليلى لتطمئن عليها و بالفعل دخلت و اغلقت الباب خلفها و هي تنظر إليه بأعين متفحصه قلقه متسائله عن حاله فأخبرها انه بخير و إن كان على وجهه يبدو غير ذلك مما أشعرها بالأسف نحوة فقالت :أنا اسفه يا شريف ،امبارح مكنتش في وعيى و نزلت من عندك شبه مغيبه من غير ما افكر في حاجه غير إني اعرف الحقيقه .

نظر إليها في استنكار قائلا : وعرفتي الحقيقة ؟!

جلست الي جواره وهي تقص عليه كل ما كان في ليلتها الماضيه وما أخبرتها والدتها عن حقيقة والدها ، بدى مستمعا إليها في صمت دون أن يقاطعها حتي انتهت من كلامها فقال بتهكم : وأنتي بقي صدقتي الفيلم ده ؟ ، صدقتي إن أبوكي كان مدمن وإنه مات أوفر دوز زي ما قالتلك ؟!

نظرت إليه في عمق ثم قالت في هدوء : يمكن يكون صعب أننا نعرف ان ابونا مدمن لكن دي الحقيقة الي فضلت مخبياها علينا لحد مانبشنا احنا وراها فاضطرت تقولنا عليها.

فجأة في انفعال وعنف وهو يهب من سريره : كدابة ، كدابة ، دوقتي بتقول كده عشان تنقذ نفسها عشان متتكشفش ، لكن أنا شفتها بعيني وشفت السم الي حطيتهوله وهي بتطلعه من صدرها ، لو هي كلامها صح زي ما بتقول هددتني ليه ، ها ، ردي عليا .

قامت محاولة تهدئته وهي تمسك بكفه في رفق قائله : هددتك لأنها كانت خايفه انك تحكي لحد من الجيران ونتفضح ، كانت خايفه على سمعتنا وخايفه من الفضايح .

نفض يده من يدها ضاحكا بهسترية قائلا : فضايح قال ،هي الي قتلته واللي بتقوله دالوقتي عشان خايفة على نفسها عشان كده هددتني وخلتني في رعب السنين دي كلها .

فجأة بعد ضحكه الهستيري انخرط في البكاء بشدة فكاد قلبها ينخلع خوفا عليه ، حاولت تهدئته دون جدوي فالتفتت تبحث عن هاتفها داخل حقيبتها التي بعثرت محتواها على السرير في عجلة باحثه عن الهاتف لتطلب دكتور مجدي ولكن فجأة وجدت بثينه أمامها والهلع يعتريها وهي تنظر إلي ليلي في خوف فقالت تطمئنها : متقلقيش هتصل بالدكتور.

خلال نص ساعه من تلاوة القرآن في محاولة لتهدئته كانت دموع بثينه تنهمر في آسى دون توقف وليلي تحاول جاهده تهدئتها في الوقت الذي احتاجت فيه لأحد يهدئ من روعها بشده .

قالت بثينه من بين دموعها : ليه يا ليلي مقولتليش من الأول ، ليه محكتليش عن تعبه ؟ لو قالي كنت حكتله كنت فهمته انه غلطان في شكوكه الي فضل حابساها جواه من سنين.

برغم من قلق ليلي وانشغالها إلا أن كلام بثينه اوقفها فنظرت لها مستفهمه لكن الوقت لما يكن مناسبا لتسألها عن قصدها .

دقائق ووصل الدكتور الذي أعطاه مهدئا ثم أخبرهم بضرورة أخذه إلي المشفي خشيه أن تسوء حالته بالمنزل أو أن يقدم على إيذاء نفسه وبالفعل اتصل بسيارة الإسعاف لتأخذه ويكاد قلب ليلي يتوقف من الخوف عليه بينما اصرت بثينه أن تصحبها ، حاولت ليلي اثناؤها لكن دون جدوي فما كان منها إلا أن رضخت لرغبتها .هنا

لم يكن دكتور مجدي يعلم أن الصدفه التي ساقت بثينه في طريقه ستميط اللثام عن كثير من الاسرار التي يجهلها ، اثارت ملامحها ذاكرته فسيطر عليه احساس أنه راها من قبل ولكن لم يدري اين وتذكر قصة(never forget aface)

التي قراها من قبل وابتسم حين تخيل أنها قد تكون احد المجرمين التي قد راي صورهم المعلقه من قبل .

جلست ليلي مع بثينه في الرواق تنتظر حضور الدكتور في قلق لكن ذلك القلق لم يقلل من فضول ليلي التي نظرت الي بثينه بتردد ان كانت تسألها ام لا لكن بثينه في نظره واحده فهمت ما يدور بخلد ليلي لكنها لم تعقب فلم يكن الوقت او المكان مناسبا لما تريد معرفته وتبدي قلقها على شريف جليا هي التي كانت تعتبره اكثر من ابنها فجأه تكتشف أنه يعاني من هلاوس تنتابه وبارانويا الاضطهاد ، ظلت تدعو الله في قلبها أن ينجيه لها فلم يعد لها سواه بعد أن حرمت من الذريه وفقدت اهلها في الغربه.

خرج اليه الدكتور بوجه مطمئن وهو يخبرهم أنه بخير وأنه اودعه حجره خاصه وسيكون هو المشرف عليها فتقدمت بثينه ترجو أن يبقيها الي جواره وتحت الحاحها وقلقها لم يجد بد من الموافقه لكنه طلب منها بيناتها ليسمح لها بالاقامه وبالفعل اعطته البيانات واخبرته بصله القرابه بينهما.

لم تجد ليلي داعيا لوجودها فدخلت لتطمئن عليه قبل رحيلها واكدت على بثينه الاتصال بها إذا جد شيء أو احتاجتها

عادت ليلي الي شقتها فقد كانت تحتاج الي الهدوء والراحه بعد ذلك الصراع والقلق الذي مرت به الليله الماضيه وذلك الصباح.

استلقت على سريرها في اجهاد وهي تشعر بجسدها يأن طالبا للراحه لكن عقلها أبي أن يستسلم لها ويدعها تهنأ بنومها فظل يجلدها بأفكاره وذكرياته وفضوله أيضا نحو ما تخفيه بثينه ، هل كانت بثينه على علم حقا بحقيقه والدتها أم أن صمتها يحمل المزيد من الاسرار لها، تنهدت في أسي وهي تشعر أن احزانها تتكالب عليها خاصه عندما تذكرت هالة وتلك المصيبه التي حلت بها فلا يكسر المرأه سوي أن تشاركها زوجها اخري يكون لها نفس حقوقها ومكانتها لديه.

مهما حاولت التخيل لن تستطيع أن تشعر بما يعتمل بقلب هالة فالبرغم من كونها عاجزه عن الأنجاب إلا أنها أن اضطرتها الظروف ستنفصل عن خالد أن رغب بأخري وحمدت الله أن ذلك حقها الذي منحها الله إياه فلن تضطر أن ترتكب اثم بمنعه من حقه وحرمانه من أن يكون له ذريه تقر عينه ويفرح بها.

دون قضد انسابت دمعه محمله بآسي عميق ، الي متي سيطول صبر خالد عليها وعلى عجزها ، الي أي حد يمكنه أن يضحي من اجلها، ربما لو الامر معكوس ماكانت لتقلق فهي رغم حبها للاطفال إلا أنها تحب خالد الي الحد الذي يجعلها تضحي بأمومتها من أجله، إنه عطاء المرأه الذي لا يعرف له حد إن احبت لكن أنانيه الرجل الفطريه هي ما تخيفها وتثير قلقها.

نهضت متثاقله لتغير ملابسها واتجهت صوب الحمام لتستحم وتدثرت بروب الحمام وألقت بجسدها على السرير وغاصت في النوم.

فتح باب شقته ليجد الهدوء يعم البيت بشكل لم يعتده فخطي بهدوء الي الداخل فوجد أمه تجلس في صداره "الريسبشن"في تحفز بانتظاره فدخل وألقي عليها التحيه فقالت بجفاء: وعلكم السلام، اتاخرت ليه يا حسن؟!

نظر حوله باحثا عن ايناس بعينيه وهو يقول: كان عندي شغل، اومال فين البنات

مصمصت شفتيها وهي تجيبه بتأنيب: وانت كنت فاكرها هتقعد في البيت بعد اللي عملته.

ارتفع حاجباه دهشه فهو لم يتوقع أن تنفذ تهديدها فقد اعتادها ضعيفه مستكينه لا تملك من الاسلحه سوي دموعها فكيف تقدم على خطوه كتلك ولكن امه اكملت: وعلى فكره مراتك مصره على الطلاق.

ازدادت دهشته، اذن فهي لم تخاف حتي من تهديده ولم تقم له وزن ، وتعجب جدا من شدتها التي لم يعتدها فجلس مصدوما دون أن ينبث ببنت شفه فقالت امه في تهكم : يا تري بقي العروسه الجديده حلوه؟!..تستاهل يعني تخرب بيتك وتشرد عيالك عشانها.

قال في امتعاض : يا ماما أنا معملتش حاجه لا عيب ولا حرام، ده حقي، مثني وثلاث ورباع وربنا اداني الحق ده تيجي هي وتحرمني منه ليه؟

ردت في تهكم: شرع ربنا، طيب ما ربنا برضه اداها الحق تتطلق منك لو الوضع معجبهاش ومرضتش بيه

قال في حده: ويعني هي ادت نفسها فرصه انها تجرب الوضع وتشوف نفسها هترضي ولا لأردت بحده: وهو في واحده في الدنيا بترضي ببقالها ضره ، انت بتغالط نفسك ليه وبعدين مين قال ان ربنا سابها مفتوحه كده ، ده ربنا شرط العدل وانت عمرك ما هتعرف تعدل لإنك ببساطه بنشوفك في البيت بالصدفه بسبب شغلك ومع ذلك بنت الناس عمرها ما اشتكت يبقي ده جزاتها.

قال في انفعال: هي ما اشتكتش بس أنا اشتكيت ، أنا اللي حاسس اني مش متجوز ، حاسس ان في حاجات كتير نقصاني مش لاقيها معاها، كنت عايزاني اعمل ايه، مالقتش غير إني اتجوز عشان احمي نفسي من الحرام.

قالت امه في هدوء: واديك اتجوزت ، ارتحت يا حسن ؟!، ولسه الراحه اللي بجد اما تدخل البيت كل يوم ما تلاقيش ولادك حواليك ولا لما العيل اللي في بطنها يتولد ومتشوفوش وقتها بس هتعرف يعني ايه راحه بجد.

هب واقفا في عصبيه :جري ايه يا ماما، انت معايا ولا معاها وبعدين هو أنا اول واحد يعمل كده؟!، ما رجاله كتير متجوزين اتنين وعايشين مع بعض كمان من غير مشاكل اشمعني هي الي مكبره الموضوع كده.

وضعت يدها على زراعه محاوله تهدئته : طيب اقعد يا بني ربنا يهديك، مين اللي قالك انهم اتجوزوا اتنين وعايش في راحه من غير مشاكل ،ده يابني واحد عايز يخرب بيتك وبيضحك عليك ، ده الي قبلنا قالو جوز الاتنين يا قادر يا فاجر ، اه هو شرع ربنا بس هي من حقها تحس ان جوزها ليها وحدها يعني انت ترضي لاختك جوزها يتجوز عليها، دي اكبر كسره للست إن جوزها يتجوز عليها .

اطرق وهو يشعر بأنفاسه تضيق و زفر في حده :طيب اعمل ايه دلوقتي يا امي ، أنا مقدرش اسيب هالة والبنات وفي نفس الوقت "لمياء"مالهاش ذنب عشان اظلمها ومعملتش حاجه وحشه.

قالت وهي تمصمص شفتيها: هي اسمها لمياء؟!

اطرق ولم يجبها فقالت بحنان: خلاص ادخل ارتاحلك شويه وربنا يحلها من عنده.

دخل غرفته وهو يشعر بالخواء واحساس بالندم يرافقه ويرفض الاعتراف به ربما لأنه لم يتوقع ما فعلته فقد ظنها سترضخ لما يفعل ، كيف خانت حدسه وخيبت توقعاته علي هذا النحو.

جلس على حافه السرير الخاوي والقي براسه الي ظهر السرير واغمض عينيه وهو يشعر بالم يعتصر قلبه وحنين يجتاحه نحوها ونحو بناته.

في الخارج كانت امه تجالس شيطانها وتعد خطتها التي احكمت نسج خيوطها واستعدت لها بأن حزمت حقائبها في هدوء منتظره استيقاظه وبعد قرابه الساعتين فتحت باب حجرته لتوقظه فنظر إليها بعينين مجهدتين متسائلا: ايه يا ماما الاكل جهز

نظرت له في براءه مصطنعه:اكل ايه ومين اللي هيطبخ ، ماانت عارف إن أنا ست كبيره وتعبانه ومش حمل واقفه المطبخ.

قال في استسلام وهو يفرك عينيه:خلاص مش مشكله نطلب اي حاجه جاهزه

فقالت بسرعه : لأ، حاجه جاهزه ايه، مانت عارف مبطقش اكل بره ومقدرش احطه ف بقي ، أنا عارفه مين اللي عامله ولا عامله ازاي، الله يمسيكي بالخير يا هالة فينك وفين طبيخك الي زي العسل.

نظر لها مستنكرا دهشا من مدحها لهالة الذي لم يكن له سبق من قبل ثم قال: طيب وبعدين ايه العمل دلوقتي؟!

قالت بلامبالاه: معرفش اتصرف

ثم قالت مستدركه : ولا اقولك خلاص امري لله، هروح معاك عند مراتك دي انت قلتلي اسمها ايه، اه لمياء ، يالا اجي على نفسي ونتغدي عندها النهارده، اهو غدا والسلام.

شعر بالارتباك والدهشه لكنه لم يجد امامه بديل فقام من نومه قائلا: خلاص اجهزي على ما اكلمها

فقالت في تهكم: وانت تكلمها ليه تكونش هتاخد اذنها وتقولها اجيب امي معايا ولا لأ ولا يكونش البيت بيتها وأنا معرفش.

قال مدافعا : يا امي حرام عليكي، أنا بس هقولها عشان متتفاجأش

قالت في حنق: طيب كلمها وقولها امي هتيجي تقعد عندنا

قالت ذلك وهي تهم بالخروج فقال مستفهما: تقعدي فين؟!

نظرت له بتحفز وحدة: هروح اقعد مع ابني ف شقه ابني ولا تكون شرطت عليك متقعدش امك معاها!!

قال مستدركا: لا يا أمي، هي ماقالتش حاجه ، أنا بس اللي استغربت ، اصلك قاعده في الشقه هنا يعنيايه لازمه روحتك وقعادك هناك؟!

بامتغاض وغضب ردت عليه: وأنتى عايز تسبني هنا في الشقه لوحدي بعد ما هالة مشيت ، عايز ترميني لوحدي عشأن العروسه الجديده!

تصنعت الحزن والأنكسارفقام مهرولا نحوها يضمها : لا يا امي والله حقك علنا أنا مش قصدي، أنا بس مكنتش حاسب حساب لده كله ومكنتش مرتب اموري.

_وأنت ايه اللي محتاج ترتب امورك عشأنه ، أنا ركن صغير هيقضيني، أنا ست كبيره ايه الي هحتاجه اكتر من حد يطبخلي لقمتي ويغسلي هدمتي ولا هي هتزعل

من حاجه زي دي ، لو هسببلك مشاكل يا بني بلاش ، اروح اقعد عند اختك ف بيت الراجل الغريب اللي عمره ما اشتكي ولا كل مني.

شعر حسن بالتورط فقال باستسلام:خلاص يا امي روحي حضري حاجتك

قالت في حماس: كل حاجه محضراها ، قوم أنت بس اغسل وشك ويالا بينا

خرجت تسبقه بينما شعر هو بالدهشه منها ومن ذلك المأزق الذي وضع فيه.

شعرت ليلي بشيء خفيف يمر بجوار اذنها مارا برقبتها في رفق فتململت في فراشها وهي مغمضه العينين ولكنها ما لبثت أن شعرت بنفس الشيء ثانيه بجوار أنفها مداعبا ففتحت عينيها في بطء فوجدت وجهه الباسم يرقبها في حنان ، نهضت في لهفه وفرح غير مصدقه وهتفت بفرح : خالد ، ثم القت نفسها بين زراعيه ولفت زراعيها حول رقبته فلف زراعه حول خصرها وضمها في شوق اليه وهو يستنشق عبيرها وقال في شغف هامسا باذنها: ريحتك حلوه اوي

حركت رأسها في دلال على كتفه وهي تشعر بأمان افتقدته في بعده فقال مداعبا: للدرجة دي كنت واحشك؟!

ابعدت نفسها قليلا عن حضنه وهي تواجهه باعين دامعه : وحشتني اوي اوي

قال وهو يمر باصبعه على وجنتها في رفق ثم يمرره اسفل ذقنها المشقوق الذي يعشقه ثم قال: اكتر حاجه اتمنها أني ارجع البيت والاقيكي نايمه كده وافضل اتفرج علىكي واشم ريحتك اللي فضلت ملزماني لدرجه اني كنت بحلم بيكي كل يوم.

دفنت راسها في صدره وتشبثت زراعاها برقبته اكثر : وحشتني اوي ومحتاجالك اوي اوي، متسافرش وتبعد عني تاني ابدا، رنت ماتعرفش أنا كنت عامله ازاي وانت بعيد عني، كنت تعبانة اوي من غيرك، كنت تايهه وانت مش جنبي.

قال يمازحها: للدرجه دي الهرمونات كانت متلخبطه وأنا مسافر

ضربته بقبضتها في صدره وهي تتصنع الغضب فقال ضاحكا: خلاص خلاص ، حرمت، مش هسافر تاني وابعد عنك يا حبيبي ، أنا مقدرش على زعلك ولا على تعبك.

قال جملته الاخيره بلهجه خاصه ذات مغزي فعادت تضربه بقبضتيها متصنعه الغضب قائله بدلال: خلاص مش هتكلم معاك تاني

همت بالنهوض لتبتعد عنه لكنه جذبها من زراعها فجأه فسقطت بين زراعيه فانطلقت منها آهه خفيفه أثارته فبدي الشغف والهيام بعينيه لكنها قالت بدلال: اوعي كده، أنا مخصماك ومش هكلمك تاني ، مش كفايه طول المده دي متصلتش بيا

قال وهو يقترب بأنفاسه منها :متصلتش عشان اوحشك اوي كده وعان افاجئك لما ارجع كده.

قالت في دلال وهي تبعد وجهه عنها : اوعي ، أنا زعلانه بجد

قال وأنفاسه تداعب رقبتها في اشتياق: مينفعش تزعلى مني عشان انت عارفه أنا بحبك قد ايه وبعدين أنا قلتلك الروب ده قد ايه حلو عليكي ؟!

قالت بخجل وهي تضم الروب الي جسدها : لأ مقلتليش

فقال متصنعا الدهشه: معقول، يعني مقلتلكيش قبل كده ان الروب ده يجنن زائد ان لونه مثير اوي وإنه كمان قصير ومبين ....

وضعت يدها على فمه في خجل: بس بقي كفايه اسكت

فقال وهو يقبل يدها : أنا بس بستغرب اني مقلتلكيش انك حلوه اوي كده قبل كده

ضحكت في خجل فضمها اليه فقالت في حب وهي تهمس بشفتيها بقرب اذنه: بحبك اوي

قال وهو يزيح الروب عن كتفها: وأنا بحبك اوي

تمنى لو اتصل بها لكن نظرات امه المرتبه له جعلته يعدل عن فكرته حتى رحل إلى الجراش اسفل المنزل الذي تقيم فيه زوجته فطلب من امه النزول وانتظاره بداخل البنايه ريثما يصف سيارته، وبالفعلى نزلت لانتظاره وهي تتأمل البنايه من الخارج بينما حاول هو الاتصال ب لمياء كى لا تفاجأ بذلك الهجوم المفاجئ من والدته لكنها لم ترد فحنق على الحظ وخمن أنها لم ترد لأنها لا تتوقع اتصاله الآن خاصه وهو كان يبيت ليلته عندها ولم يرحل سوا منذ ساعات .

صف سيارته وهو يشعر بالحماقه لاخباره هالة بالحقيقه ، ماذا لو كان قد راوغ ، لو أنكر ، لو كذب احساسها واخبرها أنها فقط ضغوط العمل هي ما تبعده وأن ذلك الرقم لا يعرفه ، لو اسر على انكاره ما كانت تركت المنزل ولا وضع هو في ذلك المأزق .

عاد ليجد والدته قد نفذ صبرها وهي تنظر له بلوم قائله : هي دى العماره اللى ساكن فيها

اشاح بنظره عنها وقال وهو يطلب المصعد : ايوه يا ماما ومش عايز مشاكل لو سمحتى

بلوعه قالت : أنا يابنى بتاعه مشاكل ، انت من اولها كده هتيجى عليا عشانها ، هي سحرالك ولا ايه ؟ !

قال محاولا تهدأتها وانهاء الحوار: لا يا امى أنا مابجيش عليكى ولا حاجه أنا بس مش ناقص مشاكل كفايه اللى أنا فيه .

قالت وهي تدخل المصعد: انت اللى جبت ده كله لنفسك، يلا محدش بياخد غير نصيبه

فتح الباب بمفتاحه بعد أن دق الجرس ولم يجبه احد ، دلف إلى الداخل مناديا عليها بينما تبعته والدته وهي تتفحص المكان حولها ، لم تكن الشقه واسعه كشقه هالة لكنها مفروشه باثاث أنيق مرتب بعنايه ونظافه تليق بشقه عروس جديده .

وضع الشنطه من يده واتجه صوب حجره النوم بعد أن استأذن والدته لكنه لم يجدها بداخل وفجأه تناها إلى سمعه صوت شهقه عاليه اشبه بالصراخ فهرع إلى الخارج فوجد لمياء تتدسر بروب الحمام وتلف شعرها بالمنشفه في مواجهتها امه التي اخذت ترمقها من رأسها إلى اخمص قدميها .

بدت الصدمه جليه على وجه لمياء وهي تنظر إلى والدته في عدم فهم .

حاول استدراك الموقف قائلا : تعالى يا لمياء سلمى على ماما ماتخفيش

مصممت امه شفتيها قائله : ليه هو أنا بخوف ولا تكونش شافت بعبع

بدأت لمياء تتمالك نفسها من الصدمه ثم اقتربت منها وعلى شفتيها ابتسامه شاحبه

قائله بخفوت :اهلا وسهلا بيكى ياطنط ، معلش أنا اسفه أنا اتخضيت بس عشان مكنتش اعرف إن حضرتك جايه وبعدين يعنى عشان طالعه بالروب .

قالت ساميه في عواء واضح وهي تصافحها ، ده بيت ابنى واجى في أي وقت .

فأفترب منها حسن وقبل يدها قائلا : طبعا يا ماما وهو حد قال غير كده ، هي بس لمياء ماكنتش عامله حسابها واتفاجأت بيكى .

قالت في امتعاض : نهايته ، المهم في مكان عندكوا اقعد فيه ولا هفضل هنا في الصاله.

قالت لمياء في ود : لا ازاي اتفضلى حضرتك في الأنتريه من هنا .

رفعت ساميه حجبها في استنكار وهي تلوى شفتيها قائله : ليه وانا هنام في الأنتريه ولا ايه ، أنا عايزه اوضه اغير هدومى واريح جسمى شويه لحد ما الغدا يجهز أنا ست كبيره وعايزه ارتاح .

بدت البلاهه على وجه لمياء وعدم الفهم فاقترب حسن من والدته ممسكا بيدها قائلا : تعالى من هنا يا ماما ، الاوضه دى فاضيه وامسك الحقيبه بيده الاخرى وتقدمها بينما رمقت هي لمياء بنظره متحديه وخطت خلفه إلى حيث اشار .

امام صدمتها لم تجد سوى حجرتها تحتمى بها ودخلت واغلقت الباب خلفها وجلست على السرير وهي تلقى بمنشفه الشعر عنها بعيدا وهي تتمتم لنفسها : اهو ده اللى ماكنتش عامله حسابه ، هعمل ايه مع الوليه دى شكلها قرشانه اوى .

دخل حسن الحجره بعد أن ترك والدته بحجرتها التي بالطبع ابدت امتعاضها منها ولكنها ستقيم فيها مضطره .

نظر إلى لمياء فوجدها مازالت ترتدى الرو ب وتجلس ساهمه فاقترب منها في توتر وتحسب لرده فعلها ثم قال مداعبا : ايه يا حبيبتى مالك قاعده كده ليه ؟ رفعت اليه نظرها في حده وبدا الغضب مكبوتا في عينيها فجلس إلى جوارها قائلا في هدوء: معلش يا لمياء انتى عارفه ان هالة امبارح عرفت كل حاجه النهارده روحت لقيتها واخده هدومها والعيال وراحت عند أمها وطبعا مكنش ينفع اسيب ماما لوحدها .

قالت في انفعال : بس يا حسن أنا وافقت اتجوزك في السر وقلت ماشى ، على ضره وقلت مش مشكله بلاش احرمه من عياله لكن تجيب امك تقعد معايا في البيت ده كتير ، أنا لسه عروسه وملحقتش اتهنى .

قال حسن في اسى : اهو جوازنا مبقاش في السر والضره اللى بتقولى عليها مصره على الطلاق ، ايه المطلوب دلوقتى ، ارمى أمى في الشارع ، الاول هالة كانت شيلاها لكن دلوقتى سابت البيت اعمل ايه؟

اطرقت لمياء مفكره وهي تعيد حسباتها أنها اخطأت في البدايه عندما ظنت أن طلاق هالة منه سيجعلها تملكه اكثر وأنها بذلك تكون قد ازاحتها من طريقها لتستولى على كل شيء لكنه الأن يفاجئها بامه والتي تقيم معها شاءت ام ابت .

فكرت قليلا وهي تقيم وضعها وتعقد المقارنه بينها وبين هالة أنها ، إن اعترضت الآن على بقاء امه سيتركها ولن تستفيد شيء فهو على كل الاحوال يشعر بالندم الآن خاصه بعد فراق بناته اللاتى يعشقهن وبعد هجر هالة البيت لم يعد امامه خيار غير اللجوء إليها ، اذا فهي لا تملك سوى الرضوخ للامر الواقع مؤقتا حتى تعيد حسابتها.

رفعت وجهها اليه ورأت الإنفعال على وجهه فرسمت ابتسامه مصتنعه على شفتيها وقالت في حنان مصتنع : خلاص يا عم متزعلش نفسك ، هي مامتك مش زى ماما برضه ، خلاص تقعد معانا هنا وأنا اخدمها بعنيا هي ليها مين غيرنا خصوصا بعد ما مراتك سابت البيت وهتطلق .

بدا شاردا يفكر في امر هالة وشعر بألم في قلبه حين تخيل أنها فضلت الإنفصال عنه على البقاء بقلبه وفي حياته اخرى، اعتصره الالم حين فكر في ايناس وندى وذلك الطفل القادم الذي يمكن ألا يراه اذا ارادت هي ذلك .

افاق من شروده على لكزه لمياء وهي تقول بعتاب : بتفكر في ايه وأنا جنبك ؟!

فقال مبتسما : لا يا حبيبتى مفيش حاجه ، بس يلا غير هدومك واعمللنا الغدا رفعت حاجبيها في دهشه قائله : الغدا ، ليه هو احنا مش هنطلب دليفرى .

فقال في تودد : لا معلش اصل ماما مبتكلش اكل من بره ، معلش انتى بس اعملى أي حاجه سريعه كده ونقضّيها .

لوت شفتيها في امتعاض قائله في نفسها " شكلنا ابتدينا " ثم قالت : حاضر .

وضع قبله سريعه على وجنتها قائلا في حماس :خلاص أنا هنزل اروح العياده بعد ماتحضرى الاكل ابقى كلمينى .

خرج من البيت واغلق الباب خلفه وخرجت امه من حجرتها واتجهت نحو غرفه النوم ففتحت الباب فجأه دون أن تطرقه فانتفضت لمياء زعرا وهي تغطى جسدها بالروب الذي نزعته منذ لحظات ، تظاهرت ساميه بالاحراج قائله : معلش يابنتى لا مؤاخذه بس كنت عايزه اسالك الحمام منين

قالت لمياء في حده وهي تشير بيدها :عندك على ايدك اليمين .

فقالت ساميه في هدوء : شكرا يابنتى.

اغلقت الباب خلفها وقد اتسعت ابتسامتها وهو تقول في نفسها " اما طفشتك"

الفصل الخامس والعشرون

اتصلت ليلى بهالة تعتذر لها عن عدم مجيئها واخبرتها أن خالد عاد للمنزل من سفره لأنها لم تستطيع أن تتركه فقالت هالة متفهمه : لا يا حبيبتى مش مشكله خليكى مع جوزك وسلميلى عليه وقوليله حمد لله على السلامه .

ليلى : الله يسلمك وانتى خلى بالك من نفسك من اللى في بطنك متقلقيش نفسك مسير حسن يعرف غلطه ويرجعلك .

قالت هالة في اسى : والله يعرف غلطه ولا ميعرفهاش مبقتش فارقه أنا هطلق منه ، مبقتش طايقه اشوفه ولا اعيش معاه بعد اللى عمله .

قالت ليلى محاوله مواساتها : معلش يا هالة هدي نفسك ، ده كلام غضب وانفعال ومسير الميه ترجع لمجاريها وربنا يهديكوا ، المهم سلميلى على ايناس وندى وقوليلهم هحاول اجيلهم كمان يومين ولا حاجه .

اغلقت الهاتف وهي تشعر بالالم تجاه هالة وما اصابها وشردت قليلا حتى وجدت خالد خلفها ويلفها بزراعيه من الخلف قائلا : كنتى بتكلمى مين ؟

قالت وهي تضع يدها على يده الملتفه حولها : كنت بكلم هالة ، اصلها قاعده عند ماما

فقال متسائلا : ليه هو حسن مسافر ولا ايه وحماتها فين . افلتت نفسها من حضنه وحكت له كل ما حدث وبدا ذهوله واضحا وقال مستنكرا : معقول حسن يعمل كده ده اخر واحد اتخيل إنه ممكن يتجوز على مراته ، عارفه لو قولتيلى سامح كنت قلت ماشى هو طول عمره بصباص لكن حسن !!

قالت في تردد : انت مكلمتش عمو مش كده ؟

قال في استنكار وهو يتعجب من سؤالها : لا لسه مكلمتوش .

فقالت في تفهم : يعنى ماتعرفش ايه اللى حصل لدينا وانت مسافر ؟ !

اتسعت عيناه في دهشه واضحه متسائله ، فقالت في اقتضاب : سقطت وهتتطلق فقال في لوعه ودهشه : ليه ؟ تطلق عشان سقطت ؟!

اطرقت ليلى لحظه وهي تتردد أن كانت تحكى ام لا وإن حكت هل سيتفهم الامر ام سيتجنى على دينا كما فعل سامح ، لكن امام ترددها وخوفها أن يلتقى بسامح صدفه او يتصل به فيعرف الحقيقه منه كما يراها قررت اخباره هي وتوضيح الامور له

ولكنها بالطبع احجمت عن ذكر أي علاقه سابقه كانت بين دينا وياسر بالطبع لم تخبره أنها ذهبت للفيلا وذلك الصدام الذي حدث وخاصه وجود كريم معها .

بدا منفعلا جدا حين علم ما فعله بزياد وتمنى حقا لو يقتله واستنكر سذاجه سامح التي جعلته يشك بزوجته ويقرر تطليقها وهي المجنى عليها .

سكت برهة وعاد يسألها في عدم فهم : وانتى بتقوليلى مكلمتش عمو ليه هو يعرف ؟

فقالت : ايوه اصله اتصل بيا وكنت مع دينا في المستشفي وحكتله اللى حصل .

هز راسه في تفهم وان كانت الصدمه مسيطره عليه مما حدث لدينا وهالة ايضا .في المساء اتصلت ليلي ببثينه لتطمئن على شريف فاخبرتها أن حالته مستقره كما اخبرها الدكتور أنه لا يحتاج سوي للمواظبه على العلاج وأنه فقط ينتظر أن تستقر حالته ليسمح له بالخروج خشية أن يؤذي نفسه بعد تلك الصدمة التي يرفضها عقله في والده الذي كان احب إنسان الي قلبه ولم يكن له سواه.

اعتذرت ليلي عن الحضور واخبرت بثينة أنها ستحضر لتطمئن عليه

في المكتب جلس الدكتور مجدي يعتصر ذهنه لمعرفة هوية تلك المرأة والتي اخبرته أنها خالة شريف ولكنه دون جدوي فقد كان عصيبا على ذهنه أن يتذكر اين رآها ولكن سحب الملف الخاص بشريف واخذ يتطلع الي اسمها كاملا دون أن يوحي له بشيء لكنه فجأة كتب الاسم في خانه البحث الخاصه بالملفات لديه فلم يجد شيء فهم بمحو الاسم حتي ظهرت له نتيجه واحده للبحث فضغط عليها فوجد اسما واحدا لمريضه تدعي " عليا أحمد رشوان" ففتح الملف لتطالعه صورتها وما أن راها حتي تجسد الشبه امامه جليا وهنا ادرك ذلك الاحساس الذي لازمه بأنه رأها من قبل و بمراجعة سجلها المرضي وجد أنها من الشخصيات الانطوائية المصابة بحالة توحد و أنها عزفت عن الكلام منذ عدة سنوات وأنه طوال فترة مكوثها في المصحة والتي تزيد عن ثماني عشر سنة لم يأت لزيارتها سوي شخص يدعي"فهمي شريف" وهو زوجها وقد توقف عن زيارتها منذ زمن وعند تلك النقطة شهق مجدي من المفاجأة وشعر أن الخيوط تتضح اكثر امامه فما كانت تلك المرأة سوي والدة شريف وهي اخت بثينة التوأم لذا شعر بتلك الحيرة حين رأها و تأكد أنه رأها من قبل.

مضي يومان وهالة تمكث ببيت والدتها بين بكاء ندي الغير منقطع وشقاوة ايناس كانت تمضي يومها والحسره تاكلها والالم يحرق روحها فجلست والدتها قبالتها وهي تقول في اسف: وبعدين يا هالة هتفضلي على الحال ده لحد امتي؟!

اجابتها وهي تمحي دمعه خأنتها :يعني هعمل ايه يا ماما، اديني مستنيه اما توصلني ورقتي واخلص من القرف ده.

_انت فاكره أنك لما تطلقي هترتاحي وتخلصي، بالعكس دي المشاكل هتبتدي وبعدين بصي لبناتك وبصي للي في بطنك ، عايزه تحرميهم ليه من ابوهم

قالت في حده: يوه يا ماما، اعمل ايه يعني، عايزاني ارجعله واقوله أنا اسفه إني سبت البيت ومشيت ولاتفضل حضرتك روح اتجوز واعمل الي انت عاوزه.

_لا يا هابله مش عايزاكي تعملي كده، عايزاكي تبقي ناصحه ، ترجعي بيتك وترجعي جوزك ليكي وتحسسيه بالندم إنه سابك وبص لغيرك ، وتضغطي عليه بعياله تخليهم يشبطو فيه وميسبهوش ينزل من البيت، اهريه طلبت لحد مايعرف إن الله حق ووقتها هيحس انه مش قادر يلاحق على بيتين فيضطر يسيبها اللي لا رابطه بيها لا عيل ولا تيل

ردت بحنق: لا يا ماما ماينفعش ، انت عايزاني اعيش معاه عشان العيال ، عايزاني ادوس على كرامتي وافضل معاه بعد ما عرفت انه اتجوز عليا ، لا يا ماما كرامتي اهم عندي منه .

قالت في ضيق واستخفاف: خلاص خليكي قاعده كدة نوحي على جوزك اللي ضاع من ايدك وسبتيه لواحده تانيه تستفرد بيه وبعزه وانت قاعده تندبي حظك.

جلست دينا في الم الي جوار والدتها وقالت في اسي :والله ماما عندها حق يا هالة، اديني قدامك اهو ظلعت من المولد بلا حمص، لأ وكمان قاعده مستنيه ورقتي ولا حصلت بلح الشام ولا عنب اليمن .

ردت هالة: لا يا دينا انت وضعك مختلف انت مسبتيش سامح ، سامح هو ...

قالت دينا مكملة جملتها التي بترتها: كملي ، سامح هو الي رماني ومش عايزني، مش كده، عموما مش فارق كتير النهايه واحده، على الاقل انت معاكي ولادك يصبروكي وممكن يرجعلك عشانهم انما أنا لا عندي ولاد ولا ممكن احلم بده في يوم.

اتسعت عينا هالة في دهشه غير مستوعبه فقالت دينا في سخريه مريره موضحه: اصل أنا مابقتش أنفع تاني ، خلاص بح

بدت هالة غير مصدقه ومصدومه ونظرت لوالدتها تتقصي الحقيقه فوجدتها مطرقه في اسي ثم قالت مقاطعه حديثهما: أنا قايمه اعمل شاي .

فقالت دينا تستوقفها: رايحه فين يا ماما ، ايه مش عاجبك الكلام ولا ايه؟!، ولا تكونيش حسيتي بالذنب من ناحيتي بعد اللي حصل

نظرت لها أمها دهشه فقالت لها باستخفاف : عموما متقلقيش اللي حصل حصل ومبقاش ينفع الندم واللي خططتيله العمر كله خلاص بح

قالت في توعد: اتلمي يا دينا واعقلي، مش هعرف اوسع بالي عليكي اكتر من كده ،عماله اقول لنفسي معل شدي تعبانه ومصدومه من اللي حصلها دلوقتي تفوق لكن لأ اقفي عند حدك احسن والله اديكي على وشك

قالت تستفزها: وماله برضو ميضرش قال هيسخطوك يا قرد

قالت أمها بانفعال وهي تهم بضربها : لأ، ده انت عايزه تتربي فعلا

قامت هالة ممسكه بيدها قائله: يا جماعه استهدو بالله وصلو على النبي، خلاص يا ماما روحي شوفي كنت هتعملي ايه

قالت أمها في انفعال وهي تزيح يدها عنها: اوعي انت كمان بلا نيله، خلفة تقصف العمر.

ابتعدت أمها فجلست هي الي دينا محاوله احتواء المها ومواساتها لكن نظره الخواء واليأس التي كانت تطل من عيني دينا جعلتها تشعر بالشفقه عليها فضمتها في حنان وكلاهما تبكي ماساتها وتنعي حظها.

ترددت ليلي ان كانت تخبر خالد بامر شريف ام لا ، لكنها ارادت زيارته والاطمئنان عليه لذا عندما قرر أن يذهب لرؤيه والده اخبرته أنها ستذهب لتطمئن على شريف.

بدي الامتعاض على وجهه وسألها عما به فتلعثمت قلقيلا ولكنها لم تجد بدا من اخباره أنه مريض بالمشفي فبدي قلقه جليا وسالها عما به فاطرقت ساكته مترده لكن امام صمته هو الاخر قالت: كان عنده صدمه عصبيه حاده والدكتور قال يتحجز في المستشفي

بدي العناد على ملامحه وهو يسالها: صدمه عصبيه ليه، ايه اللي حصل؟!

قالت في نفاذ صبر: خالد مش وقته دلوقتي هبقي احكيلك بعدين دلوقتي ممكن ازوره؟

تعجب من طريقه ردها لكنه لم يملك سوي الموافقه وبالفعل اوصلها للمشفي والصمت يخيم عليهما طوال الطريق حتي وصلت وترجلت من السياره واخبرها أنه سيمر عليها بعد زياره والده.

دخلت الي غرفه شريف فوجدت بثينه تجلس الي جواره ممسكه المصحف بيدها وتتلو ايات من القرآن حتي راتها فصدقت، نظرت لها مبتسمه مرحبه ، جلست ليلي وهي تنظر الي شريف الذي بدي شاحبا ، شعرت بالاسف نحوه وتمنت حقا لو أن بيدها شفائه لكنها لا تملك من امرها شيئا.

نظرت لبثينه متسائله عن حاله فاخبرتها أن حالته مستقره الي حد ما لكنه ما ان يفيق حتي تنتابه حاله الهياج والبكاء الهستيري ويضطر الدكتور أن يعطيه المهدأ.

بدي ليلي اسفه وهي تنظر اليه ولكن مالبث أن نظرت لبثينه متسائله :ايه اللي تعرفيه وكنت عايزه تقوليه لشريف؟

سكتت بثينه برهة ولم تجبها فقالت ليلي: يا طنط لو سمحتي احنا همنا واحد احنا عايزين شريف يخف، قوليلي يمكن نقدر نساعده، انت خالته وبيثق فيكي

تنهدت المراه بعمق وكأنها تستعيد ذكريات سحيقه: لو شريف بس كان حكالي على مشاكله، لو بس كان اتكلم معايا وقالي على الي بيفكر فيه ، أنا طول الوقت ده محاولتش احكيله حاجه عن ابوه عشان كنت عارفه قد إيه كان بيحبه وكان اغلي حد في حياته ومحبتش اشوه صورته في ذهنه لكن مكنتش متخيله إنه طول الوقت بيعاني بسبب فكرته دي وانه متصور ان كل الناس جناه وان ابوه هو الملاك.

قالت ليلي في اسي: للأسف هو طول الوقت متخيل ان ماما هي اللي قتلت بابا ولما حكتله الحقيقه اتصدم ومرضيش يصدق ان بابا كان بيتعاطي مخدرات وهي سبب موته.

قالت بثينه بحزن: بس أنا يا بنتي مصدقه وعارفه إن امك مظلومه،

عليا الله يرحمها كانت بتكلمني وتحكيلي قد ايه كان مفتري معاها وكان بيضربها عشان ياخد منها فلوسها وبيعها دهبها عشان مزاجه وانه في مره ضربها لحد مسقطت وده كان قبل حملها في شريف ولما هددته انها تطلق منه قعد يبكي ويعتذر

ووعدها انه هيبطل وصدقته وقتها بس يا دوب رجعتله ورجع زي ما كان لحد ماولدت شريف وهي في العذاب ده وقالت تستحمل عشان الولد يتربي مع ابوه لكنه اتمادي لدرجه انه جاب صحابه البيت وفضلو يشربو لحد ما واحد منهم فقد عقله وحاول يغتصبها وقتها نزلت في نص الليل وسابت البيت واحتارت تروح فين.

سكتت بثينه قليلا وهي تلتقط أنفاسها بينما كانت ليلي تسمعها بقلب مكلوم واعين دامعه غير مستوعبه لكل ما تحكيه ، اكملت بثينه حديثها: لحد ما واحده من الجيران خدتها عندها لحد الصبح وفي الصبح اما فاق قعد يدور عليها زي المجنون ولما رجعت وحكتله مصدقهاش واتهمها في شرفها ، خوفها وهددها لو طلعت بره البيت تاني هياخد الواد ويحرمها منه وبعدها اتقطعت اخبارها عني وعرفت انها ماتت ، الله يرحمها ، فكرت اخد شريف اربيه لكن ابوكي رفض وطردني وعايرني بقله الخلف وقالي ان كنت عايزه عيال اتبني طفل من الملجأ ووقتها سافرت ومرجعتش الا من كام سنه لما بالصدفه عرفت ان ابوكي مات وقلت اعيش جنب شريف خصوصا ان مبقاليش حد غيره بعد موت أهلي .

ما أقسي الدموع التي تسقط في صمت خاصه عندما يعجز اللسان عن الكلام ، وقتها تشعر بأن روحك تحتضر في صمت وقلبك يذبل دون ارتواء.

هكذا كانت ليلي ودموعها تنهمر وهي تكادى لا تصدق أن كان ما تحكي عنه هو والدها الذي رسمت له رغم كل شيء صوره نقيه بمخيلتها ، ربما لم تكن مثاليه كما هو حال شريف لكنها بالتأكيد لم تكن علي هذا القدر من البشاعه.

ظل الصمت هو سيد المكان بينهما بينما استمرت دموعها حتي أعمت عينيها عن الرؤيه فمدت بثينه إليها يدها واحتضنتها وهي تنتحب من قسوه ذكرياتها والتي لم تحمل سوي الألم لعذاب أختها الوحيده ووفاتها مقهوره بينما ارتفع نشيج ليلي فقالت بثينه: معلش يا بنتي ، أنا اسفه والله ، أنا مكنتش عايزه اتكلم وفضلت ساكته المده دي كلها عشان مشوهش صوره راجل بقي في ذمه ربنا بس الظروف هي اللي اضطرتني .

شعرت ليلي بالاختناق فسحبت نفسها من الحجره مستأذنه في الرحيل، لم تشأ بثينه أن تضغط عليها فتركتها تهرب لعزلتها لتمتص صدمتها بينما نظرت هي الي شريف في الم وهي تتمني أن يقبل بالحقيقه ليشفي من اوهامه .

أخذت ليلي تجري في الرواق وكأن أشباح العالم تطاردها بينما لا تري أمامها من دموعها حتي كادت تصطدم بالدكتور مجدي فاعتذرت وهي تواري وجهها وهمت بالإنصراف لكنه اوقفها مناديا فاضطرت أن تقف فنظر إليها متفحصا ومتسائلا عما

ألم بها فاختنق صوتها وأزداد نحيبها فاصطحبها إلي مكتبه واعطاها كوب ماء لتهدأ قليلا ولكن شيئا لم يتغير فاعطاها قرص مهدئ وتركها تفرغ شحنتها من البكاء وهدأت روحها قليلا فسالها عما حدث لتكون هي بمثل تلك الحاله .

اطرقت في صمت فتركها دون أن يضغط عليها وهو يعلم أن تلك الحبه ستريحها وتدفعها الي أن تخرج ما بداخلها ، ظلت على صمتها فتره حتي خرجت فجأه عن صمتها وحكت له كل ما عرفته من بثينه عن والدها وكيف توفي ولاي سبب .

استمع إليها مجدي في صمت محنك وهو يدرس كل كلمه تقولها ويطابقا على ما توصل اليه منذ قليل صدفه عندما رأي وجه بثينه.

صمتت تلتقط أنفاسها بينما ظل عقلها في صراعه فما اقسي أن تنهدم صوره أحدهم في مخيلتك الي الحد الذي يفقدك الاتزان وينزعك مصداقيه حكمك على الاشخاص.

احترم صمتها المفعم بحديث لم تقله وفكر برهة قبل أن يتخذ قراره وفتح درج مكتبه وسحب ذلك الملف منه ووضعه أمامها قائلا في هدوء : اقريه

نظرت له دهشه ولكنها فتحت الملف وهي تمر بعينيها على الكلمات حتي وقفت أمام اسم والدها فأعادت النظر الي الاسم المدون في الاعلى والصوره المرفقه فاتسعت عيناها من الذهول وظلت تحدق بها دقائق وهي تعجز عن التعبير عن انفعالاتها.

قال في هدوء: الدوسيه ده لمريضه هنا في المستشفي من سنين وأكيد بعد ما قريتي اسمها واسم الزوج تقدري تخمني هي مين مش كده؟!

ردت بذهول: مش ممكن ، دي ماتت من سنين!

قال وهو يميل بكرسيه الي الامام: ده اللي كنتو فاكرينه او بمعني أصح اللي قاله ابوكي

قالت بعدم فهم : مش فاهمه، يعني هي فعلا عايشه؟!، ولما هي عايشه بابا قال ليه انها ماتت وجاب شريف ليه يعيش معانا ، أنا مش فاهمه حاجه.

قال وهو يسحب الملف من يدها: الصراحه أنا برضه مكنتش فاهم برضه السبب الي يخليه يقول على مراته ماتت ويحرم ابنه من امه ويحطها في مصحه نفسيه لحد ما قلتيلي دلوقتي الي حكتهولك بثينه واللي وضحلي الصوره كامله

نظرت اليه في بلاهه وهي تستجديه أن ينقذها من جهلها فقال بهدوء:انتى قلتيلي ان ابوكي ساب فلوس كتير باسم شريف مش كده؟!

اومأت برأسها أن نعم فقال: هو الواضح انه حطها في المصحة بعد حاله الاكتئاب اللي جاتلها بعد ما كان بيضربها ويحبسها في البيت زي ما بثينه قالت بس في نفس الوقت خاف على ابنه لحسن حد يعايره بأمه وانها مجنونه فقام طلع لها شهاده وفاه زي دي سهله بالرشاوي وفي نفس الوقت قدر يكون هو الوصي على شريف وياخد كل الورث بس لسوء حظه ان النيابه الحزبيه حصرت ورث شريف لوحده ومبقالوش حق الإنتفاع بيه لحد ما يبلغ سن الرشد ومكانش له غير ورثه بس يقدر يتصرف فيه وده كان من حظ شريف ان فلوسه فضلت متشاله لحد مبلغ السن القانوني واخدها.

قالت في دهشه: طيب هي ازاي مقالتش كل ده وازاي فضلت الوقت ده كله عايشه وهي طالعلها شهاده وفاه.

-المشكله انها فقدت النطق بعد ما جتلها حاله الاكتئاب وأخد منها ابنها ودخلها المصحه ، ده خلاها في حاله صراخ شبه مستمره ومكانش بينفع معاها غير جلسات الكهربا لحد ما يأست مع طول الوقت انها تخرج او تشوف ابنها تاني.

_طيب ازاي محدش عرف انها مش مريضه وان اللي كان عندها كان اكتئاب عادي

ابتسم في تهكم: مدام ليلي مشكله المرض النفسي ان ابعاده كتيره ومش ديما واضحه والاعراض بتتشابه مع بعضها وخصوصا لو المريض محدش مهتم بحالته زي الحاله دي لان والدك كان من مصلحته انها تفضل في المصحه عشان ياخد فلوسها وفي نفس الوقت خاف تحكي لحد على عمايله او تهرب بالولد بعد اللي عمله فيها ومش بعيد يكون دفع رشوي للشغالين هنا عشان ما يقولوش لحد على حاجه وعشان يكثفو جلسات الكهربا اللي خلتها فقدت النطق وخارت قواها تماما ويأست من المقاومه وخاصة ده كان اكتر علاج متبع وقتها.

اسندت ليلي رأسها على كفها وهي تشعر بطنين ألف طاحونه في رأسها ، ربما لو لم تأخذ قرص المهدأ لكانت قدانهارت الآن لفرط انفعالها.

لا تعرف كيف لعقلها أن يستوعب ذلك القدر من الصدمات المتتاليه ولا كيف يمكنها أن تتعامل مع هذا القدر من تعري الحقائق ولأول مره تشعر بالشفقه على والدتها وتلتمس لها الاعذار فما كانت هي اقل معاناه من تلك البائسه لكن حظها كان افضل منها.

رفعت رأسها في أسي قالت: هو أنا ممكن اشوفها يا دكتور؟

قال مفكرا: هو الامر مش هيفرق كتير ، هي مبتتعرفش على حد ومش مدركه لحاجه

قالت برجاء: معلش أنا محتاجه اشوفها بعنيا

_عايزه تتاكدي، خلاص مفيش مشكله تعالي معايا.

اصطحبها معه واخبرها أن تتعامل بهدوء معها وامام احدي الغرفات وقف ونادي على احد العاملين الذي هرع ليفتح الباب ودلف الي الداخل وخلفه دخلت هي.

تعجبت حين رأتها فلم تكن امرأه منكوشه الشعر رثة الثياب جاحظه العينين كما تخيلتها بل كانت امرأه عاديه يبدو النحول على يديها ووجهها بينما كانت عينيها ثابته غير زائغه، تقبع على السرير مثنيه الساقين تتأمل شيئا افتراضيا أمامها كبقعة ضوء ثابته لا تتحرك.

لاحظت ليلي الشبه الكبير بينها وبين بثينه وإن كانت عوامل المرض قد وضعت بصماتها على ملامحها فبدت اكبر سنا، اقتربت منها ليلي في ترقب وهي تنادي عليها باسمها فلم يبدو عليها اي تغيير أو أنها تسمعها فشعرت ليلي بالخوف ونظرت الي مجدي الذي أومأ لها برأسه مشجعا فاقتربت منها وقالت بصوت اوضح : شريف

ولأول مره وجدت المرأه تحرك رأسها في بطء وتلتفت نحوها فابتسمت وأعادت كرتها ولكنها فجأه أطبقت بيديها على رقبتها متشبثة بها وهي تزمجر بأصوات غير مفهومه.

الفصل السادس والعشرون

دق جرس الباب عده مرات في منزل سهير دون أن يجيب احد فنادت دينا على أمها ثم عليها فلم تجد اجابه فاضطرت أن تتحامل على نفسها وخرجت من حجرتها وهي تتعجب فسمعت صوت ندي وصراخها فعرفت أن هالة مشغولة بها بينما ظل تعجبها وهي تبحث بعينها عن والدتها دون أن تجد لها اثر ففتحت الباب وهي تخمن أنها ليلي لكنها صدمت حين رأت ياسر أمامها ، شعرت بالاضطراب وفي لا وعي اخذت تعدل وضع خصلات شعرها المبعثره فقال في ارتباك: أنا آسف اني جيت من غير معاد بس تليفونك مقفول وقلقت عليكي

قالت محاوله اخفاء ارتباكها : لأ محصلش حاجه ، اتفضل.

سمحت له بالدخول وهرعت الي حجرتها وهي تلعن هذا الحظ الذي جعلها تفتح الباب وهي ترتدي تلك الملابس الباليه ودون اي زينه على وجهها ، عدلت من شعرها وبسرعه غيرت ملابسها وزينت شفاهها ببعض احمر الشفاه ربما لتضفي عليها بعض النضاره التي افتقدتها.

في هدوء خرجت اليه وجلست قبالته وهي تشكره على مجيئه بينما في عينيها يرقد عتاب دفين قرأه في صمت فقال بأسف: معلش الفتره اللي فاتت مقدرتش اجي اطمن عليكي، ساره كانت تعبانه ومكنتش قادر اسيبها لوحدها.

قالت في لهفه: بعد الشر عليها ، ليه مالها!!

اخبرها بهدوء أنها اصيبت بنزله معويه جعلتها تتقيء باستمرار بينما عزفت عن الاكل مما جعلها تفقد وزنها بسرعه وعلا وجهها الاصفرار فاضطر أن يحتجزها الدكتور في المشفي ويعلق لها المحاليل.

بدي قلقل حقيقي على وجهها وهي تشعر بالقلق الحقيقي تجاه الصغيره لكنه اخبرها أنها اصبحت بخير الآن ، ساد صمت رتيب بينهما حتي قطعه بتردد وهو ينظر لها بترقب : سامح ماتصلش بيكي الفتره اللي فاتت ؟!

أطرقت عند ذكر اسمه وهزت رأسها نفيا فقال : يبقي ماعرفتيش اللي حصل ، زياد سحب فلوس كتير من حساب سامح تقريبا الرصيد كله وهرب وسامح ماييعرفش راح فين.

فقالت في ذهول :وازاي يسحب الفلوس ديه كلها ؟ فقال : سامح كان عامله توكيل من فتره تقريبا من ساعة مشروع بورسعيد هو اللي كان بيشرف عليه زي ماكانوا متفقين

وطبعا سامح كان مأمن له وعمله توكيل عشان أجور العمال والخامات وبعد مالمشروع خلص نسي يلغي التوكيل فاستغل هو سفر سامح الفتره الي فاتت بر مصر وسحب الرصيد كله وهرب .

بدا الذهول سيدا للموقف ومسيطرا عليه فقال مقاطعا صمتها: أنا كنت فاكرك هتفرحي!! قالت بتفكير :بصراحه ابقي كدابه لو قلت اني زعلانه لكن في نفس الوقت مش فرحانه، تقدر تقول مصدومه اصل سامح حريص ومش سهل يضحك عليه.

قال ياسر في حدة : الي يصدق في مراته أنها تخونه من غير دليل سهل جدا يضحك عليه في فلوس

اطرقت في خجل وقبل أن تتكلم وجدت الباب يفتح ودخلت والدتها تحمل بعض الاكياس بيديها، وضعتهم بجوار الباب وهي تنظر اليه بحنق فقام لتحيتها فحيته في اقتضاب هي تتجه نحو المطبخ ، شعر بضيقها فنظر الي دينا قائلا : معلش واضح أن والدتك اتضايقت لما لقتنا في البيت لوحدنا .

قالت في حده: لأ احنا مش لوحدنا هالة وولادها جوه وبعدين أنا مش صغيره وأعرف احمي نفسي كويس ومش محتاجه حد يحميني.

قال مستأذنا : معلش أنا لازم أمشي دلوقتي، مش عايز اسببلك مشاكل.

هم بالانصراف بينما ودت لو يبقي اكثر فهي لم ترتو منه بعد لكنها لم تقل شيئا واتجهت صوب الباب فوقفت تودعه في نفس اللحظه التي دق فيها جرس الباب فامتدت يدها تفتح الباب في آليه فصدمت حين رأت سامح أمامها وتسمرت في مكانها وهي تنقل نظرها بينه وبين ياسر الذي يقف خلف الباب وكأن بين ماضيها وحاضرها فقط يقف ذلك الباب كفاصل تتمني عبوره ، في هدوء خطي الي الداخل وسط دهشتها واغلق الباب خلفه فتلاقت نظراتهما بينما وقفت بينهما هي حائره لا تدر من أمرها شيئا.

لم يدر ياسر ماذا يمكنه أنّ يفعل ، هو بالفعل كان على وشك أن يرحل فهل يرحل الإن متظاهرا بعدم رؤيته أم يظل ليواجهه ويعرف لما أتي.

في تلك الاثناء كان سامح يرقبه واحاسيس شتي تتداخل وتتلاعب به ما بين غيرة وندم واعتذار ، كان مضطربا حقا لكنه اخيرا تمالك غضبه وقال في حياديه عاني في تقمصها : ازيك يا ياسر ، أخبارك إيه.

هم ياسر بالرد لكن دينا قالت بحده: انت جي هنا ليه ، في حاجه نسيت تقولها في المستشفي وجي تقولها هنا.

في تلك اللحظه ظهرت والدتها وهي تنهرها قائله : دينا، ايه الكلام اللي بتقوليه لجوزك ده.

ثم قالت في ود: اتفضل يا سامح يا بني البيت بيتك.

أمام ترحاب والدتها لم يجد ياسر سوي الانسحاب واستأذن ليرحل ، همت دينا بايقافه لكنها لم تشأ أن تثبت الشكوك على نفسها متمنيا خاصه اما سامح فصافحته

وتركته يرحل بينما خفق قلبها خلفه مناديا فما عادت تشعر بالامأن سوي بجواره ، لكنها لا تملك من امرها شيئا فما زالت هي زوجه لآخر.

قالت أمها في حده مقاطعه تفكيرها : اعملي حاجه لجوزك يشربها.

نظرت لها دينا في حنق ثم جلست في هدوء امامه قائله في برود : أنا مقلتلوش يتفضل عشان اضايفه.

همت أمها بنهرها لكنه قال في تسامح: معلش يا طنط سيبيها تقول اللي هي عايزاه وتعمل اللي نفسها فيه ، أنا غلطت في حقها وجي اعتذرلها.

حدجته دينا بنظره استخفاف وقالت : حضرتك بقي عرفت انك غلطان في حقي امتي ، لما زياد سرق فلوسك وهرب بيها .

رمقتها أمها بنظره ناريه بينما أطرق هو وقال في استكانه وألم : أنا ظلمتك يا دينا سامحيني ، الغضب عمي عنيا عن الحقيقه وصدقت كلامه وقتها لكن ربنا خدلك حقك وجازاني ، سامحيني.

سكت لحظه ثم أكمل : وبصراحه بعد ما هرب زياد أنا سألت الشغالين اللي اكدولي ان هو اللي اداهم اجازه في نفس اليوم اللي ....

قطع حديثه فقالت مكمله في مراره وحنق : في نفس اليوم اللي حاول يغتصبني وسقطت مش كده؟!

اطرق ساكنا ولم يحر جوابا فقالت أمها محاوله احتواء الموقف : معلش حصل خير واهو ربنا بين الحق ونصفك وانت كمان يابني استغفر ربنا وكل حاجه ترجع زي ماكانت قال في حماس ناظرا الي دينا :فعلا يادينا كل حاجه هترجع زي الاول .. اوعدك، أنا عارف اني ظلمتك وان من حقك متسامحينيش بس صدقيني أنا اتغيرت وندمان على الي عملته معاكي ، اديني بس فرصه اثبتلك فيها اني اتغيرت ونبتدي من الاول والبيبي الي راح يتعوض وربنا يكرمنا بغيره.

نظرت له باسي وقالت والدموع في عينيها: يتعوض؟!! انت بتهزر،انت فاكر ان دلوقت كل حاجه ممكن تتصلح ، اسفه ياباشمهندس فات الوقت.

قال في ندم واستجداء: دينا ارجوك اديني فرصه ، ماتقسيش علنا كده،أنا عارف اني ظلمتك كتير،ظلمتك لما خنتك ولما صدقت اللي اتقال عليكي.

قامت دينا في غضب هادر والدموع تكسو وجهها: بعد ايه،بعد ماكل حاجه راحت بعد ماابني ضاع ومبقاش فيه امل اخلف تاني بعد ايه.

قامت أمها في حده قائله : خلاص يادينا الكلام ده ممنوش فايده، ديه اراده ربنا هو ذنبه ايه.

(ذنبه ايه.. واراده ربنا؟!! ولا ارادتك انتي)ردت دينا في نهيار ثم نهمرت في بكائها، تدخلت هالة في تلك اللحظه بعد ان اضطرت للخروج من حجرتها بعد سمعت حوارهما قائله : خلاص ياماما كفايه كده ثم اكملت في هدوء موجهه حديثها الي سامح .. باشمهندس سامح لوسمحت حضرتك ممكن تتفضل دلوقتي، الوضع مش مستحمل ، سيبها دلوقتي لحد ما تهدا.

وقف سامح مندهشا مما سمع مذهولا من انهيارها هي التي اعتادها قويه لم يتخيل ضعفها الي هذا الحد،لم يتخيل مدي جرحها ولا الي اي حد ظلمها.

خرج وهو يعلن غباءه الذي جعله يصدق زياد ويلعن الحظ الذي ساق لبني في طريقه فجعله يصدق زيف حبها وانطلت خدعتها عليه حتي فقد زوجته وامواله.

هرع مجدي نحو ليلي يخلصها من بين يدي عليا التي امسكت برقبتها وهي تزمجر فبدت ليلي في موقف لا تحسد عليه بعدما تشبثت المرأه بها ورفضت أن تتركها وبعد عذاب استطاع مجدي تخليصها واعطي المرأه ابره مهدأه امام نظرات ليلي الخائفه الباكيه.

في الخارج كان القلق يعصف بخالد حين اعاد اتصاله للمره الرابعه دون أن يجد اجابه منها فحسم امره وقرر أن يدخل لإحضارها بعد أن ساورته الشكوك وتلاعبت به الظنون.

سأل عن حجره شريف فدلته الموظفه المسئوله عليها لكنها اخبرته أنه غير مسموح له بالدخول ، احتقن وجهه غضبا وزفر في حده وانتوي افتعال مشكله من قلقه عليها لكنه ما لبث أن رآها في أخر الرواق تتحدث الي احدهم لم يميزه من بعيد فتملكته الغيره وتقدم نحوهما .

تفاجئت ليلي برؤيته وودت سؤاله عن سبب مجيئه لكن الغضب المرتسم على وجهه جعلها تمتنع عن سؤالها وردا على نظرته الصارمه المتسائله قامت بتعريفه على دكتور مجدي ثم استأذنت في الرحيل.

ما أن ابتعدا خطوات خارج المشفي حتي امسك زراعها في عصبيه وسألها بانفعال : ممكن اعرف فين موبايلك ومش بتردي ليه وايه اللي اخرك كل ده ، أنا ملطوع ليا ساعه هنا .

نزعت زراعها من بين يديه في ألم قائله: خالد سيب دراعي انت كده بتوجعني .

ثم القت نفسها بين زراعيه وهي تبكي بانهيار قائله من بين دموعها : خالد عشان خاطري متسألنيش عن حاجه دلوقتي ، أنا مش قادره اتكلم ، ضمني في حضنك بس واحميني واعدني انك مش هتسيبيني مهما حصل وهتفضل جنبي .

أمام انهيارها الذي بدي جليا في دموعها لانت ملامحه وخف غضبه وضمها الي حضنه في قلق حقيقي، يعلم جيدا رقه احساسها وهشاشه قلبها لكنه لم يعتدها يوما بمثل هذا الضعف والانكسار.

ود حقا معرفه ما حدث وسبب بكائها لكنها في ذعرها وخوفها لم تكن لتحكي عن شيء فقط ارتمت بين احضانه في خوف وألم ، اصطحبها الي السياره وانطلق الي المنزل وهو يشعر بالقلق من انهيارها ودموعها، في صعوبه غيرت ملابسها ودخلت لتأخذ حماما دافئا لتزيح عنها همومها بينما كان هو بالخارج يتملكه الخوف عليها مما دفعه لطرق الباب عده مرات ليطمئن عليها ،

خرجت وهي تشعر بوهن شديد يكتنفها حتي كادت أن تسقط فالتقفها بين ذراعيه وهو يضمها الي قلبه في حنان وخوف وحملها الي الحجره.

وضعها في فراشها وهم بالخروج ليتركها ترتاح لكنها كطفل صغير تشبثت به وقالت في خوف ووهن : خالد لو سمحت ما تمشيش ، خليك جنبي أنا محتاجلك اوي.

ضمها إليه في قوة وهي تتشبث به وأخذ يربت على رأسها ويقبلها في حنان مطمئنًا : متخافيش أنا هنا جنبك و طول ما أنا موجود متخافيش من أي حاجة ولا من أي حد .

انكمشت في حضنه أكثر وحاولت تناسى ألمها وتنهدت في عمق وألقت برأسها على زراعه في اريحيه حتى غلبها نعاس آمن افتقدته في بعده .

فما أجمل أن ترتمى في حضن من تحب فتشعر بالآمأن وتتساقط عنك أحزانك ومخاوفك.

ناداها في رفق فلم تجبه فأيقن أنها نامت خاصة بعدما سمع نفسها المنتظم فظل في جلسته تلك لا يتحرك خشية إيقافها حتى غلبه النعاس فنام جالسًا وهي تتوسد زراعه ويضمها بالأخرى حتى الصباح .

بدت مندهشة حين أتاها صوت ساميه في الهاتف ، لا تعلم ان كانت تفرح ام تحزن حين سمعت صوتها ، قالت في هدوء تسألها عن حالها : ازيك يا هالة عامله ايه وعاملين إيه البنات . أجابتها هالة من بين ذهولها : كويسين الحمدلله ، انتِ عامله ايه؟

أجابتها ساميه : أنا كويسه ، المهم اسمعينى كويس، أنا الفترة دى عايزاكى تفضلى عند أمك ومترجعيش الشقة خالص ولو حسن كلمك مترديش عليه انت فاهمانى .

تملكت الدهشة هالة وقالت أنا أصلاً مش راجعه البيت تانى ، أنا اللى عندى قولتهوله ، ومستنيه ورقتى .

قالت حماتها في حماسة : يا غبية اسمعى الكلام ، أنا مش قولتلك هرجعهولك يبقى تصدقينى ، بس اصبرى شوية وزى ما قولتلك مترديش عليه دلوقتى خالص ومتديهوش ريق واعملى نفسك مصره على الطلاق ومترجعيش الشقة دلوقتى، فاهمانى .

همت هالة بالإعتراض على كلامها وتوضيح الأمر لها أنها فعلاً لا تود ذلك ولا تدعيه لكنها لم تمنحها فرصة وقالت في عجلة : معلش اقفلى دلوقتى وسلميلى على البنات

لم تمهلها فرصة للرد وبالفعل أغلقت الهاتف وسط ذهول هالة ونظرتها المتعجبة إلى هاتفها حتى قاطعتها أمها متسائلة في استنكار : مالك واقفه كده زى الهبله في ايه !

قالت هالة بصوت واهن: مش عارفه ، حماتى كلمتنى وقالتلى كلام غريب كده مفهمتش حاجة .

سألتها أمها في اهتمام عما قالته لها فأخبرتها فبدا التفكير العميق على وجهها وقالت بتمعن : ما هو حاجه من الاتنين يا إما الست دى صدقت ما انك طلعتى من البيت ومصره على الطلاق فقالت فرصة اخلص منها وافرح بعروسته الجديدة وتجيبها في شقتك وتوفر على ابنها يا إما حاجة تانية لو صدقت تبقى ست مجابتهاش ولاده وبتحبك بجد .

قالت هالة في اهتمام وفضول : حاجة تانية ايه ؟

قالت أمها في شرود : انها تكون نوت تطفش الثانية وراحت تقعد عندها طبعاً وانت أدرى منى بحماتك وعمايلها خصوصاً وهي واثقة ان حسن مش هيقدر يزعلها أو ييجى عليها عشان متأكدة انه بيحبها وبيخاف من زعلها .

قالت هالة في شرود : هو كلامك ده صح خصوصاً ان قبل ما اعرف بجوازه ده حصلت حاجه كده نسيت احكيهالك .

فنظرت إليها أمها متسائلة في اهتمام عما حدث فحكت لها هالة عن زيارتها لذلك الرجل المنجم كما كانت تسميه وإصرار حماتها أن تذهب معها لينقذها من تلك الزوجة التي لم تكن تعلم بوجودها ، نظرت لها أمها في لوم قائلة : وانت يا هبله مسمعتيش كلامها ليه ومشيتى وراها طالما قالتلك انه هيخلصك منها .

قالت هالة في امتعاض : يا ماما ده دجال وبيضحك علينا عايزانى اروحله ليه .

قالت أمها في استخفاف : بلا خيبة ، قومى قومى شوفي عيالك وسيبى الموضوع ده لحماتك طالما حطيته في دماغها يبقى هتطفشها بس ادعى ما تكونش ضرتك دى واعية وقرده وإلا هتكسب حماتك ووقتها انت اللى هتطلعى من المولد بلا حمص .

قامت هالة في انفعال قائلة : أنا مبقاش فارق معايا ، أنا عايزه اتطلق وبس .

مصمصت أمها شفتيها في استنكار قائلة : هبله طول عمرك ، روحى شوفي وراكى ايه وشوفي أختك دى كمان صحيت ولا لسه نايمه من امبارح .

قالت هالة في ضيق : لأ صاحيه بس مش عايزه تتكلم مع حد فقالت أمها في ضيق : أهي دى كمان حالتها حاله ومحيرانى معاها يعنى حتى الراجل لما جه عشان يرجعها وعرف غلطه طردته وقعدت تهبل في الكلام وقالتله على حكاية خلفتها ، طب كانت استنت لما ترجع البيت وتبقى تقوله مش تقوله من دلوقتى ؟ أهو مش راجع تانى .

قالت هالة في انفعال : أنت عايزه ايه يا ماما ، عايزاها ترجعله عادى كده بعد اللى عمله فيها ده كله بعد ما اتهمها في شرفها وكمان عايزاها تخبى عليه ليه ؟

قالت أمها في امتعاض : ما هو جه واعتذرلها متكبرش الموضوع وتلم نفسها وترجع بيتها ولا عاجبها قاعدتها كده وحوار الخلفة ده كانت قالتله بعدين بعد ما النفوس تهدى مش رايحه تقولهاله في وشه كده ، يالا نهايته أهو نصيب ومحدش بياخد اكتر من نصيبه

في تلك اللحظة خرجت دينا من حجرتها بعد أن سمعت كل الحوار الدائر بينهما وفي هدوء قالت لأمها : خلاص يا ماما متقلقيش ، أنا هرجع البيت أنا كلمت سامح وزمانه جى (ياخدنى) ، نظرت لها هالة في ذهول بينما بدا الفرح على وجه والدتها وقامت واحتضنتها قائلة عين العقل يا حبيبتى ، عين العقل ، ارجعى بيتك مع جوزك وهدى سرك .

ابتعدت عن حضنها في برود قائله موجهه حديثها لهالة : ممكن تساعدينى ألم حاجتى ؟!

اتجهت هالة معها نحو حجرتها ومازال الذهول يعتريها وحين أغلقت الباب خلفها قالت لها في ذهول وحيرة ، انت فعلاً هترجعى البيت ؟!

قالت دينا في لا مبالاة وهي تلملم أغراضها : أمك عندها حق ، مينفعش أخسر كل حاجة أنا لازم أرجع عشان أخد حقى وإلا أبقى غبية .

امسكتها هالة في عنف مجبرة إياها أن تواجهها قائلة : حق ايه اللى بتتكلمى عليه ، انتى بتفكرى ف ايه بالظبط يا دينا ، أنا مش مطمنه .

قالت دينا في استنكار وسخرية : ليه مش مطمنه بقولك راجعه بيتى مع جوزى ايه يقلق في كده !!.

نظرت لها هالة بشك قائلة ، مش عارفه مش مطمنه كلامك يقلق وموقفك اللى اتغير بين يوم وليلة وحاسه وراه إنَّ .

قالت دينا في سخرية : لا إن ولا كان ، لمى الحاجة معايا سامح زمانه جى .

****

الفصل السابع والعشرون

(لو عرفنا النهايات لتجنبنا كثير من البدايات رغم روعتها)

كانت لمياء قد هلكت تماماً من كثرة الأعمال المنزلية التي تكلفها بها ساميه خلال ساعات الفطار بعد نزول حسن لعيادته من التاسعة صباحاً وهي لم تذق طعماً للراحة دون أن تجد فرصة للاعتراض ، بين أعمال المطبخ والمنزل والتنظيف شعرت بقواها تخور حتى أصبحت الساعة الخامسة أطلقت سراحها فقط لاقتراب عودة حسن من العيادة .

ألقت بجسدها في إعياء على السرير وهي تمنى نفسها بلحظات راحة قبل أن تأخذ حماماً لتستعد لزوجها وتتزين له قبل عودته ولكنها رغماً عنها غلبها النعاس وهي في وضعها حتى حضر حسن دون أن تشعر بقدومه وما ان دخل المنزل حتى هرعت إليه ساميه تستقبله بوجه بشوش وابتسامه بريئة فقال لها متسائلاً وهو يدير عينه في الشقة باحثاً : أومال فين لمياء ، قالت أمه في شفقة : والله يابنى من الصبح نايمه ومش راضيه أصحيها لحسن تكون تعبانه ولا حاجه ، روح شوفها أهي يا دوبك صحيت عملت الأكل ونامت تانى .

شعر حسن بالقلق والدهشة ثم ما لبث أن دخل حجرته فوجدها نائمة بملابس المنزل العادية المتسخة على غير عادتها في التزين والتعطر له ، هزها في رفق فلم تستجب فعلى من صوته فقامت فزعه من نومها فلم تكن قد ارتاحت بعد ، سألها مقطباً عما جعلها تنام هكذا ورائحه الطبيخ تكاد تفوح منها فقالت في آسف : معلش ملحقتش استحمى واغير اتهلكت في المطبخ من الصبح .

قال باستنكار : اللى يسمعك يفتكر انك من النجمة في المطبخ مش نايمه اليوم كله .

قبل أن تجيب أو تعلق قال : قومى سخنى الأكل أنا جعان وعلى أخرى .

لم تجد فيها طاقة للمجادلة فقامت في صمت وهي تلوم نفسها على نومها هكذا ودخلت المطبخ لتسكب الطعام ووضعته على السفرة وجلست منتظره حضوره وجلس فلم يجد امه فقال مقطباً : أومال ماما فين مناديتهاش ليه ؟! .

قالت في براءة : والله ناديتها وهي اللى قالت مالهاش نفس .

نظر لها في عتاب ثم قام إليها فحضرت معه فنظر إلى لمياء في ضيق دون أن يعلق فأدركت أنها أوقعت بينهما كعادتها وكعادته صدقها .

ومجرد أن وضعت أول لقمة في فمها حتى تفلتها في استياء قائلة : إيه ده مزوده في الملح كده ليه ، ده كده هيجيلنا الضغط .

وبالفعل لم يتحمل حسن أن يبتلع الطعام وتفله أيضا وهو ينظر لها في ضيق : إيه ده الأكل غرقان ملح .

تذوقته في دهشة وهي تتساءل كيف حدث ذلك منها وهي تتذكر جيداً أنها لم تضع هذا القدرمن الملح قالت ساميه في انفعال : يعنى ايه قصدك انى حطيت ملح في الأكل من وراكى ، طيب وهستفيد ايه مانا هاكل منه برضه وبعدين دى فلوس هتترمى في الزباله ودى نعمة ربنا تفتكرى هعمل كده مثلاً عشان أضايقك .

قامت من على الأكل وهي تفتعل الغضب فلحق بها حسن يستعطفها ويسترضيها بعد أن نظر إلى لمياء في غضب جم اشعرها بالخوف منه .

بعد محاولاته العديدة في ارضائها ذهب إلى لمياء في حجرتها والتي أخذت تبكى وهي تنعى حظها فوقف قبالتها بوجه غضب والإنفعال بادى عليه قائلاً : بصى أنا قلتلك قبل كده أمى دى خط أحمر وأساليبك دى مش هتخيل عليا ،انت تعتذرى لماما دلوقتى حالاً .

قامت في غضب قائلة من بين دموعها : يعنى هي اللى غلطانه فيا وعملت ده كله تضايقنى في الأخر أنا اللى أعتذرلها والله أنا ما حطيت الملح ده في الأكل حتى قال حسن في تحذير ونفاذ صبر : بصى يابنت الناس ماما فضلت عايشه مع (هالة) اكتر من ٣ سنين وصحيح كانوا بيشدوا مع بعض على شوية حاجات تافهه بس عمر ما حصل بينهم اللى بيحصل ده ولا في يوم هالة غلطت في ماما ولا حاولت توقع بينى وبينها زى ما بتعملى فأحسنلك انك تبطلى حركاتك دى وتيجى تعتذريلها حالاً .

شعرت لمياء بالظلم والإكسار لكن امام انفعاله وعضبه لم تجد مفر سوى أن تذهب إليها وتعتذرلها فقامت ساميه وهي تتصنع الود أمام حسن وضمتها قائله : وأنا مش زعلانه منك ، ده انت مرات ابنى يعنى زى بنتى تمام والمسامح كريم .

ابتسم حسن وأنفرجت أساريره بعدما رأي ذلك الود المصطنع من أمه والتمس رضاها عنه وعن زوجته بينما تملك لمياء الحنق واندفعت إلى حجرتها باكيه فنظرت ساميه إلى تصرفها بدهشه وهي تشهد حسن عليها وقالت : ربنا يهديهالك يابنى .

شعر شريف أنه تحسن كثيراً عن زى قبل وابتسم حين رأي بثينه إلى جواره وهي تمسك بمصحفها وتقرأ فيه بخشوع بصوت عذب ، انتبهت له فصدقت وابتسمت في

وجهه وهي تسأله عن حاله . تململ في فراشه محاولاً النهوض فساعدته حتى اعتدل في جلسته وأدار عينه في المكان فقالت بابتسامه : كانت هنا مبارح ومشيت جوزها رجع من السفر ومكانش ينفع تبات .

بدا الامتعاض على وجهه فقالت وهي تربت على يده في حنان : شريف ياحبيبى في حاجات كتير لازم تعرفها ، انت مكانش لازم تخبى عليا من الأول كل اللى جواك ده ، كان لازم تحكيلى ، ظلمت نفسك وظلمت كتير وياك وانت قافل على نفسك ومش عايز تفهم الحقيقة .

قطب شريف جبينه قائلا بعدائية ، حقيقه ايه ، الحقيقة الوحيدة أنا شفتها بعينى وبقلبى ، شفتها في طفولتى وفي حرمانى من أبويا اللى اتقتل قدام عنيا وأنا ساكت وخايف أتكلم

قالت بثينة في رفق : اهدى يا شريف احنا مصدقنا انك بقيت أحسن .

هنا دخل دكتور مجدى الذي ابتسم حين رأي شريف وقد تحسنت حالته فجلس إلى جواره يسأله عن حاله ثم مال في جدية : بص يا شريف أنا عارف اللى انت مريت بيه مش سهل بس لازم تساعدنى عشان تخف ، لازم تتخلص من كل الأوهام اللى مسيطره عليك ، لازم تواجه خوفك وتواجه الحقيقة حتى لو كنت رافضها من جواك .

التزم شريف بصمته وأشاح بوجهه بعيدًا وبداخله بركان يغلى فنظر مجدى إلى بثينه ثم خرج بينما كان قلبها يدق في انفعال من تلك الخطوة القادمة التي لا تدر كيف سيكون تأثيرها عليه ولا (كيف) سيتقبلها وازداد انفعالها أكثر حين تخيلت أنها ستلقاها فجأه هكذا بعد كل تلك السنوات، بدأ قلبها يدق في عنف وهي تتمنى أن تتمالك نفسها وألا تنهار خاصة أمام شريف .

تململت ليلى في نومها وهي تشعر بثقل في رأسها أثر بكائها الليلة الماضية ، فتحت عينها في بطء وهي تقطب جبينها بعد أن ضايقتها أشعة الشمس المتسللة في خفة من خلف ستار شرفتها نظرت حولها فوجدته يرمقها بوجه مبتسم وشعرت بزراعه تحت رأسها تؤلمه من نومها وحرك هو يده في بطء وهو يشعر بالتنميل يسرى فيها وكأنها فقدت الحراك نظرت في شفقه ودهشه قائلة : انت فضلت حاطط دراعك تحتى من بليل .

ابتسم قائلا في مزاح : آه يا ستى شفتى ، خلاص ايدى ورمت ومبقتش قادر احركها ، امسكت زراعه في حب وأخذت تدعكه بيديها وهي تقول بأسف : معلش والله ما أخدت بالى وماحسيتش بنفسى لما نمت ، طيب مسحبتش دراعك من تحتى ليه .

قال بحب : عشان خفت تصحى وشكلك كان تعبان أوى فصعبتى علىَّ اصحيكى

امسكت يده بين يديها وقبلتها في حب وامتنان فمرر يده على شعرها وهو يسألها : عامله ايه دلوقت

_ الحمدلله ، يالا بقى عشان تروح شغلك انت اتأخرت أوى وأنا هقوم أحضرلك الفطار ،همت بالقيام من السرير لكنه أمسك يدها ونظر في عينيها محاولاً سبر أغوارها فأطرقت فقال وهو يرفع ذقنها باصبعه لتنظر إليه بحنان: ليلى أنا مش عايز اضغط علىكى بس مش فاهم ايه اللى بيحصل وايه اللى خلاكى تنهارى مبارح حاسس ان في حاجة كبيرة حصلت وأنا مش عارف حاجه ومش قادر أخفف عنك

أمسكت يده وهي تربت عليها في حنان قائلة في ود متخافش عليا أنا كويسه ، كل حاجه هتتعدل بإذن الله ، متشغلش بالك انت .

هم بالإعتراض لكنها قاطعته قائله وهي تنهض من السرير ، يالا قوم غير هدومك واتشطف على ما أحضرلك الفطار بسرعه عشان متتأخرش .

نهض هو الآخر وألف شيء يعتمل بداخله ، ود حقاً معرفه ما حدث معها او بالأحرى مع شريف حتى جعلها منهاره إلى هذا الحد ولكنه لم يشأ أن يضغط عليها وقرر أن ينتظر حتى تأتى وتخبره من نفسها .

زفر في حدة محاولاً ايداع مخاوفه جانباً وقام ليغتسل ويستعد للنزول لعمله .

كان سامح يجلس بالصالة وهو محاط بحب سهير واهتمامها بينما كانت دينا تستعد للمغادرة بوجه بارد وسط دهشة هالة التي حاولت فهمها دون جدوى ، حاولت هالة الشعور بالفرحة لعوده أختها لمنزلها لكن شيئا بداخلها أخبرها أن هناك أمراً ما وأن عودة دينا لن تكون هانئة كما تتمنى .

خرجت دينا إلى سامح بعد أن أعدت حقائبها' فنهض حاملاً الحقائب وودع أمها وهالة. طوال الطريق لم تنطق دينا بكلمه واحده بينما كان سامح يختلس النظر إليهما بين الحين والآخر وهو يتساءل بين نفسه عن سر صمتها وعما تفكر به.

قال في ابتسامه حاول أن تكون ودوده بأكبر قدر ممكن : ساكته ليه ؟ موحشتكيش؟!

نظرت إليه نظره باردة لا تحمل من المشاعر شيئاً ثم عادت تنظر أمامها في صمت ، فالتزم صمته حائراً لا يدر كيف يذيب جبل الجليد الذي بناه بينهما بحماقته وطيشه

حقاً يشعر بالندم والأسف لكن شعوره وحده لا يكفي لكى تسامحه فقرر أن يفعل جهده ليستعيد حبها الذي لم يشعر به إلا في البعاد كعادة كل الأشياء الجميلة لا نشعر بقيمتها إلا بعد أن نفقدها وتظلل سحابة الفقد على أنفسنا فيبدأ الندم.

وصلت باب الفيلا وتقدمته وهي تتأمل أركانها وكأنها تركتها منذ زمن ، بخطى بطيئة خطت نحو السلم ووقفت أسفله وهي تشعر بألم في أمعائها حين تذكرت سقوطه المرير والذي قضى على أجمل احلامها .

التفتت إلى سامح الذي وضع يده على كتفها مبتسماً في سماجة قائلاً : حمدلله على السلامة نورتى الفيلا.

نظرت له نظرة خاوية ثم صعدت السلم في برود وتقدمت نحو حجرة مجاورة لحجرة نومها وقالت له في صرامة :أنا هنام هنا خلى حد يجيبلى الشنط في الأوضة دى .

ود الإعتراض لكن موقفه لا يسمح وقرر أن يتركها على راحتها حتى تلتئم الجراح ويشفي قلبها فيعود لنبضه الدافئ الذي افتقده .

دخلت حجرتها وأغلقتها خلفها في حدة وهي تشعر بفيضان المشاعر واضطرابها يكتفها ، لم تكن لتسامحه بتلك البساطة التي يتخيلها ، جلست على السرير وبرأسها ألف فكره وبعينيها نظره حاده صارمه تعرف جيداً ما تريد وتسعى إليه دون أن تشعر بشفقة أو رحمه نحوه ، هكذا قررت وذلك ما انتوت منذ أن وافقت على الرجوع معه إلى الفيلا ، انه الإنتقام فقد مات ولن يشفي جراحها سواه ، لذا فلينم هنئ الجفن تلك الليلة فغداً ستبدأ قصة جديدة معه لن يكتب سطورها سواها بينما وحده من سيتحمل العقاب .

كانت لمياء قد كلت بل فاض بها الكيل مما تفعله بها ساميه كل يوم خاصه وهي لا تملك الإعتراض بعدما خبرت مكانتها بقلب حسن وعرفت كيدها جيداً لكنها لم تعد تتحمل حين تعلق الأمر بتدخلها الزائد فيما ترتدى وما تأكل شعرت وكأنها سجينه في بيتها ذلك الذي حلمت أن تجعله مملكتها الخاصة وخططت بصبر وتأن حتى يؤول إليها حسن وكل ما يملك، لم يكن مصادفة أن تجد هالة رقم هاتفها عنده وتلك الرسائل الملتهبة التي بعثتها له ، كانت تعرف جيداً ماذا تريد وتنتظر في صبر تلك

الخطوة التي ضمنت أن هالة ستقدم عليها و لكن ما لم تخطط له ولم يأت في بالها هومكوث والدته في نفس البيت ، ربما كان سهلاً عليها " تطفيشها " لو لم تكن هي بمثل هذا الدهاء ، ولأن الهجوم خير وسائل الدفاع بدأت ساميه هجومها بمكر ولم تدع لها فرصه للفكاك.

دائمة الشكوى هي بينما تحتفظ المرأة بثباتها فهي تضمن أن حسن لن يفرط فيها وذلك ما دفعها للتمادى أكثر .

انتظرته ذلك اليوم في ضيق شديد وإصرار أن تضع حداً لتدخلها الزائد في شؤنها وافتعال المشاكل معها بينما جلست ساميه على مقعدها المفضل كعادتها بصادرة المنزل وانتظرت هي الاخرى قدوم حسن وبمجرد دخوله ارتسم الحزن على محياها ونكست رأسها كالمغلوبة على أمرها وقالت في آسى : حمدلله على السلامة يا بنى ، كويس انك جيت دلوقتى .

بدا القلق على وجه حسن الذي قرأ الحزن في كلماتها وعلى وجهها فاقترب منها في حنان وجلس بجوارها وهو يقبل رأسها متسائلاً عما بها فقالت وهي تتظاهر بمحو دموع وهمية بعينها وبصوت واهن قالت : أنا يا بنى ست كبيره ومش حمل البهدلة ، أنا تودينى شقتى أقعد فيها واعيش اليومين اللى فاضلينلى في هدوء سر إن شالله أكل طوب بس أعيش بكرامتى .

قال في دهشة : ليه بس يا أمى ايه اللى حصل لده كله ؟.

قالت في تأثر : يا بنى أنا مش عايزه أنكد علىك كل شويه بهمى وبشكاويه ، أنا سيبنى أروح شقتى وأهو أختك ربنا يهدى جوزها ويخليها تطل عليا كل شويه وتشوف طلباتى .

قال في انفعال : وليه طول ما بيت ابنك مفتوح انت قاعده فيه ومحدش يتجمل علىكى ولا تحتاجى لحد طول ماأنا على وش الدنيا ، قوليلى بس إيه اللى مضايقك .

قالت وهي تشيح بوجهها : خلينى ساكته أحسن ، أنا مش عايزة أعملك مشاكل مع مراتك انت مش ناقص كفايه اللى انت فيه وتعبك في شغلك كتر خيرك .

قال في عصبيه ونفاذ صبر وهو يزفر : يا أمى ريحينى وقوليلى ايه اللى حصل .

قالت ببرائه : أبداً مراتك بقولها بلاش العريان اللى انت لابساه عشان الشبابيك مفتوحه والناس شايفاكى قامت مبجحه فيا وقالتلى انت متدخليش في اللى مالكيش فيه أنا في بيتى أقعد براحتى وألبس اللى على مزاجى أنا حرة .

نهض حسن وقد تملكه الغضب وأعمى عينيه فاتجه من فوره إلى حجرتها دون أن يلتفت إلي ندائها الواهي ومحاولتها المصطنعه لتهدئته .

فتح الباب في حدة وصفعه خلفه فوجدها تجلس على طرف السرير في تحفز وترتدى قميص بيتى عارى الصدر وقالت وهي تقف في قبالته والعصبية تنضح من ملامحها ويدها تضعها بخصرها : ها عديت على الست والدتك خلاص خدت منها التقرير وشحنتك ضدى وبخت سمها في ودانك .

صدمت حين شعرت بكفه ترتطم بوجهها في عنف وغضب هادر في صوته كصوت الرعد : احترمى نفسك وانت بتتكلمى عن أمى ، أنا قلتلك أمى دى خط أحمر مش هسمحلك تتجاوزى ولا انك تقللى من احترامها ولا تضايقيها أيا كان السبب انت فاهمة .

كانت قد بدأت تستوعب صدمتها حين نظرت له بغضب وقالت في صوت أشبه بالصراخ : انت بتضربنى عشانها من غير حتى ما تسمعنى ، من غير ما تعرف عملت ايه .

قال وهو يصيح بوجهها محذراً : أولا توطى صوتك وانت بتتكلمى معايا ، ثانيا اللى بيحصل أنا شايفه بنفسى قدام عيونى مش محتاج حد يحكهولى ، واضح انك نسيتى انت مين وان شغل الحوارى اللى انت متعودة عليه مينفعش هنا وان ده بيت محترم

قالت في حدة : الحوارى اللى مش عاجباك دى انت حفيت عشان أسيبها وأرضى أتجوزك وعشان بحبك وافقت ورضيت بضرة ورضيت بيك رغم فرق السن اللى بينا لكن تيجى تتكلم على احترامى لأ مسمحلكش انت فاهمنى .

اقترب منها وامسكها من زراعها في حدة آلمتها قائلاً : أنا مش عايز أعلى صوتى ، انت عارفه كويس جداً انك آخر واحده تتكلم عن الاحترام ولا نسيتى رحلة شرم لو ناسيه أفكرك كنت بتتلزقى فيا إزاي ولا اللبس اللى كنتي بتلبسيه قدام اللى رايح واللى جاي ومش هامك ، أنا مش عارف إزاي كنت مغفل وقدرتى تضحكى عليا بالشكل ده ووقعتينى في حبالك لحد ماتجوزتك وخربتى بيتى وحرمتينى من عيالى

قالت في استهزاء وهي تفلت زراعها من يده : دلوقتى بقيت ندمان وبقيت أنا مش قد المقام الله يرحم أما كنت بتلف ورايا وسوقت عليا طوب الارض عشان ارضي اتجوزك ، نسيت ولا أفكرك ، خلاص دلوقتى بقيت غلطة وندمان عليها ، دلوقتى بقيت أنا اللى خربت بيتك وبعدتك عن بناتك مش هم دول اللى كانوا رابطينك بالهم

اللى كنت متجوزها واللى مكنتش طايقها وقلتلى ضفرى برقبتها ، خلاص كل ده اتنسى .

قال في ندم : كنت غبى يوم ما افتكرت انى ممكن أبعد عنهم واتجوزتك وافتكرت انك تنفعى تبقى انسانة محترمة تستاهل تشيل اسمى .

قالت بطريقه سوقيه : لا والنبى ، قال اسمك قال ،عموماً ياسيدى الغلط مردود وأنا ليا أهل يترد عليهم بس يكون في علمك أنا حقى ميروحش أبداً لا تكون فاكرنى زى الهبلة اللى كنت متجوزها وهعيطلى حبتين وارجع على بيت أهلى وأقولك طلقنى وأسيبلك الجمل بما حمل، لا فوق لنفسك واعرف انت بتتكلم مع مين وبالنسبه للقلم اللى ضربتهولى ده هيبقي حسابه عسير .

قال في حده وانفعال : لمى هدومك وامشى اطلعى بره حالاً .

وضعت يدها في خصرها وضحكت باستهزاء : لا ياحبيبى مش أنا اللى اطلع بره انت اللى تطلع بره وتاخد أمك معاك ، الشقة دى بتاعتى ومكتوبه باسمى ولا نسيت !!

نظر لها بدهشه وهو لا يصدق إلى أي حد انخدع فيها، خرج وصفق الباب خلفه وأخذ والدته بعد أن لملمت أشياءها أمام نظراتها المستفزة ورحل من المنزل وهو لا يكاد يستوعب صدمته ويتذكر هالة وعيناه تفيض بالدموع وقلبه يعتصره الألم من ظلمه لها وتفضيله لتلك الحقيرة عليها بينما التزمت أمه صمتها وبداخلها لم تكن تتوقع أن يحدث كل ذلك فبرغم من أنها كانت المرة الوحيدة التي لم تكلم لمياء فيها لكنها كانت القاسمة فقد تساقطت كل أقنعتها وبدا وجهها الحقيقى الجشع وبدا غرضها الوحيد من تلك الزيجة التي خرجت منها بربح لم تتخيله بحياتها ولكن الخوف مما هو آت .

****

الفصل الثامن والعشرون

دخل مجدى غرفة شريف ومن خلفه دخلت عليه وبجوارها أحد الممرضين والذي كان متأهباً لأي ردة فعل عنيفه قد يتخذها ، نظرت إليها بثينه بتأثر وبدأت الدموع تكسو مقلتيها بينما لم يبدو أي تأثر على علِيّا ، اقتربت منها بثينه في هدوء وهي تبعد كرسيها بعيداً وتنظر لها بعد أن وقفت قبالتها ومسحت دموعها وقالت بتأثر : عليّا انت مش عرفانى .

لم يبد أن علِيّا تسمعها أو تتعرف عليها فأمسكت بثينه بيدها واحتضنتها بين يديها ثم وضعتها على قلبها في انفعال فتابعت علِيّا ما يحدث بنظرة خاوية لا تنم عن شيء فقالت بثينه وهي تغالب عبراتها وأمام نظرات شريف التائهه : أنا بثينه يا علِيّا ، أنا أختك .انتفض شريف من جلسته وهو غير مستوعب لما يجرى حوله فوضعت بثينه يديها حول وجه علِيّا وهي تقول بصوت باكى : بصيلى كويس ، مش فاكرانى ، ده إحنا كنا روح في جسمين فاكره يوم جوازك لما سافرتى وسيبتينى دى كانت آخر مره أشوفك فيها وقعدتى تبكى ومكنتيش عايزه تسافرى ، فاكره ، فاكره الجوابات اللى كنتي بتبعتيهالى على طول و تحكيلي عن جوزك وعن شريف ابنك .

اتسعت عينى شريف دهشة وهو يكاد لا يصدق شيئاً مما يقال بينما ولأول مره بدا على علِيّا أنها تسمع بثينه وأدارت إليها وجهها وركزت عينيها عليها فهزت بثينه رأسها وقالت : ايوه يا علِيّا أنا أختك بثينه وده شريف ابنك ، شوفي كبر إزاي .

أدارت علِيّا رأسها إلى حيث أشارت بثينه حتى وقعت عيناها على وجه شريف المصدوم بسمرته التي اكتسبها من والده بينما زرقة عيناها التي ورثها منها ، اقتربت علِيّا من شريف الذي وقف حائرا لا يدر من أمره شيئا ، في بطء رفعت يداها تتحسس وجهه في صمت بينما كانت دقات قلبها ترتفع وتتسارع وبدأت أنفاسها تنهج وتصدر منها زمجرة وغمغمات غير مفهومه فتأهب الممرض أن يحملها خارج الغرفة لكن توقف بإشارة من يد مجدى الذي يرقب الموقف عن قرب

لم يدر شريف بما يشعر لكن جل ما يعرفه أن الزمن توقف عند لمسات تلك المرأة الغريبة تتحسس وجهه ونبضات قلبها التي علت حتى كاد أن يسمعها وهو واقف بين يديها كصنم بلا حراك .

نظرت بثينه في قلق إلى دكتور مجدى الذي بدا قلقا أيضا من ردة فعل شريف فقال مقاطعاً صمتهما : دى والدتك يا شريف ، كانت عايشه كل المدة دى ، مش هتسلم عليها .

ثم أكمل موجهاً كلامه لعلِيّا : ايه يا عليّة مش هتحضنى ابنك ، موحشكيش بعد العمر ده .

لم يبدو أنها سمعته لكنه رفع نظره إليه في دهشه وابتعد عنها خطوة إلى الخلف وفي ذهول قال : أنا أمى ماتت من سنين والست دى أنا معرفهاش ومشفتهاش قبل كده .

قال مجدى في هدوء : لكن دى الحقيقة والست دى والدتك ولو مش مصدقنى اسأل بثينه وممكن نشوف الأوراق كمان اللى تخصها واللى مضاها والدك بخط ايده يوم ما حطها في المصحة وهي في كامل قواها العقلية وقال انها ماتت وحرمها منك وحرمك منها .

في تلك الأثناء وقبل أن يعلق شريف على ما قاله حتى يعترض كانت عليّة قد سقطت أرضاً منهارة في حالة بكاء هيستيرية وزمجرة واضحه عنيفه تخرج منها فأسرع ذلك الممرض يحملها وهي تقاومه بكلتا يديها وتتشبث بقدم شريف في استماتة وفي عنف حاول إبعادها عنه فتشبثت بقدم شريف أكثر وفي تلعثم قالت : ش .. شريـ .. شريف .

ثم أخذت تصرخ ودموع بثينه لا تتوقف دهشة وألم عليها وحسرة على حالها .

كل ذلك وشريف مكانه لا يقوي على الحراك حتى حملها الممرض وسط صراخها وخرج بها من الحجرة ، تابعها شريف بعينيه وهي تخرج من الحجرة وظل نظره مثبتاً على ذلك الفراغ الذي خلفه وراءها بعد خروجها وإلى ذلك الباب الموصود الذي أغلق خلفها وكأنه يستجديه أن يعيدها إليه ثانية وألا يغلق بينهما هكذا بمثل ذلك العنف .

اقتربت بثينه منه وهي تلمس ذراعه في رفق وتربت عليه متسائله : شريف انت كويس ؟! نظر إليها شريف بأعين خاويه متسائلاً : مين الست دى يا خالتو ؟

بكت بثينه وهي تقص عليه كل ما حدث منذ تزوجت أختها والده وذلك الظلم الذي عانته حتى لحظة اكتشافها أنها على قيد الحياة ، كل ذلك وشريف يسمعها بوجه خإلى من المشاعر وكأن ما حدث يخص أحداً غيره ، كان مجدى يرقبه عن كثب وهو يستمع إلى بثينه حتى انتهت من حديثها دون أن ينطق بكلمة وأطرق ساكتاً فنظرت بثينه إلى دكتور مجدى في قلق فقال مجدى في هدوء : الأوراق اللي تثبت كلام خالتك عندى في المكتب قال شريف في هدوء مقاطعاً لكلامه : هو أنا ممكن أشوفها

انفرجت أسارير مجدى وابتسم قائلاً في تفهم : طبعاً ممكن ، اتفضل معايا .

همت بثينه أن تصحبهما لكن مجدى أشار لها بالبقاء فامتثلت لأمره على مضض بينما اصطحب شريف إلى حجرتها ووجدها تقبع على سريرها والدموع تنهمر من عينيها حتى وجدت شريف يقف بجوار سريرها فرفعت عينيها إليه فلم تصدق نفسها واتسعت ابتسامتها التي ضلت طريقها إلى وجهها منذ سنوات وربتت على بقعة مجاورة لها على سريرها اشارة أن اجلس فنظر شريف إلى مجدى الذي أومأ له أن يستجيب لها فجلس بجوارها فأخذت تمرر أصابع يدها بين خصلات شعره في حنان ثم فجأة جذبته إلى أحضانها في قوة وكشفت عن صدرها بغية إرضاعه فابتعد من قبضتها فزعاً وهي تزمجر بصوت عالى محتج وتنطق اسمه بنفس اللعثمة فاقترب منها مجدى محاولاً السيطرة عليها وتغطيتها ولكن دون جدوي افلتت نفسها منه وقفزت محتميه بشريف ومتمسكه بزراعه تنظر الي مجدي بريبه.

شعر شريف بدوامه تبتلعه فنزع ذراعه منها وهرول خارجا من الحجره وهي تصرخ خلفه ومجدي يحاول السيطره عليها بينما ابتعد شريف وبعينيه الف دمعه وبقلبه الف جرح يأبي الإندمال.

في تلك الاثناء كانت ليلي تستمع الي بثينه وهي تحكي لها كيف كان اللقاء بين شريف وعليه، لم تدر ان كانت تفرح ام تحزن ، تطمئن ام تقلق فصمته كان مريبا وغير معهودا فلربما لو ثار أو بكي لتفهمته لكن بصمته هذا آثار حيرتها وخوفها لكنها لم تكن لتطمئن اليه خاصه بعد تحذير دكتور مجدي لها ، كان عليها الابتعاد قليلا لتمنحه قدر من المسئوليه وتهيؤه للابتعاد عنها فضلا عن التصاقه المرضي بها.

ربما الامر لم يكن سهلا عليها خاصه وهي تشعر بالمسئوليه نحوه وذلك الالم الذي يعتريها وهي تشعر بمأساته دون أن تكون بجانبه لكنها كبحت نفسها وقاومت رغبتها في رؤيته في تلك اللحظه املا في شفائه، أنهت المكالمه وهي تشعر بيد قويه تعتصر قلبها فلم يكن الامر سهلا عليها فكيف الحال معه هو الذي سكن والده منه مكانة مقدسه لا يسمح لأحد بلمسها ولا يقبل بتدنيسها فكيف سيصدق ما سيقال له وكيف سيتعامل معه.

زفرت في حنق وضيق ودعت الله أن يمر ذلك اليوم بسلام.

قامت رحاب في حماس مرحبه بخالد الذي لم تره منذ فتره طويله وبدي الشغف في نظراتها وهي تراه بعد تلك المده فسألته عن حاله وعن عمله وعن سبب تلك الغيبه الطويله التي لم تعتدها منه فاخبرها بامر سفره الفتره الماضيه ثم قال محاولا تغير

مجري الحديث الذي اتخذ منعطفا شخصيا حين سالته عن سفره وعن زوجته : ايه اخبار الطلبيات ، أنا ليا فتره مش متابع ومش عارف الدنيا عامله ازاي ولا الدوا بيتكتب ولا لاء ؟

قالت في ابتسامه واثقة : اطمن الدوا شغال والمبيعات عاليه وحتي لو الدكتور مش بيكتبه وكتب بديل أنا برضو بطلع الدوا بتاعك .

ابتسم لها في امتنان فتشجعت وقالت بلهجة خاصه : طيب يا دكتور ، ممكن بمناسبه رجوعك بسلامه اعزمك على الغدا بره اصل بابا مسافر وأنا برجع كل يوم اتغدي لوحدي .

حاول الاعتراض لكنها قاطعته : مفيش لكن ، عشان خاطري ، النهارده بس بليز .

شعر أنها حاصرته بالزاويه وأنه لا يملك الفكاك فوافق على مضض واستحياء فاردفت في لهجة خاصه : خلاص اتفقنا وكمان ليك عندي خبر بميلون جنيه هقلهولك واحنا بنتغدي هو بخصوص ليلي مراتك .

اثارت كلماتها فشرد مفكرا فضحكت في دلال وتؤكد على موعد الغداء فانصرف لينهي عمله ريثما يحين الغداء بينما كان عقله منشغلا فيما قالت .

اندهشت ليلي حين علمت بعودة دينا هكذا فجأه الي بيتها ولكن تبدلت دهشتها الي غضب حين اخبرتها هالة أنها لم تبد سعيده بعودتها تلك وأنها ربما فقط هربت من ضغوط والدتها التي كانت تمارسها كل يوم .

اعطت هالة الهاتف لوالدتها لتكلم ليلي التي ما ان سمعت صوتها حتي كالت إليها كل التهم وحملتها مسؤليه ما حدث لدينا منذ وافقت على زواجها بسامح من الأساس .

ردت أمها في برود متداعيه البراءه : وأنا مالي هي اللي خدت قرارها ولقيناها بتقولنا فجأه أن سامح جي ياخدها من غير اي مقدمات.

قالت ليلي في صوت متهدج من فرط انفعالها : ما هي ماعملتش كده غير بعد ما ضغطتي عليها وسممتي بدنها بكلامك وتقطيمك رغم انها مغلطتش ف حاجه، حرام عليكي بتعملي كده ليه هي مش بنتك.

قالت سهير في حده:ما هي عشان بنتي عايزه مصلحتها مش عايزاها تعيش عيشتي، مش عايزاها تعيش محرومه من الخلفه ومن العز كمان.

ردت ليلي :وانت فاكره انها لما ترجعله دلوقتي هتبقي مرتاحه، هي مرجعتش بمزاجها ولا حتي سامحته على اللي عمله وربنا يستر من اللي مخبياهولنا الايام الفتره اللي جايه .

قالت في حده: مالكيش دعوه انت بيها وهي تعمر، خليكي في عيشتك دي اللي مترضيش حد، غاويه فقر، فاكره الحب بيأكل عيش اليومين دول ، خليكي مع خالد لحد متموتي من الفقر .

اغلقت ليلي الهاتف وهي تشعر بالحنق الشديد تجاهها ،كانت متأكده من كره والدتها لخالد لكن ماذا لو اخبرتها عما فعل من اجلها، فقط لأنه يحبها قرر أن يضحي بابوته واختار أن يحرم من الذريه ليعيش فقط بجوارها، هل تفهم ذلك الحب ، هل يتفهم قلبها تضحيته ومعاناته تلك فقط من اجلها.

اجهشت في البكاء وهي تتذكر مأساتها واخذت تنعي حظها حتي ضاق صدرها واظلمت الدنيا أمامها فتوجهت لربها تبثه همها في صلاه طويله وسجده خاشعه اجهشت فيها ببكاء اغرق سجادتها دموع وهي تبتهل الي الله أن يجيرها في مصابها الذي كسرها وناء قلبها بحمله وطوت سجادتها وهي تشعر براحه كبيره وسلام داخلي .

أفاقت من شرودها على صوت هاتفها فقامت في تثاقل وهي تعلم أن المصائب التي تنهمر عليها ليس لها حد تلك الايام.

في البدايه توقعت أن تكون بثينه هي المتصله ولكنها وجدتها دينا فسألتها في حماس ولهفه عن حالها فردت دينا بصوت مفعم بالبرود: أنا بخير ، أنا رجعت الفيلا ماما قالتلك؟!

قالت ليلي في عتاب: ايوه قالتلي واستغربت ومش عارفه ازاي عملتي كده!

قالت في لامبالاه: مش مهم ده دلوقتي، أنا بس كنت عايزه اعرف انت معاكي رقم شريف او عنوانه؟

ارتفع حاجبا ليلي في دهشه وصمتت برهة تستوعب ما سمعته قبل أن تجيبها: ايوه عندي ، انت عايزه حاجه منه ؟!

قالت في تردد: لا ابدا، أنا بس كنت عايزه اطمن عليه واساله على حاجه كده

اجابتها ليلي: اه بس هو في المستشفي ومش هيخرج دلوقتي.

_مستشفي،ليه؟!

لم تدر ماذا عساها أن تقول ولكنها في حزن قالت: تعبان شويه والدكتور قال افضل يتحجز في المستشفي وماعتقدش حالته دلوقتي تسمح يقابل حد.

ساد صمت ثقيل بينهما ، لم تشأ ليلي أن تخبر دينا شيئا عن حالته فهي تعلم أنها لن تتفهم الامر بينما شعرت دينا باحساس غريب لاول مره بحياتها ولا تدري كنهه ربما شفقه ، حب ، خوف، لم تستطع التمييز لكن جل ما عرفته أنها تتمني رؤيته والاطمئنأن عليه فقالت بخجل: طيب ممكن لما تروحيله تاخديني معاكي كنت عايزه اشوفه.

ابتسمت ليلي في تفهم: حاضر هبقي اقولك المهم دلوقتي قوليلي انت عامله ايه مع سامح؟

_ولا حاجه ، عادي ، كل واحد في حاله لحد ما النفوس تصفي

شعرت ليلي أنها لا تود الحديث اكثر فلم تشأ أن تضغط عليها فأنهت المكالمه وقد زاد قلقها عليها خاصه بعد أن سمعت نبره صوتها المتألمه تلك.

دخل حسن شقته القديمه وهو يتمني أن يجد هالة في استقباله ويجد ايناس تجري نحوه متشبثه بقدميه كما كانت تفعل فيحملها في مرح لكنه كان سرابا بعيدا فزفر في حنق واخذ يجول بعينيه في الارجاء وكأنه يتشمم رائحتها في المكان ، وقفت امه الي جواره وهي تربت على ذراعه في حنان: وحشوك؟!

قال في الم وحنين: اوي يا ماما ، أنا مش عارف ازاي عملت كده في هالة ولا ازاي فرطت في عيالي وهدمت بيتي بايدي وبعنادي.

قالت مواسيه: خلاص يابني متشلش هم اللي اتكسر يتصلح وان شاء الله كل حاجه ترجع احسن ما كانت ، انت ارمي حمولك على ربنا وهو مش هيخذلك .

قال في رجاء: يارب، بس أنا خايف ان هالة تصر على موقفها وعلى الطلاق، أنا جرحتها وهددتها كمان ان هاخد منها العيال وفوق ده كله مراعتش انها حامل وانها تعبانه.

قالت امه في ثقه محاوله طمئنته: متخافش سيب الموضوع ده عليا وأنا هتصرف بس اهم حاجه تخلص من التانيه دي وتقطع صلتك بيها نهائي.

قال في اسي: أنا لو طلقتها هتاخد الشقه عشأن باسمها ده غير اني كاتب على نفسي مؤخر كبير.

نظرت له بحنق وعتاب :كاتبلها الشقه ومؤخر كبير؟!ده انت مغفل بجد واضحك عليك كمان، ليه

ان شاء الله كانت بنت مين عشان تعمل كل ده عشانها.

قال في انفعال: اعمل ايه،أهو اللي حصل ، كنت مغفل وحمار كمان بس اللي حصل حصل ومافيش فايده من الندم دلوقتي.

زفرت في غيظ: يالا نهايته، اللي ييجي في الريش بقشيش، المهم انك تخلص منها انت مكانلكش الجوازه دي من الأول ، حاول تتفاوض مع اهلها ده ان كان لها اهل اصلا وشوفهم عايزين ايه ومتظلمهاش يا بني ، أنا صح مش طايقاها بس احنا عندنا ولايا والظلم ظلمات يوم القيامه.

قال بحسره: المشكله اني ماعنديش يكفي ادفعلها المؤخر وهو اكيد مش هيتنازلو عنه أنا عارفهم جشعين وهي كمان طماعه زيهم ويمكن اكتر كمان .

قالت تلومه: دلوقتي بس اللي خدت بالك، كان فين عقلك من الاول يا دكتور يا عاقل، مكنتش واخد بالك وهي بتقولك تكتب الشقه باسمها ولا كانو مغميين عنيك وانت بتمضي على المؤخر!!

اطرق ساكتا والندم بادي على وجهه فلانت نبرتها وقالت في احتواء: خلاص قوم دلوقتي وسيبها على مالك الملك هو يعدلها ولو جات على الفلوس متشيلش هم ، أنا كنت شايله قرشين كده للزمن على اللي ورثتهم من ابوك أهم ينفعوا.

نظر لها غير مصدق ثم قال معترضا: لا طبعا أنا مش ممكن آخد فلوسك اللي محوشاها ولا ورثك ، أنا هتصرف.

قالت بحنان: يا بني الفلوس دي شايلاها لمين ماهي ليك برضه وبعدين انت عايزني اشوفك في زنقه واقف ساكته، انت خدهم فك زنقتك واخلص من الهم ده.

هم بالاعتراض فقالت مقاطعه كلامه في حسم: خلاص مفيش كلام تاني، قوم دلوقتي ريح جسمك شويه وبعدين كلم اهلها وانهي الموضوع ده.

رضخ في استسلام لكلامها وارتمي على سريره في حجره نومه الذي افتقدها كثيرا كما شعر بحنين وهو يتلمس الفراغ الذي كانت تشغله هالة بجواره واحتضن وسادتها في اسي وفرت دمعه هاربه من عينيه ندما على فراقها واشتياقا لها.

طرق سامح الباب ففتحت له وعلى وجهها نظره باردة فاخبرها أنه خارج ثم سألها ان كانت تريد شيئا فشكرته باقتضاب فلم يجد ما يقوله فقال بلطف وتودد: على فكره هتوحشيني على ما أرجع.

لم تعلق فودعها وهم بالرحيل حين نادته فنظر إليها مبتسما فقالت بجفاء وحسم: بيتهألي لازم تعدي على ياسر ، في امور كتير لازم تتصلح بينكو واعتذار واجب خصوصا انه وقف جنبي وقت ما قررت انك تكون بعيد.

اضافت جملتها الاخيره بلهجه خاصه لائمه تذكره بذنبه الذي لم ينمحي بعد فأطرق في ندم : هكلمه انهارده ان شاء الله.

لم تشأ دينا أن تضيع وقت فهي تعلم جيدا أن وجودها مؤقت وأنها في مهمه محدده وعليها الإنتهاء منها لذا بمجرد رحيله نزلت الي مكتبه في الطابق الارضي واغلقت الباب خلفها وفي حيره اخذت تجول بعينيها بين الملفات وهي تفكر بماذا تبدأ.

بعد مضي الساعتين كانت قد فرزت اغلب الملفات واستطاعت أن تحدد بعض الملفات التي مازالت مشاريعها قائمه لكنها لم تفقه ما تحوي لقله خبرتها فقررت أن تستعين بياسر فهو الوحيد الذي تأتمنه وتثق به وبالفعل تناولت هاتفها وطلبته عده مرات دون أن تجد إجابه فقامت بتصوير المستندات علي هاتفها وأغلقت الغرفه كما كانت.

****

الفصل التاسع والعشرون

(في بعض الأحيان أجل شيء في الحياه يأتينا من دون أن نتوقعه أو أن نعمل من أجله فيكون بذلك هبه الحياه) أنا فرويد

جلست رحاب قبالة خالد وهي تتأمل وسامة ملامحه وابتسامه رقيقه مرحه تداعب شفتيها بينما كان الفضول قد تملكه ونضح على ملامحه مما دفعها للضحك وقالت بنعومه: مكنتش عارفه انك فضولي كده

ابتسم وهو يجيبها : مش دايما بس لما الموضوع يخص ليلي مقدرش

انزوت ابتسامتها على جانب فمها وقالت بنبره كسيره:قد كده بتحبها ؟!

قال وهو يثبت عينيه بعينيها: جدا، لو عرفتي المشاكل اللي قابلتنا ولا اللي عملته هي عشان نتجوز وتمسكها بيا مكنتيش سألتي السؤال ده .

قالت في تحدي : ده يثبت انها بتحبك لكن مش لازم تكون انت كمان بتحبها.

مال في كرسيه الي الخلف وارتسمت على شفتيه ابتسامه ساخره قائلا:بيتهيألي مش ده الموضوع اللي احنا جايين نتكلم فيه ولا ايه يا دكتوره.

تنفست بعمق ربما لتخفي خفقان قلبها ، كيف له أن ينهي الحديث هكذا بل واعاد الامور لنصابها بكلمه واحده "يا دكتوره" وكأنه يذكرها جيدا بطبيعه العلاقة بينهمافلا تحاول تجاوزها.

سمعته من بين شرودها ينادي على "الجرسون"واملاه طلبه وطلبها فنظرت له في دهشه فقال بثقه :بيتهيألي معندكيش مانع اطلبلك اكل؟!

ثم اشارل" الجرسون" بالإنصراف بينما لم تتمالك نفسها من دهشتها بعد، كيف له أن يفرض سيطرته عليها الي هذا الحد، كم هو نرجسي ، قالت بعناد وهي ترفع حاجبيها: ومين قالك اني هاكل مشاوي؟!

فقال باستخفاف: يعني عشان الدايت

رفعت حاجباها باندهاش فقال مقاطعا أندهاشها: لو تفتكري انت اللي اخترتي المطعم ولو كنتي عايزه اسماك كنت اختارتي مطعم للسي فوود ومعتقدش انك بتحبي المحشي والمقليات ولو بتحبيهم برستيجك ميسمحلكيش انك تاكليهم وانت معايا.

ألجمها منطقه وصدمها فلم تجد ما تقول فقال هو بهدوء مستفز: ممكن تحكيلي اللي عندك لحد ما الاكل يجهز.

قالت بثقه تلك المره: معتقدش انه ينفع لإن اللي عندي ممكن يفقدك شهيتك .

بدأ القلق يساوره وفضوله يتضاعف وقبل أن يعترض كانت قد وقفت واستأذنته للذهاب لدوره المياه وسحبت حقيبتها واتجهت صوب الحمام.

ما ان طرقت ليلي الباب ورآها شريف حتي هرع إليها يحتضنها وقال في عتاب: كل الفتره دي يا ليلي، كل ده متسأليش.

افلتها من بين ذراعيه قائلا في انفعال: أنا مش عارف استوعب ، مش فاهم حاجه، كل حاجه بتصدمني ، ابويا طلع مدمن وامي، عرفتي أمي طلعت عايشه ، أنا..

أشارت له ليلي أن يهدأ وقالت برويه: اهدي يا شريف ، اهدي واقعد

جلست ليلي وجلس هو الي جوارها مندهشا من هدوئها: انت ساكته كده ليه ولا حتي مستغربه؟!

ربتت ليلي على يده في رفق قائله:مش مستغربه لإني عرفت الحقيقه من يوم ما دخلت المستشفي وشفت عليّة وعرفت انها عايشه وعرفت دخلت هنا ازاي وليه.

نظر إليها ودهشته تكاد تقتله وفي انفعال قال : عرفتي ده كله وسيبتيني لوحدي، عرفتي وقررتي انك متزورينيش ومتكونيش جنبي ، ازاي..

قالت مدافعه: شريف اهدي أنا اتصدمت جدا لما عرفت وكنت متخيله طبعا صدمتك هتكون ازاي بس أنا مبعدتش بارادتي ده كان طلب الدكتور مجدي ومتقدرش تتخيل ده كان صعب عليا قد ايه اني اسيبك لوحدك تواجه الحقيقة دي بس صدقني أنا كنت بتصل ببثينه واسال عن حالك وقلبي كان بيتقطع لما اعرف اللي حصلك وحصل لعليّة .

أطرق في حنق وزفر في حده فاقتربت منه اكثر ووضعت يدها على ذراعه قائله في حنان: أنا كان لازم ابعد فتره يا شريف عشانك مش عشاني، صدقني ده احسنلك ،لازم تاخد فرصه تستوعب فيها اللي حصل من غير ماكون جنبك عشان تتخلص من تعلقك المرضي بيا

نظر إليها في غضب ولوم :مكنتش اعرف ان احساس الاخ ناحيه اخته بقي شيء مرضي ، عموما أنا آسف اني بشيلك همومي انت مش ناقصه.

ابتسمت من سلوكه الطفولي قائله: لا يا شريف ، احساس الاخ ناحيه اخته شيء طبيعي لكن التعلق الزائد والغيره الزايده عليا هي اللي غلط، احنا اللي يشوفنا يفتكر ان احنا اتنين حبيبه مش اخ واخته.

بدي أنه غير مقتنع لكنه قال مغيرا الموضوع: تفتكري فعلا بابا حبس عليّة عشان فلوسها، أنا مش قادر استوعب انه يحرمني من أمي ويقول انها ماتت بس عشان يورثها ، ازاي؟!

قالت ليلي باسف: مش كل اللي بنشوفه بيكون حقيقه، انت شفت ماما وهي بتحط البودره في القهوه وافتكرتها سم قتلت بابا بيه والحقيقه ان هو اللي طلب منها ده زي ما كان بيجبرها كمان

واهي مامتك كمان كان بيظلمها ويضربها وفي النهايه دفنها بالحياة في مصحه نفسيه بس عشان فلوسها ، للاسف يا شريف الصدمه دايما بتييجي من اقرب مالينا وانت طول عمرك راسم لبابا صوره ملائكيه في خيالك وعمرك ماكنت تتخيل ان حقيقته تكون كده.

طال صمت شريف عقب كلام ليلي فلم تشأ أن تقاطعه تعلم أنه يحاول استيعاب كل تلك الاحداث المتلاحقة فقالت محاولة تغير الموضوع : ايه اخبار عليّة دالوقتي بتزورها ؟!

قال في شرود : دكتور مجدّي بيقول حالتها بتتحسن وخصوصا لما بتشوفني بس لسا محتاجة وقت علشان تقدر تستوعب الي حوليها وبثينه طول الوقت معاها بتحكيلها على ذكرايتهم علشان تقدر تساعدها .

ابتسمت وقالت : كويس ان شاء الله تبقي كويسه اضافت في لهجة مرحه : على فكرة ليك عندي مفاجأة .

نظر متعجبا فقامت دون أن تملهله فرصة لسؤالها وقامت وفتحت الباب فدخلت نادية بعد أن نادتها ، مجرد أن راها اضطرب في جلسته واعتلت حمرة الخجل وجهه فانسابت العدوي إليها ايضا واطرقت صامتة في خجل فقالت ليلي بود : طيب هسيبكم كده تتكسفوا قدام بعض وهمشي أنا علشان مابقاش عزول .

قالت جملتها تلك فوجدته يرفع راسه إليها مستنجدا كما لو كان طفل صغير في اول يوم دراسه ويخشي مفارقة والدته فقالت مازحة : على فكرة ناديه مش بتعض ، وهي اللي ألحت علنا علشان تيجي تطمن عليك بعد ما عرفت انك في المستشفي .

نظرت الي نادية التي ابتسمت لها في خجل وعتاب فربتت على كتفها وخرجت من الغرفة .

في الخارج اخذت نفسا عميقا وزفرته في بطئ وهي تشعر بالاطمئنأن يسري في اوصالها بعد أن شعرت بتحسن شريف وأنه يخطو خطواته بجديه نحو طريق شفائه

عاد حسن من الخارج بوجه مكفهر وكل معاني الارهاق تبدو عليه، ألقي بجسده النهك على اقرب مقعد وجده امامه وهو يزفر في حنق حتي جاءت والدته ووجدته على تلك الحاله فعلمت ما قد صار فسألته في ثقه: قابلت أهل الهانم النهارده مش كده؟!

أومأ برأسه أن نعم ثم قال في غيظ: ناس جشعين فوق ما كنت متصور

جلست متسائله : اتفقت معاهم على ايه؟

قال بحنق: قالو عايزين كل حقوقها ومش هيتنازلو عن قرش واحد ولما قلتلهم مش معايا قالو هيرفعو قضيه طلاق وان مانفعش هيرفعو خلع

قالت في ذهول: طيب وهي الخلع دي مش بتسيب كل حاجه

قال في آسي: لا يا امي بتسيب المؤخر بس ولو معاهم محامي كويس ممكن تاخده كمان

قالت بقلق: يابني دول باين عليهم ناس بتوع مشاكل وميهمهمش الفضايح لكن انت دكتو والدكتور سمعه واحنا مش عايزين فضايح ، انت بكره تنزل تسحب الفلوس اللي معاك على اللي معايا وتديهم الفلوس ونخلص من الموضوع ده وترجع مراتك

قال في ندم: عندك حق يا امي بس أنا كل اللي صعبان عليا اني اخد فلوسك بدل ما ازودهملك

قالت امه في تسامح: بلاش الكلام ده يا بني، وبعدين بكره ربنا يكرمك وتردهوملي

قبل يدها:ربنا يخليكي ليا يا امي وميحرمنيش منك أبدا.

كان خالد طوال الطريق شاردا يفكر فيما قالته له رحاب ، يعلم مكر النساء جيدا لذا قرر أن يواجه ليلي بما سمع ويعرف الحقيقه، لا يريد أن يظلمها أو يندفع في حكمه لكنه حقا مذهولا مما سمع، ان كانت أمها حقا قد قتلت والدها فكيف للطب الشرعي ألا يكتشف ذلك .

ساورته الشكوك وتلاعب به خاصه عندما تذكر حاله ليلي الأيام السابقه من انهيار وخوف وبدأ يتأكد من حقيقه ما قالته رحاب والذي سمعته صدفه من ابيها عندما حكي لوالدة ليلي ما حدث بينهما على الهاتف بعد زيارتها له وشكوكها حول مقتل والدها .

أحاسيس شتي كانت تتضافر بداخله ما بين خوف وشفقه عليها وحنق على أمها تلك القاتله ، كيف سيواجهها بما عرف، هل لها أن تصمد أمام الحقيقه التي عرفها وكيف سيكون ردة فعلها لو اخبرها أنه عرفها من رحاب، ضرب المقود بيده في حنق وهو يلوم نفسه أنه استجاب لدعوه رحاب وقابلها من الاساس ولكن ذلك لم يغير من الامر شيء وعليه مواجهتها بما سمع مهما كان ردة فعلها، موقن بداخله أن لا ذنب لها فيما حدث مهما كانت حقيقته لكنه يخشي عليها من انهيارها، هي التي تحاول دائما ترميم الصدع بينه وبين والدتها ماذا عساها أن تفعل الآن بعد تلك الحقائق؟!

تعجب ياسر من زياره سامح المفاجئه تلك وخاصه بعدما حدث بينهم اخر مره، يعلم أنه يود العوده الي دينا لكن لم يتخيل أن يزوره هكذا في مكتبه فقط ليعتذر منه، بدي الندم واضحا في صوت سامح لكن ذلك لم يغير من الأمر شيء فدينا بسبب عناده وبسبب زياد فقدت أمومتها وهو شيء يشعر به ياسر فعندما رأي دموعها شعر أن ساره زوجته توفت ثانيه بين يديه دون أن يملك من امره شيئا .

نفس الألم عاد ليعتصر قلبه، نعم لم يكن هو السبب المباشر لكن شعور الذنب راوده طويلا بعد وفاتها.

ماتت فقط لأنها أرادت أن تمنحه طفلا يحمل اسمه ويظل ذكري تذكره بها، كانت تشعر دائما أن علاقتهما ناقصه وأن هذا النقص بسبب مرضها لذا قررت التضحيه ، هو وحده من يعلم أن هذا النقص لم يكن بسببها لكن بسببه هو، بسبب قلبه الذي ظل ينبض بحب غيرها حتي وهي بين احضانه ، حاول مداواة جرحه بزواجه منها لكنه لم يستطع وظلت دينا حاجز بينهما ، مقيد هو خلف حبها ، عاجزة هي عن العبور إليه.

كعاده النساء لا تخفي عليها تلك الاشياء فشعرت بحزنه وشروده الدائم لكن عجزها جعلها تخطأ التفسير وظنت أن السبب في ذلك هو حرمانه من الاطفال لذا ضحت بحياتها فقط لتغالب عجزها وتمنحه السعاده التي ظنتها ، لم تكن تعرف أن تضحيتها ستذهب هباء وأن معاناته تكمن في قلبه الذي نبض لغيرها ولم يجد سوي الرفض والحرمان، ضحت بحياتها لتزيد عذابه وتزيد أنات ضميره الذي طالما جلده وحرمه النوم ليال طوال .

نظر الي هاتفه الذي رن كثيرا دون أن يسمعه ، وجد اسمها مدون بخانة المكالمات الفائته، تنهد في آسي وخاطب نفسه"آه يا وجع قلبي"، نفس الحنين القديم ونفس الحب الجارف الذي لم يمت في البعد بل ازداد اشتعالا، مشعله الحقائق هي بداخله، كلما خفت حبها كلما ازداد اشتعالا، ضغط زر الاتصال وانتظر صوتها احب الاصوات اليه حتي انساب إلي أذنيه فاشعل فيهما لهيبا بكلمه واحده من شفتيها العذبه.

ود لو صب جام غضبه عليها، لو لامها ، عاتبها، صرخ بوجهها لو سألها لماذا عادت لسامح بعدما كان ولكن خذله قلبه وقال في هدوء لا يشي بشيء مما داخله: أيوه يا دينا

سألته عن سامح فأخبرها أنه رحل من عنده منذ قليل بعد أن اعتزر له ، قالت في هدوء: تمام، دلوقتي عايزه افهم منك شويه حاجات في شغل سامح أنا مش فاهماها وعايزاك تساعدني.

بدي مندهشا حقا منها فهي دائما تصدمه لكنه لم يملك سوي أن يجيبها عما تريد وفهمت كيف يتم اختيار الشركات التي ترسو عليها المناقصات بناء على العروض المقدمه من شركات المقاولات وأنه بناء على ذلك الاختيار يتم تنفيذ التصميمات التي يشرف عليها المهندسون المختصون.

كانت تستمع اليه باهتمام ختي انتهي فسألته ان كان سيدخل شريكا مع سامح في المشروع الحالي فأخبرها أنه منذ المشكله الاخيره تلك فصل عمله عنه وتنازل له عن المشروع لأنه مقدم لشركته تحديدا لشهرتها فسألته عن ماهيه ذلك المشروع فاخبرها أنه" كومباوند" على مساحه كبيره بمواصفات عاليه وقد قام بتصميم التخطيطات بالفعل لكنه انسحب من المشروع وأنه متوقف الآن على اختيار شركه المقاولات التي سيتم التعامل معها.

اطمئن قلبها حين عرفت انسحابه من المشروع وشكرته بعد أن اكدت عليه الا يعرف سامح شيء عن مكالمتها تلك وأن يبقي على موقفه في عدم التعامل معه، حاول أن ياسر فهم ما تفكر فيه لكنها اخبرته أنها تنوي مشاركته لذا قررت أن تفهم طبيعه عمله.

أنهت المكالمه وقد قررت ماذا عليها أن تفعل فقط كان عليها انتظار الوقت المناسب للتنفيذ.

التقت ليلي بريهام أسفل البنايه وتصافحا، اعتذرت ريهام عن تقصيرها وعدم سؤالها عنها طوال المده الماضيه واخبرتها أنها حاولت الاتصال بها لكنها لم تجي فاخبرتها ليلي أنها انشغلت بسبب مرض شريف وعودة خالد في نفس الوقت فاندهشت ريهام : هو دكتور خالد رجع امتي؟!

اخبرتها أنه عاد منذ بضعه ايام فحمدت الله على سلامته وفي تلك الاثناء وصل كريم بسيارته وترجل منها وصافح ليلي التي ارتبكت حين لامست يدها يديه، سألها عن حالها وعن احوال دينا فاجابته باقتضاب أنها بخير ثم انسحبت مسرعة الي الداخل وكأن شبح يطاردها وصعدت الي شقتها وقبل أن تفتح الباب وجدت خالد في استقبالها، نظرت له في دهشه : انت رجعت امتي؟، أنا افتكرتك لسه في الشغل.

قال في اقتضاب: رجعت من شويه، مين اللي كان واقف معاكو تحت ده؟

نظرت له في ارتباك: انت شفتنا ازاي؟!

في غير اكتراث اجابها: كنت واقف في البلكونه مستنيكي، مين ده؟

اجابته وهي تتجه الي غرفتهما: ده اخو ريهام سلم علينا وكان بيسال لو عايزين حاجه.

لحق بها وهو يقول بغيره واضحه:وانت ازاي تسلمي بايدك عليه ،أنا مش نبهت على الموضوع ده قبل كده وبعدين يقربلك ايه عشان يسالك ان كنت عايزه حاجه.

نظرت له في دهشه: ايه يا خالد مالك، مجاملة ايه المشكله يعني ، وبعدين اخته كانت واقفه معايا يعني مكنتش واقفه لوحدي، بلاش الافوره دي.

اقترب منها وضمها في حب: افوره، يعني لما احبك وأغير عليكي ابقي اوفر.

ابتسمت لمداعبته و قالت تداعبه : اشمعني انت لما كنت بتكلم رحاب كنت بسكت .

قال في حنان : اولا أنا مكنتش بكلمها هي اللي بتتصل بيا ،ثانيا أنا كنت عندها النهاردة و ....

قطع كلامه حين لمح تقطيبة خفيفة على وجهها فقال بمرح : اهو شفتي اديكي بتغيري .

قالت في جدية : لا مش موضوع غيرة ، بس عايزاك تكمل كنت عندها و بعدين .

كانت متحفزة جدا في حديثها فلم يشيء أن يزيد توترها فقال في هدوء و هو يتناول يدها و يقبلها : ليلي انتي حبيبتي و مهما ما حصل و لا هيحصل أنا عمري ما هسيبك ابدا .

بدا عدم الفهم على وجهها فقال في هدوء : في حاجات قالتهالي رحاب النهاردة و محتاج اسمع و افهم منك ومهما كان اللي هتقوليه لازم تعرفي اني جمبك و مش هتخلي عنك .

سكت برهة ثم اردف :قالتلي عن زيارتك لايهاب و عن مكالمة ايهاب لولدتك و انك شكيتي انها قتلت ابوكي الله يرحمه .

اطرقت في الم دون أن تحري جوابا ،فرفع ذقنها باصبعه لتنظر اليه و قال بحب : ليلي أنا محتاج افهم ، مش عايز مراتي تكون مخبية حاجة عني مهما كانت ، قالت له في خجل : عايزني احكيلك ايه يا خالد ، أنا تقريبا كنت مخدوعة في كل اللي حواليا ، كل الحقايق طلعت كدب ، انت الحاجة الوحيدة الحلوة في حياتي و كنت خايفة تضيع مني بسبب حاجة أنا مليش ذنب فيها عشان كده خبيت عنك اللي عرفته.

مسحت دمعة اسفة على وجنتها :أنا هحكيلك كل اللي حصل .

****

رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

الفصل الثلاثون

وأتيت تسأل يا حبيبي عن هوايا

هل ما زال يعيش في قلبي ويسكن في الحنايا؟

هل ظل يكبر بين أعماقي ويسري في دمايا

الحب يا عمري تمزقه الخطايا

قد كنت يوما حب عمري قبل أن تهوي سوايا فاروق جويده

حكت له ليلي كل شيء حتي مرض شريف الذي اخفته عنه طوال المدة السابقة ، في لحظة ارادت أن تتحرر من اسرارها ، في لحظة شجاعة ربما لن توتيها ثانية اخبرته كل شيء اكتشفته حتي وجود "عليّة " بالمصحة و رؤيتها لها بحالتها تلك المزرية وما فعله بها والدها فقط من اجل المال ومن اجل" مزاجه" الخاص.

حكت له كل شيء من بين دموعها بينما شعر هو بالألم يعتصره مما سمع ومما عانته هي في صمت دون أن تشركه في مخاوفها خشيه فقده، ولأول مره يشعر بالتعاطف نحو شريف حتي أمها رغم توتر العلاقات بينهما الا أنه التمس لها الأعذار.

جلس خالد الي جوارها وارتشف دموعها بشفتيه ثم قبلها قبله طويله ذابت فيها وهي تغمض عينيها وتشعر أنها طارت بعيدا عن عالمها وعن أحزانها، بين ذراعيه شعرت بأمان العالم وفي احضانه غرقت في بحور عشقه حتي ندمت أنها لم تخبره من قبل، كيف لها أن تنسي أنه ملاذها وأمانها ومرفأها الذي تصبو اليه دائما حين تتقاذفها الأمواج.

ضمها الي احضانه في حب: انسي كل اللي فات ، باباكي الله يرحمه ويغفرله سيئاته اما شريف ان شاء الله هيكون بخير خصوصا لما اكتشف ان امه عايشه ، عايزك متشيليش هم حاجه ابدا طول ما أنا جنبك و متخبيش اي حاجة عني مهما كانت ،لازم تعرفي انك روحي و ان الإنسان مش ممكن يكون بعيد عن روحه ، انتي فاهمة .

دفنت راسها اكتر بين ذراعيه و كأنها تخشي أن تفقد دفئها او أن تصحو من حلمها ذاك الذيذ و تمنت أن تعيش ما بقي من عمر بين ذراعيه فقط ترتشف حبه و تهنأ بحنانه و نبضه و غاصت معه في قبلة افقدتها وعيها من جديد.

امام الحاسوب جلست دينا بعد أن قرأت الاوراق التي صورتها جيدا ثم فتحت الايميل الخاص بالشركة و حمدت الله أنها استطاعت معرفته في الايام السابقة بعد أن راقبته عدة مرات و هو يكتب كلمة السر ،قرأت جدول المناقصات المقدمة كاملا حتي اختارت احدهم و قد كان اقلهم جودة في "الخرسانة" و الشروط المقدمة و لكنها في حرفية غيرت كل الارقام حتي جعلتها افضل القيم المعروضة و اعلاهم جودة و اغلقت الجهاز في رفق و هي تشعر بالفخرو الثقة أنه سيختار تلك الشركة التي بلا شك ستوقعه في المشاكل .

هرعت هالة تفتح الباب و هي تضع الطفلة فوق السرير بعد أن نامت باعحوبة علتها الدهشة حين وجدت حسن يقف أمامها بنظره مليئة بالحنان و الشوق ، تسمرت مكانها لحظة قبل أن تستوعب الامر و تتمالك نفسها و قالت في ريبة :انت عاوز ايه ،لو كنت جي عشان تاخد البنات فده بعدك.

ابتسم في تسامح و قال: أنا مش جاي عشان اخد البنات ، أنا جاي عشان ام البنات.

نظرت له حدة و قبل أن تجيب كانت ايناس تهتف في فرح طفولي مناديه على والدها و ارتمت عليه فاستقبلها بين ذراعيه و غمرها بقبلات مشوقة إليها فقالت بعتاب طفولي :ليه اتاخرت اوي كده ، أنا كنت بسال ماما عليك كل يوم و كانت بتقولي انك مسافر ، قال و هو ينظر الي طفتله باسي : ايوه يا حبيبتي كنت مسافر سفر طويل و رجعت منه و عمري ما هسافر تاني و اسيبكو و لا هبعد عنكو تاني .

قالت ايناس في فرح : بجد يا بابا ، يعني مش هتسيبنا تاني، دي ماما كل يوم كانت بتبكي و كانت زعلانة اوي و انت مسافر و كانت بتقولي مقولش لتيته انها بتبكي.

نهرتها هالة في حدة فقال هو في حنان و هو ينظر لعينيها :ما هو عشان كده أنا مش هسيبكو تاني و مش هسيب ماما تبكي تاني ابدا .

اشاحت هالة بوجهها ربما لتخفي دمعة كادت تغلبها و تسقط معلنه شوقها و حنينها له ،قال حسن لايناس في فرح: طيب هو ينفع بابا يقف كده قدام الباب من غير متقوليله ادخل ، فقالت ايناس بمرح : لا طبعا ، اتفضل يا بابا .

فدخل بالفعل و اغلق الباب خلفه فابتعدت هي خطوة الي الوراء حين راته قد اقترب منها الي هذا الحد و كادت أن ترحل لولا أنه أنزل ايناس من على كتفه و امسك بذراعها فنظرت له في حدة قائله :انت عاوز ايه ، أنا قلتلك اني مستنية ورقتي و البنات متحلمش تاخدهم مني ، عايز تشوفهم اهلا و سهلا لكن هيعيشوا معايا هنا

قال و هو يقترب منها ناظرا في عينيها : طيب و لو عايز اشوفك انت اعمل ايه ؟!

اشاحت بوجهها و هي تقول : احنا مفيش حاجة بينا ممكن تتقال اللي بيني و بينك العيال و بس و مش همنعك انك تشوفهم عشان ده حقك لكن حقي اني اتطلق من غير مشاكل و في هدوء .

التقط وجهها بين كفيه و هو ينظر في عينيها المليئة بالدموع قائلا في حنان : و لما انت عايزة تتطلقي و مش عايزاني بتبكي ليه دلوقتي .

قالت وهي تزيح يده عنها مبتعده: عشان لما بشوفك بفتكر قد ايه كنت غبيه ومغفله واني عشت حياتي مع واحد محبنيش ومع اول نزوه سابني وراح.

قال في ندم: أنا اسف، سامحيني، أنا معترف اني غلطت في حق نفسي الاول قبل مايكون في حقك، غلطت لما اتخيلت اني ممكن في يوم ابعد عنك، لما اتخيلت اني ممكن يكون في حياتي غيرك، صدقيني بعدك عني عرفني قد ايه أنا بحبك ومقرش استغني عنك، هالة أنا ضايع من غيرك، ارجوكي سامحيني.

قالت في تهكم :ضايع ليه،متروح لمراتك الجديده اكيد هتنسيك همومك وممكن تنسيك عيالك كمان ، روحلها هي اولي مني بيك، أنا خلاص صفحه واتقلبت في حياتك

قال اسفا: أنا طلقتها يا هالة.

قالت في تهكم: وزعلك ده عشان طلقتها ولا يمكن تكون هي اللي طلبت الطلاق وعشان كده انت زعلان وحاسس بالضياع وقلت ترجعلى اهو احسن من مافيش

قال باسي: هالة ارجوكي متظلمنيش ، أنا طلقتها لاني اكتشفت اني مبحبهاش، اكتشفت اني كنت بدور عليكي فيها ، هالة أنا بحبك ومفيش راحه في بعدك عني.

قالت بصرامه:مالوش داعي الكلام ده ، أنا قلتلك اللي عندي اللي يقدر يخون مره يخون التانيه، واللي يبيع مره ماينفعش آمنله تاني،أنا منتظره ورقتي وياريت تبقي تتصل قبل ما تيجي مره تانيه عشان تشوف عيالك .

قالت كلمتها تلك واتجهت صوب حجرتها منهيه الحديث بينهما فاتجه في اسف نحو باب الشقه خارجا فجرت ايناس نحوه وهي تبكي وتتعلق بساقيه قائله بلهجه طفوليه: بابا متسافرش تاني، متسبناش وتمشي ، انت بتوحشني اوي.

نظر إليها في الم ورفعها اليه وقبلها وهو يمحي دمعته كي لا تفضحه قائلا: معلش يا نوسه أنا لازم أنزل دلوقت وهاجي تاني عشان اشوفك انت وندي ، خلاص.

أومأت له برأسها بينما ظلت عيناها معلقه به وضمته في قوه وكأنها تودعه فضمها الي قلبه اكثر ولم يتمالك دمعته فسقطت لا تعبر عن شيء مما بقلبه.

رحل وهو يشعر بالخيبه واستقل سيارته وابتعد وفي تلك الاثناء عادت والدتها الي المنزل ورأت سيارته مبتعده فعرفت أنه كان عندها فانفرجت اساريرها وتوسمت خيرا .

دخلت الشقه في لهفه وهي تبحث عن هالة حتي وجدتها في حجرتها تدفن وجهها في وسادتها وتنتحب واياس تنكمش على نفسها بجوار السرير تبكي هي الاخري والذعر في عينيها .

نظرت والدتها الي الصغيره ثم إليها فخمنت ما حدث فقالت بعتاب: قلتيله ايه خلاه مشي وبقيتي انت في الحاله دي ، لو مش همك نفسك بصي لبنتك وانت تحسي انت قد ايه ظالمة.

رفعت إليها وجهها الباكي في انفعال: أنا اللي ظالمه، أنا اللي خنته ورحت اتجوزت غيره، أنا اللي مفكرتش في عيالي ورحت اجري ورا نزواتي ، يا ماما ارحميني حرام عليكي، انت عايزه ايه مني بالظبط ، فضلتي ورا دينا لحد ما رجعت بيتها غصب عنها والدور عليا أنا دلوقتي ؟!

نظرت لها أمها بغضب: وهو أنا غصبت على اختك انها ترجع ؟!هي اللي اتصلت بجوزها واتفقت انها ترجعله وبصراحة دي احسن حاجه عملتها، تكونيش فاكره ان الراجل بيفضل حزين على مراته كتير، لا تبقي هبله، لا الراجل من دول اخره يومين وينساها ويدور على غيرها ولا بتفرق معاه ويكون في علمك دلوقتي جوزك باقي عليكي وعلى عياله لكن لو الجديده دي حملت وخلفت هينساكي وينسي عيالك ويفرح بالعيل الجديد، كأنه لا اتجوز ولا خلف قبل كده، وانتو ولا هتيجو في باله من الاساس .

_أنا اللي اللي مش عايزاه، مش طايقه اعيش معاه وعشان ترتاحي هو طلقها ورجع ندمان يطلب سماحي.

قالت أمها في ارتياح وهي تجلس الي جوارها: طيب يا بنتي لما طلقها وندم وجه يعتذر عايزه ايه تاني، الراجل طلع كويس وعرف غلطته ورجعلك تكسري بخاطره ليه بس.

قالت بحده: وخاطري اللي اتكسر وكرامتي اللي داس عليها لما راح اتجوز عليا، ده كله ميساويش، لا يا ماما لازم يحس بقهرتي وحرقه قلبي.

قالت أمها في اسف:طيب يا بنتي وعيالك دول، بصيلهم كده، يرضيكي الي بيحصل ده .

التقطت هالة ايناس وضمتها الي صدرها وهي تمحو دموعها بيدها وتقبلها وتطمئنها : متخافيش يا حبيبتي انتو هتفضلو معايا ومش هسيبكو ابدا.

قالت ايناس: أنا عايزه بابا ، أنا عايزه اروح بيتنا وارجع اوضتي

تنهدت في اسي وقالت بحرقه: يارب اعمل ايه بس، حرام عليكو اللي انتو بتعملوه فيا ده حرام بجد.

انخرطت في بكائها وربتت أمها على كتفها وهي تاخذ ايناس منها وقالت في لين: اهدي يا بنتي، ربنا يهديكي، فكري كويس في عيالك وفي مصلحتك، واذا كان على حسن فهو عرف غلطته خلاص وندم عليها ، حكمي عقلك وقلبك .

تركتها بمفردها بعد أن حملت الصغيره معها محاوله تهدأتها وهي تدعو الله أن يهديها

****

بعد عده ايام كان سامح قد وافق على المناقصه الخاصه بشركه(احسان) والتي كانت الاقل في التكاليف والاعلى جوده بناءا على التقارير التي وصلت على ايميله الخاص ولم يكن في حسبانه أن تلك القيم والمعايير قد تم التلاعب بها .

اتصلت دينا ب ياسر في نفس اليوم بعد أن علمت من سكرتيره سامح والتي سبق أن اتفقت معها أن تنقل لها كل ما يحدث في الشركه حتى يتثنى لها تنفيذ بقيه خطتها وذلك بالطبع بمقابل مادى سخى لتطمن ولائها .

تعجب ياسر من محادثة دينا له في ذلك الوقت الباكر خاصه وهو يعلم استيقظها المتأخر كعادتها ولكن دهشته زالت عندما سألته في اهتمام عن اسم صاحب المشروع الذي اتفق معه سامح وعن رقم هاتفه ، كانت الصوره قد اتضحت في مخيلته عما تنوي فعله ولكن احساسه أن اتصالها الآن لم يدعي لديه مجالا للشك فقال في هدوء :دينا الي انتي بتعمليه ده غلط وهيدخلك في مشاكل كتير انت في غني عنها، بلاش الي بتفكري فيه

فردت في برود:طالما كلامنا بقي على المشكوف يبقي لازم تعرف اني مرجعتش لسامح غير عشان أنتقم منه، ولكرامتي ولابني الي مات من قبل مايشوف الدنيا.

قال ياسر في تفهم: أنا عارف انتي حاسه بإيه ومقدر انفعالك وخسارتك بس مش هو ده الحل،أنا حسيت من سامح انه ندمان بجد وحس بغلطته يبقي بلاش تعاقبيه على ذنب اخوه وحاولي تدي لنفسك فرصه تنسي وتغفري.

في انفعال قالت: انت بتقول كده عشان اللي مات مش ابنكو عشان ماتحرمتش من الاطفال طول عمرك زي،انت مش ممكن تحس بالنار اللي في قلبي مهما حاولت .قال محاولا تهدئتها: دينا اهدي ارجوكي، عمر الإنتقام ما هيعمل حاجه ولا هيرجع اللي راح ، أنا فعلا مفقدتش ابني زي ما بتقولي بس كنت بالسبب ان مراتي تموت ، كنت السبب في موت اكتر حد حبني ، مكنش ذنبها انها مينفعش تخلف ولا كان ذنبها أن قلبي كان ملك غيرها، حاولت كتير تخليني احبها لكن غصب عني كنت بحبك انت ، وفي النهايه دفعت هي تمن حبها وقررت تنتحر ، يوم ما حملت في ساره كانت عارفه انها هتموت لأن عندها القلب ومع ذلك اصرت انها تولدها عشان تسيب ذكري منها تحسسني بتأنيب الضمير طول العمر ، كانت بتنتقم مني بس هي اللي دفعت التمن حياتها وسابتلى طفله يتيمه محرومه من حنان أمها.

الجمت الصدمه لسانها فلم تجب بينما انسابت دموعها على وجنتيها على تلك المسكينه التي كانت ضحيتها دون أن تقصد ، اكمل ياسر كلامه في أسف: عارفه ايه الحاجه اللي كنت ناوي اعملها لما أنزل، اني أنتقم منك ، كنت ضايع ومش عارف افكر بالرغم من انها ماتت من اكتر من سنه لكن عقلي فضل مشوش وضميري طول الوقت كان بيعذبني لحد مشوفتك اول مره قدام شركه سامح وقتها حسيت اني مش هقدر أأذيكي مهما حاولت ، عمرك ما هتتخيلي قد ايه الإنتقام ده شيء صعب وانك مهما حاولتي مش هتقدري تهربي من عذاب ضميرك .سكت برهة وهو لا يدري ماهي ردة فعلها بعد هذا القدر من الاسرار التي اطقها دفعه واحده من حقيبه ذكرياته فقال بقلق:دينا انت سمعاني؟!

قالت وهي تغالب دموعها: ياسر اقفل دلوقتي لو سمحت

برجاء قال: دينا ارجوكي اسمعيني ، أنا عمري ما اذيتك ولا حتي حاولت، أنا بحبك

قالت بالم: ياسر ارجوك اقفل أنا مش قادره

_حاضر هقفل دلوقتي بس ارجوكي فكري في كلامي انتى خسرتي امومتك بلاش تخسري نفسك بالإنتقام ، اتطلقي من سامح وانسيه وارمي الماضي ورا ضهرك وبصي لقدام واعرفي ان ليكي مستقبل مستنيكي ويتمناكي.اغلقت الهاتف وهي تسند راسها على يدها في حيره والم وتشعر بدوامه من المشاعر تعتصرها.

الفصل الواحد والثلاثون

كان الألم قد تمكن من ليلي اثناء الحصه الاخيره فتحاملت على نفسها حتي أنهت حصتها وحاولت الاتصال بخالد لكنه كان في احدي زياراته فلم يجب فقررت أن تستقل سياره الي منزلها لكنها فجأه لم تشعر بنفسها من شده الالم الذي سري بجسدها وخاصه اسفل بطنها وفي لحظه شعرت بدماء ساخنه تكسوها قبل أن تسقط فاقده لوعيها.

بعد فتره لاتعلم مدتها فتحت عينها واخذت تتطلع للمكان حولها في عدم استيعاب التقت عيناها بعين زميلتها بالمدرسه وهي تبتسم في وجهها محاوله طمئنتها فقالت ليلى في وهن : أنا فين وايه اللى جابنى هنا .

نظرت لها احسان زميلتها وامسكت بيدها قائله في هدوء : انتى في المستشفي واحنا جبناكى هنا بعد ما وقعتى واغمى عليكى، ثم اكملت بلهجه خاصه : شكلك عملتيها اخيرا.

قالت ليلى بعدم فهم عملتى ايه وايه اللى حصل أنا مش فاهمه حاجه .

قبل أن ترد عليها دخل الدكتور وابتسم حين رأها قد استيقظت وقال: حمد لله على السلامه ، اسم حضرتك مدام ليلى مش كده؟!

أومأت راسها موافقه فدون بعض الملاحظات في بعض الاوراق التي يحملها بيده ثم قام بفحص ضغطها والمحلول المعلق بذراعها فقالت : هو ايه اللى حصل يا دكتور أنا مش فهمه حاجه أنا كل اللى فكراه انى كنت حاسه بمغص جامد والم في بطنى وبعدها محستش بحاجه .

قال في نبره هادئه :حضرتك كان عندك نزيف جامد واغمى عليكى وصاحبتك جبتك هنا ادناكى حاجه توقف النزيف ومسكن ولسة مستنين نتيجه التحاليل قبل ماندیکی أي مضادات حيويه لأنها ممكن تاثر على الجنين لو فيه حمل .

اتسعت عينها في دهشه وقالت في صدمه بس أنا مش ممكن اكون حامل .

قال وهو منشغل بغرس ابره مسكنه اخرى في المحلول : احنا مستنين نتيجه التحليل عشان نتاكد وبعدها نحدد ايه سبب النزيف ان كان اجهاض ولا حاجه تانيه .

قالت في ثقه : أنا متاكده انه مفيش حمل بس معرفش ايه سبب النزيف .

_عموما احنا هنعمل شويه تحاليل واشعه عشان نطمن .

حاولت ليلى النهوض في وهن وهي تستند على ذراعها الحره قائله : أنا لازم امشى دلوقتى حالا.

قالت لها احسان وهي تحاول اسنادها : طيب استنى لما المحلول يخلص واعملى الاشعه وروحى.

قالت في الم واعين دامعه : أنا مش عايزه اعمل لتحاليل ولا اشعه أنا عايزه اروح دلوقتى .

شعر الدكتور أن هناك شيء تخفيه فقال لزميلتها : لو سمحتى ممكن تسبينا لوحدنا لحظه ،نظرت اليه احسان في حيره لكنها لم تملك سوى الإنصياع لامره.

سحب المقعد الذي كانت تجلس عليه احسان وجلس بجوارها متسائلا في هدوء : في ايه ،حضرتك مش عاوزه تعملى التحاليل والاشعه ليه ،يعنى حتى لو متأكده ان ده مش اجهاض يبقى على الاقل تعرفي سبب النزيف المفاجئء ده ايه ، أنا مش عايز اقلقك بس ده ممكن يبقى له سبب خطير ومحتاج علاج وكل ما كان بدرى يكون افضل .

دمعت عيناها فاسرعت تمسح دموعها ، فقال بنبره مواسيه : مدام ليلى احنا مش عايزين نسبق الاحداث

لأن ممكن يكون السبب بسيط و ما يكونش اكتر من لخبطة في الهرمونات و دي علاجها بسيط بشويه ادويه تتظبط ومتقلقيش دى ملهاش علاقه بالحمل مش هتأثر عليه .

قالت من بين دموعها التي لم تستطع كبحها : يا دكتور أنا عملت تحاليل واشعه قبل كده تقريبا من اكتر من شهر والدكتوره قالتلى ان عندى رحم طفولى وانى مستحيل احمل .

نظر لها في اسى قائلا : أنا اسف بس عموما الاشعه ضروريه عشان نعرف سبب النزيف وان شاء الله خير.

شعرت بالاطمئنأن قليلا بعد كلامه ووافقت على عمل الاشعه بعد أن وعدها الا يخبر احدا بسرها ،حاوله مره اخرى الاتصال بخالد لكن الشبكه لم تكن جيده داخل المشفي وامتثالا لامر الدكتور اغلقت هاتفها و عادت الي حجرتها تستند الي ذراع زميلتها في انتظار نتيجة الاشعة .

كانت ساميه قد ملت رؤيه ذلك الحزن في عين ابنها الوحيد بعد أن يأس من رجوع هالة اليه واصرارها على الإنفصال فلم تجد بد من الذهاب إليها .

فجأه وجدتها هالة امام باب منزلها ونظرت لها في دهشه بينما قالت ساميه في عتاب : هتسبينى واقفه على الباب كتير ، افسحت هالة الطريق و دعتها للدخول وهي لا تستوعب زيارتها بعد بينما اندفعت ايناس تجرى نحوها وهي تهتف في فرحه : تيته تيته .

حضنتها جدتها في فرح وهي تقبلها قائله : ازيك يا حبيبه تيته عامله ايه ، والله زمان اخص على اللى خدك منا ، خلاص نسيتنا .

ابتسمت هالة في خجل قائله : لا والله ياماما انتى تشرفي في أي وقت .

قالت ساميه في لوم اشرف ايه بقى وانتى مش عملالي أي اعتبار ولا عامله لكلامى قيمه حتى تليفوناتى مش بتردى عليها .

-سامحينى يا ماما بس الحمل تعبنى شويه وكمان الضغوط النفسيه الفتره اللى فاتت زودت معايا التعب اكتر .

قالت في حنان : لا يابنتى الف سلامه عليكى ، بس ليه وجع القلب ده اللى بيحصل ده في مصلحه مين يعنى قوليلى لانتى مرتاحه ولا هو مرتاح ، بصى لعيالك وانتى تعرفي مين اللى بيدفع التمن في النهايه .

قالت هالة في لوم : يا ماما انتى بتقوليلى أنا الكلام ده ،لو مكنش على ايدك كل حاجه.

قالت ساميه في تودد :برضه يابنتى الست العاقله هي اللى تحافظ على بيتها وجوزها وبعدين ما هو عرف غلطته ورجع يعتذرلك وندمان كمان ده انتى لو شفتى حالته يصعب عليكى لا بياكل ولا بيشرب ده حتى الضحكه فارقت وشه من يوم ما سبتى البيت .

_هو اللى اختار ويتحمل نتيجه اختياره .

قالت ساميه في خبث : انتى مش زعلانه ولا مضايقه من الوضع ده ، يعنى عايزه تفهمينى انك مرتاحه كده ومش فارقه معاكى .

ثم اردفت في لهجه اكثر تودداً:يا بنتي كل الرجالة بتغلط وكل الرجالة عينها زايغة بس الست الشاطرة هي اللي تحافظ على بيتها وعلى عيالها .

قالت أمها مقاطعه لحديثها بعد أن خرجت من الحجره في تلك اللحظه : والله غلبت اقولها يأم حسن عقليها وفهميها ان الست في النهايه ملهاش غير بيتها وجوزها مهما كان بيت ابوها مفتوحلها بس راحتها في بيتها وسط جوزها وعيالها .

قالت ساميه مستشهده بكلام والدة هالة : اهو سمعتى يعنى ده مش كلامى لوحدى اهي والدتك بتقول كده ومعتقدش ان في حد هيتمنالك الخير قدها .

ثم ربتت على كتفها قائله : استهدى بالله كده يابنتى واخزى الشيطان وبعدين أنا مش قولتلك انى هرجعولك ندمان وهو رجعلك وكمان بيتمنى رضاكى فكفايه تعذبى نفسك وتعذبيه اكتر من كده .

اطرقت هالة مفكره وهي لاتدرى أي الطريقين تسلك ،مجروحه هي في الحالتين ، قلبها ممزق في بعده مطعونه كرامتها في قربه ، لا تقوى على فراقه وتتعذب ولكن بقايا كرامتها المبعثره تأن أن ارفضى .

نظرات الترقب تلاحقها وتنتظر كلمه تخرج من فمها فلم تستطع أن تحدد قرارها فقالت : خلاص سبينى يا ماما شويه هفكر واقرر واستخير ربنا قبل كل شيء .

قالت ساميه وبصيص الامل يتسع أمامها ماشى يابنتى براحتك بس لازم تعرفي انك ملكيش خيار لانتى ولا عيالك واكيد ربنا هيدبر اللى فيه الخير ده الطلاق ابغض الحلال .

ثم وقفت تستعد للرحيل قائله : هكلمك بكره تانى اطمن عليكى ويارب تطمنينى .

قالت هالة في شرود : ان شاء الله .

قالت سهير تستبقيها : خليكى شويه يا ام حسن انتى لسه ماقعدتيش .

فقالت في نبره اسفه تستعطف هالة بها : لا يادوب اروح ده حسن تلاقيه قاعد على نار مستنى كلمه تبل ريقه يا حبة عينى حالته بقت حالة يلا ربنا يجازى الشيطان ويصلح الحال .

كان لكلماتها الصدى المطلوب لدى هالة فقد دمعت عيناها في اسى عليه لكنها لم تقل شيئا ووقفت تودع حماتها ، صحبتها والدتها إلى الباب بينما هرعت هي إلى صغيرتها التي استيقظت ولم تجدها بجوارها فبكت ،مالت ساميه على سهير في خفوت :ابقى كلميها تانى وعقليها انتى أمها وهتسمعلك اكتر من حماتها وربنا يهديها .

قالت أمها في تضرع : امين ،ان شاء الله هتكلم معاها تانى وقلبى بيقولى انها هتوافق .

فقالت ساميه في امل :يارب.

وضعت دينا الهاتف وتنهدت في حيرة فقرارها بيدها وعليها الاختار الآن، أمامها رقم (فؤاد بيه)صاحب المشروع والذي دونته بعد أن اتصلت بسكرتيرة سامح واخبرته بيه .

في حنق حسمت امرها وطلبت الرقم المدون وفي اقتضاب اخبرته أن شركه سامح تتعامل مع شركات غير موثوق فيهاوأنها تغش في المعايير الخاصه الجوده فقط ليستفيد من فارق السعر، في البدايه لم يصدقها لكنها اخبرته باسم الشركه التي يتعامل معها سامح وبالقيم الحقيقيه للمعايير والاسعار والتي لم يكن سامح يعرف بها واغلقت الهاتف قبل أن يسالها عن هويتها.

القت بالهاتف من يدها وهي تشعر أن بداخلها بركان يود الإنفجار ودقات قلبها تتسارع وهي لاتدري ان كان ذلك نشوي ام ندم لكنها بلا شك خائفه من عواقب فعلتها .

بعد عده ساعات كان فؤاد بيه ومعه قوه من الشرطه ومهندس من طرفه في الموقع يقومون باختبار الخامات ومقارنه جودتها والقيم المدونه في الاوراق الخاصه بالمناقصه ، لم يكن عسيرًا على اي مهندس أن يكتشف الغش البين والفارق بين القيم الحقيقيه للخامات وبدون انذار وجد سامح افراد من الشرطه يلقون القبض عليه متهمينه بالغش والاضرار العمد بالمنشات ودون أن يفهم وجد نفسه منساقا الي قسم الشرطه ويتم التحقيق معه حاول انكار التهمه التي لم يكن يعلم عنها شيئا لكن الاوراق كلها مذيله بتوقيعه والتلاعب في الاوراق بين للعيان حتي محاميه اخبره بصعوبه موقفه فاندهش لما يحدث دون أن يجد تفسير أنه حقا لم يغير في القيم اذن من بوسعه فعل ذلك ، من يستطيع الوصول الي جدول المناقصات المقدمة والتلاعب بالارقام حتي يدفعه للتعاقد مع تللك الشركه دون غيرها ثم قام بالابلاغ عنه في مهارة حتي يتم الايقاع بهم وظل سؤاله عالقا لايجد له اجابه.

تحسنت حاله شريف كثيرا عند خروجه من المشفي خاصه بعد مداومته على تناول مواعيدها واهتمام بثنيه به ووجود امه الي جواره.

لم تكن حالة عليَّة قد تحسنت كثيرا نظرا لطول مده اقامتها وحيده بالمشفي منفيه بعيدة عن اي اتصال ادمي سوي بعض الممرضين وبعض جلسات العلاج الجماعي

التي لم تفيد في مثل حالتها لكنها بدأت تستعيد ادراكها للاشياء من حولها خاصه عندما يلفظ باسمه، تلتفت بعينيها باحثه عنهي حتي تراه فتبتسم عيناها وترتعش شفاها لتنطق اسمه في تعثر.

لم يمانع دكتور مجدي في خروجها بعد أن رأي ذلك التقدم الملحوظ في تلك الفتره الوجيزة ، كان مكوثهما معا اهم خطوة في شفائهما كليها فقد لاحظ الاستقرار النفسي لشريف رغم بعد ليلي عنه المده الماضيه والتقدم في الادراك والاستجابه البصريه والسمعيه لها حين تراه فقرر أن يمنحهما فرصه للتعافي والتفاعل اكثر خارج اسوار المشفي والاسلاك المعلقه ورائحه العقاقير لكنه اوصي بثينه أن تتابع حالتهما عن كثب وأن حدث اي تصرف غريب تخبره به.

في الطريق الي المنزل ألحت بثينه أن تذهب ناديه معهم الي المنزل ليتناولوا الغداء على طاوله واحده لكنها رفضت في خجل واخبرتهم أن والدها بالكاد سمح لها بزيارتهم في المشفي وأنه لن يوافق على ذهابها معهم، لم تشأ بثينه أن تلح اكثر عليها واحترمت خوف والداها عليه فقالت لشريف بعد رحيلها: والله بنت ناس ومتربيه يارب تكون من نصيبك وافرح بيك بقي

نظر إليها في خجل واطرق قائلا: ادعيلي يا خالتي، ثم نظر الي امه وقبل يدها فابتسمت فقالت له بثينه وكمن تذكر شيئا: صحيح يا شريف كلمت ليلي تقولها اننا خارجين من المستشفي؟

نظر لها ببلاهه : لا

ثم امسك هاتفه وطلبها لكنها كانت بالمشفي في تلك الاثناء فلم يستطع الوصول إليها فقد كان هاتفها مغلقا فنظر لبثينه: موبايلها مقفول، هبقي اكلمها لما نوصل البيت.

****

كان الوقت قد تجاوز الرابعه عصرا فألحت ليلي على زميلتها أن ترحل ووسط مراوغاتها واصرارها امتثلت لرغبتها بعد أن اخبرتها ليلي أن خالد سيأتي بعد قليل لاصطحابها.

بعد رحيلها كانت المفاجأه التي صدمت ليلي لدرجه اعجزتها عن النطق حين دخل الطبيب واحضر نتيجه الاشعه وهو يجلس الي جوارها قائلا بهدوء: اولا حضرتك الحمد لله مافيش حاجه خطر الموضوع مجرد لخبطه في الهرمونات وده مالوش سبب عضوي محدد اللخبطه دي هي سبب النزيف المفاجئ ودي حلها بسيط جدا

حضرتك هتاخدي علاج هيظبط الهرمونات خلال شهرين بالكتير وهتتابعي مواعيد دورتك وبعدها ممكن تطمني ان شاء الله

قالت بارتياح: الحمد لله أنا كنت خايفه اوي ، طيب هو أنا ممكن اطلع امتي

_دلوقتي لو تحبي بس الاول هكتبلك على حقنه لمده ٣ ايام عشان توقف النزيف لكن حضرتك قلتيلي انك عملتي اشعه قبل كده ، عملتيها عند مين ؟

اخبرته باسم المعمل الذي قامت فيه بالتحاليل والاشعه فنظر لها بتعجب وقال: غريبه ، اصل المعمل ده المفروض نتايجه مضمونه ومبيغلطش !

قالت بعدم فهم: يعني ايه أنا مش فاهمه

نظر بود قائلا: اصل حضرتك سليمه والرحم مش طفولي ولا حاجه ومافيش اي سبب عضوي كمان يمنع الحمل.

نظرت له والصدمه تتملكها وتلجم لسانها عن الكلام وعيناها تتسع من دهشتها غير مصدقه لما يقول ثم عادت تسأله بصوت مبحوح وعقل شارد: يعني ايه؟

ابتسم قائلا: زي مابقول لحضرتك التحاليل دي اكيد اتبدلت او في حاجه غلط لكن أنا متأكد من اللي بقولهولك ، رحمك سليم وممكن تحملي عادي جدا بس الاول نظبط امر الهرمونات ودي امرها بسيط زي ماقلتلك.

قالت باعين دامعه وصوتها يرتعش من الفرح: يعني أنا ممكن اكون ام عادي، ممكن احمل ويبقالي طفل احس بنبضه وهو بيتكون جوايا واضمه لقلبي!!

قال متفهما لانفعالها: ايوه يا مدام ليلي ، احمدي ربنا واشكريه

قالت والدموع تكسو وجهها فرحه: الحمد لله، الحمد لله ربنا كريم اوي أنا مهما حاولت مش هقدر اشكر فضله ونعمته علنا ، ياما انت كريم يارب، الف حمد وشكر ليك.

تركها لفرحتها التي تعجلت مشاركتها مع زوجها وشريك حياتها الذي تحملها في عجزها فتمنت أن تزف اليه البشري وتخبره بقدره الله ورحمته بهما.

تعجلت في ارتداء ملابسها وخروجها من المشفي وهي لا تجد كلمات شكر مناسبه تعبر عما بداخلها ولكن اول ما فعلته هي أن اخرجت كل ما معها من مال ووضعته بصندوق تبرعات المشفي وتركت فقط ما يكفي اجره سياره الاجره.

امسكت هاتفها بلهفه واتصلت به لتزف اليه الخبر فلم تكن تستطيع الصبر حتي تعود لمنزلها لكن الحظ لم يواتيها ونفذت بطاريه هاتفها فقررت الإنتظار حتي عودتها وهي تفكر كيف يمكنها أن تحتفل بتلك المفاجأه.

********** ******

الفصل الثاني والثلاثون

كأن خالد قد استهلك كامل طاقته حين انتهي من زياراته قرابه الخامسه فتناول هاتفه الذي نسيه على الصامت منذ فتره ولم ينتبه له فوجد عده مكالمات فائته من ليلي فشعر بالقلق وحاول الاتصال بها لكنه وجد هاتفها مغلقا فازداد قلقه فقرر العوده لمنزله مباشره وعدل عن فكره زياره والده اليوم.

رن هاتفه فالتقطه بسرعه ظنا منه أنها ليلي لكنها كانت رحاب ، شعر بالحنق من اتصالها لكنه قرر أن يضع حدا لتصرفاتها فرد عليها في برود : ايوه يا رحاب، أنا سايق دلوقتي ومستعجل عايز ارجع البيت في حاجه مهمه؟

ردت بارتباك غير متوقعه طريقه حديثه تلك معها: لا ابدا ، أنا بس كنت عايزه اطمن عليك واعرف ايه الاخبار ، كلمت ليلي في الموضوع اللي قلتهولك؟!

ببرود قال محاولا إنهاء فضولها: ايوه كلمتها وفهمت كل حاجه والموضوع مش زي ما فهمتيني

قالت بحماسه مدافعه: أنا مكانش قصدي اعمل مشكله بينكو أنا بس قلتلك اللي سمعته

قال مغيظا اياها: لا بالعكس ، كلامك هو اللي خلي ليلي تحكيلي كل حاجه وحسنت الامور بينا، هي عارفه كويس اني بحبها واني مهما حصل مش ممكن اسيبها ولا ابعد عنها

قالت بحسره: ياه، للدرجه دي بتحبها

قال بهدوء: واكتر صدقيني عمري ما فكرت ولا هفكر في واحده غيرها.

قالت تغالب دموعها: ربنا يسعدكم ، بس صدقني أنا مكانش قصدي تتخانقوا، أنا ...

قال مقاطعا: رحاب أنا فاهم كويس شعورك ناحيتي ، بس صدقيني أنا في حياتي مافيش غير ليلي وأنا آسف لو كان حصل مني اي تجاوز او قلت اي حاجه من غير قصد خلتك تتعلقي بيا او تفهمي شعوري واحترامي ليكي بشكل تاني.

قالت باكيه :أنا اللي اسفه، أنا فعلا حبيتك واحساسي خدني ليك غصب عني رغم اني عارفه انك متجوز وعارفه كمان أنك بتحب مراتك بس اعذرني غصب عني قلبي مش بإيدي، انت بالنسبالي الحلم اللي حلمت بيه ومتخيلتش اني الاقيه وفجأه ظهرت قدامي بكل صفاتك واتعلقت بيك، سامحني بجد أنا اسفه بجد واوعدك اني مش هضايقك تاني ولا هتسمع صوتي بعد كده

اغلقت الهاتف وهي تشعر بالإنهيار التام ولم يكن ذلك خفيا على خالد الذي شعر بالشفقه تجاهها وبالندم ايضا من طريقته تلك التي جرحتها بالتاكيد، لم يكن سهلا أن يشعر أنه سبب معاناتها لكنه لا يملك التراجع الآن فمجرد اتصاله لمواساتها قد يقلب كل الموازين ويعيد حبال الامل لديها فقرر التماسك وأن يرضي بتلك النهايه المؤلمه فبقدر المها الآن سيكون نسيانه اسهل فيما بعد.

جلست هي في حجرتها ودموعها تكسو وسادتها وهي تلوم نفسها على اندفاعها في مشاعرها ، ربما لو وجدت الحب الحقيقي في حياتها لما كانت بحثت عن سراب حبه الآن، قفز خطيبها السابق الي ذاكرتها بوسامته وجاذبيته، احبته وقتها بكل خلاياها وتعلقت به حد النخاع حتي اصبح كل حياتها حتي اكتشفت فجأه خيانته لها مع اقرب اصدقائها ، لم تشأ أن تصدق ما قيل عنه وقتها لكنها ايضا لم تستطع أن تكذب عينيها حين رأتهما معا قبل عقد قرانها بأيام ، وقتها واجهته ولصدمتها كانت بجاحته فوق طاقه تحملها ، اخبرها أنه لم يحبها قط وأنه فقط كأن يمني نفسه بثروه ابيها الطائله واملاكها التي ستصير له بعد زواجهما، لم تحتمل صدمتها وقتها وسقطت مريضه ملازمه لفراشها عده اشهر وهي تظن أنها بكابوس لابد أن تستيقظ منه لكنه كان واقعها الذي لم تملك منه فرارا حتي ظهر خالد بشهامته ورجولته أمامها فأحيا الأمل وعاد قلبها ينبض من جديد لكنها لم تكن تعلم أنها ضلت الطريق ثانيه وأن عليها أن تتحمل عاقبة حبها الخاطئ من جديد.

على ذمه القضيه محبوس هو يتمني أن تأتي يد تنتشله ، عاجز عقله عن استيعاب ما حدث وما يحدث له هكذا فجأه، انها لعنه ظلمها، دينا تلك النقيه التي ظلمها فأجاب الله دعواها فسجن في ظلمات سجنه يلتمس طريقا للخروج ، عاجز عن تفسير ما حدث ومن السبب خلف ما يحدث له.

دوامات الإنتقام تلف بها وتمنيها بفوز سريع وراحه هنيئه تنالها لكن الإنتقام في الخفاء منقوص الشهوه لذا قررت أن تعترف له، لذه الإنتقام في الجهر به لذا لم تنتظر للصباح ، اتصلت بمحامي الشركه واخبرته أنها تود زيارته لأمر هام وبالفعل دبر لها امر الزياره التي لم يعرف مغزاها.

وقفت امامه باردة الملامح جامده الوجه، اندفع نحوها يعانقها وهو يقول بلهفه: باذن الله هطلع براءه، أنا اصلا ما عملتش حاجه، متقلقيش مش هطول هنا وهرجعلك على طول .

بدي مندهشا من صمتها ووجهها الخالي من اي تعبير فابتعد قليلا وهو يسألها: دينا في ايه مالك ، انت مبتتكلميش ليه، اوعي تكوني مصدقه اني فعلا مرتشي واني بغش في المونه ، دي قضيه متلفقه اكيد في حاجه غلط

قالت ببرود وهي تسحب كرسي وتجلس عليه: ماأنا عارفه وكمان متأكده من كده.

زفر بارتياح وجلس قبالتها مطمئنا: بجد كنت خايف متصدقنيش

قالت بتهكم: مصدقكش إزاي وأنا اللي مبلغه عنك أساسا

ارتفع حاجباه بدهشه وهو ينظر إليها غير مصدقا فقالت ببراءه تحسد عليها: أنا اللي عدلت البيانات اللي على الايميل وأنا اللي اتصلت بفؤاد بيه وقلتله انك بتغش في المونه ، الصراحه الراجل في الاول مكانش مصدق فيك كلمه بس أنا قلتله ياخد مهندس معاه بنفسه قبل ما يرمي فلوسه في الارض وبعد كام شهر يلاقي الكومباوند وقع وطبعا بعد كل ده خاف وخد مهندس يعاين واهو حضرتك مشرف هنا.

مشدوها مما يسمعه منها قال: انت اللي عملتي كل ده ، ليه؟!

قالت بمراره: عشان اتظلمت ، عشان بسببك مبقاش ينفعى ابقي ام ، عشان مصدقتنيش ومدتنيش فرصه اشرحلك ، عشان مكنتش الراجل اللي يحميني بجد ويقف جنبي .

قال مصدوما: بس أنا اتخدعت ورجعت ندمان واعتذرتلك ، ليه كده؟

قالت بانفعال: ليه كده؟!، وأنا ليه حصلي كل ده، كان ذنبي ايه عشان افقد اغلي حاجه عندي، كنت فين لما زياد حاول يغتصبني ، كل اللي عملته انك تصدق كلامه وتظلمني من غير حتي ما تدي نفسك فرصه تفكر، كنت بتخوني كل يوم واسكت واصبر واقول بكره يتعدل حاله،بكره يرجعلك، كنت بشوف الرسايل بعنيا وتكدبني وكنت بسكت، كنت مستحمله اللي مافيش واحده تستحمله على كرامتهابس عشان كنت بحبك وكنت باقيه عليك وبعد ده كله بعتني ، كنت عايزني أسامحك ازاي ، قولي، ازاي أنسي ذلك وظلمك ليا.

قال غاضبا: ولما انت ماسامحتينيش رجعتيلي ليه،وافقتي تعيشي معايا ليه وانت عارفه اني بخونك، اقولك ليه، عشان الفلوس عشان انت طماعه ، كنت عايزة كل حاجه ونسيتي أن محدش بياخد كل حاجه ، كنت عايزه جوز يحبك وعايزه الاولاد والفلوس ، أنا لما رجعتلك كنت ناوي افتح صفحه جديده معاكي وأنسي كل اللي فات بس بعد اللي حصل ده هيبقي كل همي في الدنيا اني أنتقم منك وبس.

وقفت منهية ذلك الحوار بينهما قائلة في تكبر:طلقني يا سامح و كل واحد يروح لحاله.

ضحك ساخرا : نعم ، اطلق عشان تاخدي المؤخر و كل حاجة،ده بعدك ،أنا مش هسيبك تتهني بقرش واحد من فلوسي و أنا اللي كنت بفكر اكتبلك الفيلا باسمك كنت مغفل و فاكر انك تستهلي .

قالت في عصبية و هي تسحب حقيبتها لترحل : بينا المحكمة و هي اللي تحكم .

تتمني حقا أن تجده في المنزل بانتظارها لتزف اليه ما تحمل بقلبها من فرحه لكنه لم يكن قد عاد بعد فشعرت بخيبه سرعان ما انزوت خلف بريق سعادتها واتجهت الي غرفتها تنشد الراحه فنزفها لم يتوقف بعد وأثر المسكن بدأ في التلاشي وعاد الألم من جديد لكنه لم يكن بنفس قوته تحت خدر سعادتها ونشوة فرحها.

ألقت بجسدها المنهك على السرير وهي تتأمل سقف حجرتها بابتسامه عذبه لا تزول وقدر من الطمأنينه لم تشعر به من قبل، حاولت تخيل كيف ستكون رده فعله حين تخبره أن حملها قريب المنال وأنها تستطيع أن تصبح أم مثل باقي النساء.

شرد عقلها في تخيل تلك الحظه وافترضت تعابير شتي لفرحته وضمت وسادتها في سعاده وفجأه تذكرت أن هاتفها مغلق فهرعت اليه لتضعه على الشاحن حتي يمكنها الاتصال به ، ظلت تبحث عنه في كل الارجاء فلم تجده فتذكرت أنها نسيته بالمدرسه فأخذت تبحث عنّ الوصله التي تستخدمها في مثل تلك الاوقات لتحول اي شاحن عادي لشاحن"ابره" ظلت تفكر اين يمكن أن تجدها حتي تذكرت حقيبته التي يضع فيها اوراقه المهمه وبعض الاشياء التي يخشي ضياعها فبحثت عنها حتي وجدتها اعلى الدولاب فحملت كرسي "التسريحه" وتعالت عليه حتي حملتها في وهن وأنزلتها في رفق ولكن رغما عنها انزلقت من يدها لثقلها وتناثرت الاوراق بالارض، نزلت من على الكرسي وانحنت في ألم لإلتقاطها ووضعها بالحقيبه فلفتت نظرها تلك التحاليل القديمه فأخذت تنظر لها في حنق وهي تنوي أن تشتكي على ذلك المعمل لذلك الخطأ الفادح الذي جعلها تعاني بشده.

التفتت لتجد تلك التحاليل باسم خالد ولكن بتاريخ حديث فأخذت تنظر إليها بدهشه، كيف يمكن أن تسجل التحاليل بتاريخ تالي لموعدها ولكن انتبهت الي أن ذلك التاريخ هو في فتره سفره وأن اسم المعمل مختلف فقرأت العنوان لتجد أنه احدي المعامل بالاسكندريه ، قطبت حاجبيها في عدم فهم وحاولت فهم ما بها لكن ثقافتها بالإنجليزيه لم تكن لتعينها في قراءه تحاليل طبيه مدونه باللاتينيه لذا هرعت الي وصله الشاحن والتي وجدتها مختبئه في احدي الجيوب الجانبيه بالحقيبه واوصلت

الشاحن في هاتفها وانتظرت دقيقه حتي استطاعت أن تفتحه وفتحت صفحه الترجمه بمحرك البحث ودونت اسم التحاليل والتشخيص المدون أمامها في نهايه الاوراق.

جلست في شرود على الكرسي وأنفاسها تتلاحق من فرط انفعالها وعيناها مثبتتان على تلك الاوراق بين يديها تحاول استيعاب ما قراته من ترجمه للتو وهي تتمني تكذيب نفسها فما كانت الاوراق سوي تحليل للسائل الذكوري والتشخيص حاله عقم بسبب دوالي بالعضو التناسلي مما يستوجب إجراء جراحه للعلاج.

شعرت بالارض تميد بها وضبابه تخفي الرؤيه عن عينيها، أتكون مخدوعه فيه الي هذا الحد ، أيكون هو اجمل واكبر كذبه في حياتها وأنها فقط ما تنفست من حبه سوي السراب.

كان الوقت ليلا حين عاد الي المنزل ليجدها بكامل ملبسها ووجهها المجهد الذي نال منه التعب والاجهاد تجلس بحجرتها وتلك الاوراق متناثره في كل مكان بالغرفه بينما التحاليل الي جوارها، في اندفاع وقلق سألها عن هاتفها ولما لا تجيبه .

نظرت له نظره خاويه والم يعتصر قلبها وفي وهن حملت الاوراق بين يديها مشيره له بها في استجداء أن يكذب عقلها وعينيها وسألته في حسره: التحاليل دي بتاعه ايه؟!

وقف أمامها صامتا كتمثال لا روح فيه، مصدوما بمعرفتها ولا يدر لأي مفر يلجأ ، انقطع حبل كذبه ولن يستطيع احكام وثاقه من جديد، يعلم انه الآن بين فكي الرحي ، امام حقيقته عاريا دون درع يحميه سوي حبها الذي بات يخشاه الآن فمأساه الحب الكبير قسوته عند الخداع.

في وهن وقفت قبالته واصرار عنيد في عينيها وسألته بصرامه لم يعتدها منها وقوه لا تعرف هي من اين واتتها: التحاليل دي بتاعه ايه يا خالد؟!

طريقتها كانت كافيه ليفهم أنها عرفت الحقيقه وما سؤالها هذا الي لتجبره على الاعتراف لتقطع اي خيوط واهيه للشك او سوء فهم.

اطرق ناظرا للارض دون أن يرد فقالت بيأس: يعني اللي فهمته صح!!

واصلت بحسره واستجداء: طيب كدبت عليا ليه، مقلتليش الحقيقه ليه؟

نظر إليها في ندم وسحابه حزن تملأ عينيه وبصوت منكسر: عشان بحبك وكنت خايف تضيعي مني.

قالت باستنكار غير مصدقه: بتحبني!!، طب ازاي، ده انت خليتيني اعيش أسوأ أيام في حياتي وأنا فاكره اني السبب في عدم الخلفه.

قال بألم : صدقيني أنا كنت بتعذب عشانك بس حبي ليكي خلاني اخاف انك تسيبيني وانك تبعدي عني بسبب موضوع الخلفه ده خصوصا وأنا عارف حبك للأطفال قد ايه.

قالت بانفعال: ده مش حب، دي أنانيه، انك تعذبني وتخليني طول المده دي حاسه بالذنب ناحيتك واني السبب في حرمانك من الاطفال، انت مكنتش متخيل ان ده بيقطعني من جوه لما تقولي ان مفيش امل اني اكون ام الحاجه اللي بتتمناها كل ست في الدنيا، انت ايه يا اخي، انت مش بني ادم ازاي قدرت تشوفني قدامك بتعذب كده وانت عارف الحقيقه و.....

قال بلهفه وهو يمسك بيدها في حب: ليلي متظلمنيش، أنا بجد كنت بتعذب اكتر منك وأنا حاسس انك بتتألمي قدامي وأنا سبب ألمك ده بس مقدرتش اضحي بيكي عشانك صدقيني كنت هقولك كل حاجه ، أنا عملت العمليه وبقيت كويس وكل حاجه هتتصلح ، أنا كل خوفي انك متصبريش عليا وانك تسيبيني

نفضت يدها منه قائله بحنق: انت مش ممكن تكون طبيعي ، تفكيرك تفكير حد مريض ، كل اللي همك بس اني معرفش الحقيقه عشان مبعدش عنك لكن أنا حاسه بايه مش مهم، مفكرتش اني في يوم هعرف الحقيقه واني وقتها هسألك عن التحاليل ولا كنت هتقولي ان المعمل غلط والنتايج اتبدلت

أطرق في خجل دون أن يحري جوابا فقالت في تهكم: للأسف يا دكتور اني عرفت الحقيقه بدري وكنت فرحانه ومستنيه اشوفك بفارغ الصبر عشان ابشرك واقولك اني سليمه لكن الصدفه بس وإرادة ربنا اللي خليتني الاقي الورق ده بالصدفه واركز في التاريخ وافهم كل حاجه واعرف الكدبه اللي كنت معيشني فيها وأنا فاهمه انك الملاك اللي ضحي بسعادته عشان حبه ليا وتمسكه بي.

قال بصوت متهدج من البكاء والالم: ليلي صدقيني أنا جنبك يمكن اكتر ما كنت أنا متخيل لدرجه خليتني مفكرتش في حاجه غير انك تكوني جنبي ومتسيبينيش

اقترب منها في امل وامسك زراعها قائلا: ليلي متسيبينيش ، أنا بحبك ، أنا من غيرك اضيع، أنا ممكن استحمل اي حاجه ، عاقبيني بالطريقه اللي تريحك بس متبعديش عني، ارجوكي.

قالت في استياء وحدة وهو تنزع زراعها من يده: إياك تلمسني تاني مهما حصل، وصدقني على قد ما حبيتك وكنت اجمل حاجه في حياتي على قد ما بكرهك دلوقتي وبكره لمستك وبكره اي حاجه تخصك، انت لازم تطلقني وتنسي انك كنت في حياتي في يوم من الايام.

تناولت هاتفها في عصبيه فأمسك بزراعها في قوه قائلا باستجداء: ليلي عشان خاطري متمشيش وحية اي حاجه حلوه كانت بينا في يوم.

قالت في اسي وهي لا تكاد تري من خلف دموعها: ابعد ايدك عني، واياك تعترض طريقي ، كل حاجه حلوه انت قتلتها ومبقاش في بينا غير المراره والكره.

خرجت مسرعه وصفقت الباب خلفها وهي تكاد تتعثر في خطواتها بين ألمها الجسدي والنفسي وعتمه الليل التي بدأت تكتنف الوجود حولها، لا تدر كم من الوقت مضي ولا كم سارت، تائهه الدرب ممزقه النفس كانت حينها لم تجد سوي ريهام تتصل بها في لهفه تسألها عن حالها خاصه بعد أن سمعت صوت صياحهما بالمنزل وبعدما سأل عنها خالد ظنا منه أنها عندها، لم تستطع ليلي أن تشرح لها ما حدث لكنها اخبرتها أنها وحيده ضاله لا تجد سواها لتأوي إليها فهرعت ريهام الي ذلك العنوان الذي اعطته لها بحوزة كريم، فلم يكن معها اي مال بعد أن خرجت باكيه شارده من منزلها دون أن تأخذ حقيبتها.

كان اليوم مشرقا حين استيقظ شريف وابتسامه غائبه ترتسم علي شفتيه دون سبب وكأنها فقط اشتاقت لمعانقه شفاه بعد ذلك الجفاء الطويل، في نشاط نهض من فراشه وهو ينوي أن يذهب عمله بقلب جديد وروح تتماثل للشفاء بعد طول عذاب ولكنه فجأه تذكر ليلي والتي لم يرها منذ فترة حتي عندما خرج من المستشفي وحاول الاتصال بها لم يستطع ،قبل أن يمسك بهاتفه ليكلمها وجد اسم ناديه يزين شاشه هاتفه ، اتسعت ابتسامه على وجهه واجابها في فرح فسالته عن حاله واخبرته أنها ودت فقط الاطمئنان عليه فاخبرها أنه يوما لم يكن في حال افضل من ذلك ووعدها أن يلقاها في الشركه بعد قليل.

خرج من حجرته متجها الي والدته فوجدها ساجده في صلاتها فانتظرها حتي انتهت فنظرت اليه مبتسمه وهي تنطق اسمه بطريقتها المتعثره فاقترب منها يساعدها على النهوض وهو يقبل يدها فاشارت الي باب الغرفه فاصطحبها للخارج ليجد بثينه تنتظره وفي عينيها نظره عتاب مرحه قائله:خلاص يعني لما شفت عليه نسيت بثينه ولا ايه!

ضحك وهو يميل عليها وهو يضمها الي صدره ويقبل راسها : ده انت الخير والبركه

ابتسمت عليّة وشعرت بسلام داخلي لم تشعر به منذ امد طويل .

****

دق هاتفه بنغمه لم يعتدها فنظر الي شاشته في تعجب وبدا القلق يساوره حين راي اسم خالد في خانة المتصل ، لم يكن معتادا على اتصاله فتوجس ريبة خاصه بعد اختفاء ليلي الغير مبرر فأجابه بقلق فباغته خالد بسؤاله عن ليلي ومكانها،شعر بقلق يسري في قلبه اكثر قائلا في ذهول: أنا مشفتش ليلي بقالي كذا يوم وتليفونها امبارح كان مقفول ومعرفتش اكلمها،ثم ساله في انفعال:أنت ازاي بتسالني عنها ، انت مش مفروض رجعت من السفر وهي رجعت شقتها !!

اطرق خالد لحظه وهو يتمالك نفسه شاعرا بالخجل : ليلي سابت البيت امبارح ومعرفش راحت فين.

قال شريف في حده وعصبيه: سابت البيت ازاي يعني وانت كنت فين لما نزلت

_احنا اتخانقنا امبارح وسابت البيت وبدرو عليها مش لاقيها عند جارتنا فقلنا يمكن جاتلك.

رد في حنق : لامجتليش وبعدين ازاي تسيبها تنزل لوحدها مهما حصل ،أنا هاعرف شغلي معاك بس الاقيها الاول اقفل دلوقتي.

قال في لهفه واستجداء: طيب لو عرفت اي حاجه بلغني أنا هاموت من القلق عليها

اغلق شريف في حنق دون أن يجيبه فهو بدون شيء لا يحبه فماذا بعد أن اغضبها.

اتصل بناديه مباشرة واخبرها أن تلغي الاجتماع لأنه لن يحضر وقبل أن تساله عن السبب اغلق الخط وهو يزفر في قلق وفجأه ادار محرك السياره الي الجهه المعاكسه وقرر أن يذهب لمنزل والده ربما يجدها هناك.

كانت دينا قد جمعت اشياءها ونظرت للفيلا نظرة اخيره مزيج مابين وداع والم وحزن على ما صار اليه حالها ،كانت قد اتخذت قرارها ولا رجعه فيه الآن،سترفع قضيه الطلاق مهما كانت العواقب في حياتها مع سامح اضحت محال بعد ما كان.

اتصلت بالمحامي واخبرته أن يرفع دعوي طلاق ،رغم محاولاته في اثنائها عن قرارها المفاجئ الذي لايعلم دافعه لم يجد منها سوي اصرارا على موقفها والتمسك

به فلم يملك من امره إلا أن يمتثل لطلبها ولكنه اخبرها أن قضيه سامح لم ينطق بالحكم فيها بعد وأن قرار المحكمه في امرطلاقها سيتوقف على ذلك الحكم.

بهتت بما سمعت فقد ظنت أن مجرد حبسه على زمة القضيه يمنحها الحق في الطلاق

امام صمتها قال محاميها: خلاص هحاول معاه بشكل ودي بس حضرتك فكري في الموضوع التاني ده ابغض الحلال عند الله الطلاق.

قالت في ضيق: أنا مش ممكن اكمل معاه، شوفلي اي طريقه للإنفصال.

اغلقت الهاتف بعد أن وعدها أنه سيحاول في التصرف في الامر.

وصلت بيت والدها الذي تركته من فتره وجيزه، حمدت الله أن أمها ليست بالبيت فهي لم تقوعلى مجاراتها الآن في محاولاتها العقيمه.

وضعت حقيبتها بحجرتها وهي تتلفت في ارجاء المنزل فلم تجد اثر لهالة ولا لليلي .

****

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

الفصل الثالث والثلاثون

(في بدايه الحب كما في نهايته غالبا ما يشعر المحبون بالخوف من أن يكونو وحيدين) جأن دي لابروينير

في نفس ذلك الصباح الباكر كانت هالة تحمل ندي الصغيرة على كتفها بينما تمسك ايناس الاخري وتقف امام باب بيتها، جرت لحظه عليها شعرت بها وكأنها عمرا كاملا، قدر من الحنين يجترفها في طريقه وبقايا الم يتلاعب بها فتندم على قدومها الاحمق ذلك الي منزله بعد ما كان منه.

دمعه حاره انسابت على وجهها لا تعلم لها سببا أهو شوق لهو ولبيتها ولدفئ أنفاسه الي جوارها ام أنها تنعي حظها وقلبها الذي جرح بدم بارد دون اعتبار.

شعرت لوهله بالندم وودت التراجع قبل أن تنظر إليها ايناس البريئه قائله: في ايه يا ماما، احنا مش هانفتح الباب وندخل ولا ايه؟!

نظرت لها وهي تمحي الدمعه المنسابه على وجنتها وهي لا تدري بماذا تجيبها ولكن فجأه فتح الباب ووجدته واقفا أمامها لا يفصلها عنه سوي خطوتين، فزعت حين رأته فجأه أمامها وقالت باندفاع: انت ازاي هنا، انت مش عندك مستشفي بدري النهارده.

قال في دهشه لا تقل عن دهشتها لرؤيتها: الجدول اتغير من فتره والنهارده عندي عياده.

ساد الصمت بينهما فقالت ايناس تقطعه: بابا احنا خلاص هنرجع البيت، ماما قالتلي انك خلاص رجعت من السفر واني هارجع العب في اوضتي تاني.

انتقل بنظره من ايناس إليها وكأنه يسالها عن صحة ماتقول في ايباء: كنت محتاجه حجات للبنات هاخدها وأنزل على طول.

لا تعرف لما كذبت عليه، لما لا تخبره مباشرا أنها جاءت لأنها شعرت بالحنين لكل شيء يجمعهما وأنها فقط تمنت أن تشتم رائحته بعد كل هذا البعد وأن تلك كانت فقط حجه لتعود للمنزل حتي ولو لدقائق قليله في بعده.

نظر إليها طويلا وكأنه يقرأ مايدور بخلدها ثم مد زراعيه يتناول ندي من يدها فاعطتها له وهي تشعر بالارتجاف للمسة يده الخاطفه تلك وشعرت بخدر لذيذ في اوصالها لم يغب عن ناظره.

احتضن ندي في اشتياق وقبلها مبتسما وهو يفسح الطريق لها لتدخل هي وايناس واغلقت الباب خلفها، قال وهو يداعب ندي: كبرت قوي واحلوت.

قالت وابتسامه على طرف شفتيها تتردد في البوح : المره اللي فاتت ماشوفتهاش.

جلس وهو يضع ايناس على ساقه وندي على كتفه بينما اخذت ترقبهما عن كثب وتشعر بقلبها يدق فرحا حين رات لهفه عينيه عليهما وهو يضاحكهما وخاصا ايناس التي جاءت ضحكتها مدويه حتي ايقظت جدتها التي خرجت من حجرتها وهي لا تكاد تصدق اذنيها وهتفت بفرحه حين رأت هالة : حبيبتي انتي رجعتي؟!

قبلتها في وجنتها وهي تضمها الي قلبها وهي تقول: حمد الله على السلامه كنت عارفه اني مش هاهون عليكي ولا العيال هيهونوا عليكي وانك هاترجعي تنوري بيتك.

سحبت هالة نفسها من حضنها في ارتباك: لا أنا مرجعتش، أنا بس احتجت شوية حاجات للعيال وجيت اخدهم.

نظرت لها بعتاب ونقلت نظرها الي حسن الذي وجم وجهه فجأه وانزوت ابتسامته ولم يعقب بشيء وقبل أن تقول شيئا كانت هالة تستأذنه لاحضار ماتريد ودخلت الحجره ونظرات ساميه وحسن تتبعها.

ما أن اختفت عن نظرهما حتي قالت ساميه لحسن: يالا ادخل وراها بسرعه يالا.

نظر لها في غير فهم فدفعته في زراعه قائله بغيظ: هفضل افهم فيك لحد امتي ، ادخل ور امراتك صالحها وسايسها يالا قوم.

ابتسم حسن من طريقه امه لكنه دخل خلفها واغلق الباب بينما كانت ساميه تدعو الله أن يهديها وتعود لبيتها.

قالت ايناس ببراءة متسائله: هو بابا راح ورا ماما ليه، انت ليه قلتيله كده؟!

ضحكت ساميه وهي تداعب ايناس قائله في تحذير : عيب الحاجات دي يا نوسه.

نظرت هالة في دهشه حين سمعت صوت الباب يغلق خلفها ورأته يقف أمامها فقالت في تلعثم: انت قفلت الباب ليه، أنا هلم الحاجه وهطلع على طول.

وقال وهو يقترب منها ويقف قبالتها تمام: وايه المشكله لما اقفل الباب؟

قالت وهي تتراجع خطواتها للخلف في توتر من نظراته التي تخترقها وأنفاسه اللتي تقترب منها: أنا بقولك افتح الباب، ندي هتبكي عليا و..

قال وهو يقترب بوجهه من وجهها مقاطعا: ماما معاهم بره متقلقيش.

شعرت باعصابها تنهار وهي تشعر بأنفاسه قريبه منها الي هذا الحد فحاولت أن تبتعد فوضع زراعه على الدولاب من خلفها ليمنعها من الحركه فنظرت له في رجاء قائله : لو سمحت ابعد شويه عايزة اخد الحاجات وامشي.

فقال وهو يسحب خصله من شعرها الشارد من تحت حجابها: انت فعلا غيرتي لون شعرك.

فقالت في توتر وارتباك وهي تطرق بوجهها أرضا كي لا تلاقي عينيه: ايوه.

قال في هيام وهو يقترب من رأسها لينزع دبوس حجابها فينزلق في رفق ساقطا من راسها: تعرفي انك احلويتي اوي ومش باين عليكي الحمل.

قالت في عتاب هادئ: بيتهيألك عشان ليك فتره مشفتنيش.

قال وهو يلهو بخصلاتها المنسابه وأنفاسه تداعب عنقها في نعومه: قصيتي شعرك ليه؟

قالت بصوت تائه في دوامات عشقه وخدر لذيذ يكتنفها: كان مضايقني.

قال بصوت ناعس: على فكره كده احلي كتير على وشك، وحشتيني قوي

تنفست بعمق وهي تغلق عينيها وكأنها تحاول أن تتماسك ولا تسقط بين زراعيه.

فقال بهيام: طيب موحشتكيش.

قال في عتاب: انت اللي بعدت وسيبتني.

فقال وهو يمسك بيدها ويقبلها: أنا اسف، مكنتش عارف اني بحبك كده واني ماأقدرش استغني عنك ابدا.

قالت في عتاب خجل يحمل في طياته حبها: طيب وهي.

قال وهو يلف زراعيه حول خصرها:طلقتها ونسيتها أنا مش عايز غيرك، انت بس.

سقطت بين زراعيه ناسيه الوقت والمكان تائهه في احضانه التي عذبتها ذكراها في البعد، احساس بالدفء يعتريها يملئ ذلك الفراغ الذي المها كثيرا في بعده، يربط

على قلبها الصغير المرتجف في حنان واعدا بايام هانئه لها وحدها لا يعكر صفوها احد.

انتشلها صوت ندي الباكي من غفوتها تلك فانتفضت مبتعده عن زراعيه وهي تنظر بلهفه الي الباب فامسك زراعها مانعا اياها من الخروج قائلا في حب: كفايه كده حرام عليكي متعذبينيش.

نظرت له باعين باسمه واعده دون أن تنطق وخرجت الي طفلتها فخرج خلفها ترقبه نظرات ساميه الواعيه فابتسمت حين رات ملامحها فقال: في صوت حاسم فرح:ماما معلش خلي البنات معاكي عشان هانروح نجيب حاجاتهم من بيت مامتها.

قالت بفرح:خلاص سيبهم عشان متتعطلوش.

اطرقت هالة في خجل انتشلها منه صوت ايناس الباكي تتشبث بها تود الذهاب معها، حاولت جدتها نهرها لكنه ضحك وامتثل لرغبتها واخذها معهما.

****

دق الجرس فبدات الدهشه على وجه دينا، من عساه أن يعرف أنها بالداخل حتي يدق الجرس ربما كانت والدتها ظنا منها أن هالة ستفتح الباب.

في لا مبالاه فتحت الباب متخيله رؤية أمها وموشحها المعتاد ولكنها صدمت حين رأت شريف أمامها فاطرق راسه قائلا: ليلي هنا عندكو.

قالت في دهشه: لأ ليلي رجعت شقتها من فتره لما جوزها رجع من السفر.

في لحظه امتقع وجهه وتبدد الامل بداخله وعاد القلق يكتنفه فقالت في قلق :هو في ايه، ايه اللي حصل؟!

قال بقلق: ليلي سابت البيت من مبارح وخالد مش عارف هي فين.

قالت بحيره: طيب ادخل لحد ماتصل واعرف هي فين

دخل في تردد وهو يرقب المكان حوله وبكل شبر يجتر ذكرياته التي طالما آسي وعاني بسببها سنوات عده، نظرت له دينا بأسف وهي تشعر بما يعاني فقالت: أنا اسفه

نظر لها مستفهما فقالت موضحه: طول الفتره اللي فاتت وأنا ظالماك وكنت واخده عنك فكره غلط، بجد أنا اسفه.

قال بتسامح: متعتذريش كلنا كنا ضحيه كدبه كبيره كنا عايشين فيها.

_أنا عرفت كل حاجه من ليلي ، بجد مكنتش متخيله انك بتعاني كل ده وشايله جواك طول السنسن دي لوحدك ومقلتش لحد عليه.

قال بآسي: عرفت الحقيقه متأخر أوي بعد ما ضاع من عمري كتير.

قالت بمرح: اللي يسمعك يفتكرك في الخمسين.

قال مغيرا الموضوع: المهم دلوقتي حاولي كلميها يمكن ترد عليكي ونعرف هي فين.

في حماس اتصلت بليلي لكنها لم تتلق منها جوابا فلم تجد سوي ياسر تحدثه لتعرف رقم ريهام ورغم ضيقه منها بسبب ما حدث والذي عرفه من الجرائد بعد نشر خبر سجن سامح في تلك القضية إلا أنه قدر خوفها وقلقها واعطاها الرقم ، في تلك الاثناء دخلت هالة الشقه وتتقدمها ايناس التي ما أن رأت دينا حتي ارتمت عليها في مرح واخذت تقبلها في سعاده فقالت دينا: طيب سلمي على خالو الاول

نظرت له ايناس بتردد: انت بجد خالو

فابتسم لها في تودد وهو يمد يده ليصافحها فوجدها تجري نحوه وتقبله في وجنته بسعاده فشعر بدهشه من تصرفها لكنه ابتسم والتفت على صوت هالة: ازيك يا شريف

رد باقتضاب: الحمد لله

قالت بخجل: حمدلله على سلامتك ، ليلي قالتلي انك كنت في المستشفي ، اخبارك ايه دلوقتي؟

قال دهشا من اهتمامها: الحمد لله بخير اخباركو انتو ايه؟

_الحمد لله، بعد اذنكو هروح الم حاجتي

قالت دينا دهشه: خلاص هترجعي بيتك؟!

_ايوه

قال شريف باستحياء: طيب أنا ممكن اوصلك لو معاكي حاجات تقيله يعني

نظرت له دهشه ثم قالت بامتنان: شكرا، بس حسن راح العياده دلوقتي وهيرجع ياخدني أنا واياس والشنط.

قالت اياس بفرحه وهي تتشبث ببنطاله: هو ده خالو يا ماما بجد.

اطرق ساكنا فقالت وهي ترمقه بابتسامه حانيه: ايوه يا حبيبتي خالو اخو ماما نظر إليها وبعينيه دهشه فرحه واحساس لم يشعر به من قبل.

كان القلق قد تملكهم ثلاثتهم حين اخبرتهم دينا أن ليلي بالمشفي وريهام معها .

اتصلت هالة بحسن لتخبره أن يلحق بها لكنه لم يجيبها بينما اندفع شريف الي سيارته وبصحبته دينا وهالة وابنتها الي عنوان المشفي الذي عرفته دينا من ريهام.

بعد أن قضت ليلتها باكيه وحيده مصدومه في اكثر شخص وثقت به وأحبته جاءت ريهام إليها بصحبه كريم وحملتها الي المشفي بعد أن عرفت أن نزفها يزداد حتي كادت تغيب عن الوعي.

لم تكن صدمه ريهام اقل منها فهي لطالما احبت شخصيه خالد في صمت، كانت دائما تحسدها عليه وتتمني دائما أن ترزق برجل مثله يحبها كحبه لليلي .

طوال الليل كان كريم الي جوارها وقلبه ينبض ألما وخوفا عليها وهو يري ضعفها وألمها، برغم كل ادويه وقف النزيف الذي اخذتها إلا أنها لم تتعافي فألمها النفسي ساء من حالتها، ذلك الخواء الذي تشعر به في قلبها يعذبها ويجلدها رغم أنه الحقيقه الوحيده في حياتها المليئه بالاسرار والاكاذيب، الحقيقه الوحيده التي تعرفها هي أنها تشعر بالضياع.

فتحت عينيها في بطء لتري وجه كريم القلق وعلامات الأسف باديه عليه، رغما عنه انسابت دمعه حارقه على وجنته سارع بمحوها دون أن ينتبه الي أنها تراه وتنهد في حسره وآسف.

أشاحت بوجهها الي الجهه الاخري كي لا يري عينيها ويري اللوم الدفين فيهما الممتزج بألم عتاب عمره سنوات هي عمر هجره لها وتركها تتجرع مرارات حزنها في اتقان بعد خذلانه لها، ربما وقتها كان يعدها لصدمات اكبر، ربما اكبر من توقعها ومن طاقه احتمالها.

"الريح اللي متكسرش تقوي" لا تذكر من قال لها ذلك المثل لكنها تعرف أنها تنكسر في كل مره لتصبح اكثر هشاشه من ذي قبل.

كريم ومن بعده خالد سيفان من نار اخترقا قلبها، لا تدري ايهما جرحها اكثر لكنها تنزف الآ دون توقف.

صوت جلبة بالخارج راع انتباهها كذلك كريم والتفتا ناظرين الي الباب حتي فتح ووجد شريف واختيها معه، كان القلق المرتسم على وجوههم جليا، اندفع شريف نحوها وقلبه يحترق بشده من خوفه عليها وامسك بيدها بينما تنحي كريم جانبا وترك الغرفه لهم، رمقته هالة عند خروجه محاوله التذكر اين رأت هذا الوجه من قبل.

في وهن ابتسمت رابته على يده الممسكه بيدها قائله: أنا كويسه متخافش ومتقلقش عليا

قالت دينا بقلق: ايه اللي حصل يا ليلي، أنا كلمت ريهام وهي اللي قالتلي انك هنا.

قالت ليلي محاوله تهوين الامر: ولا حاجه، شويه نزيف بسيط والحمد لله.

قالت هالة بفزع:اوعي يكون سقط وانت مش عارفه.

ارتسمت بمراره قائله: لا متقلقيش، الدكتور قال لخبطه هرمونات

رفع شريف يدها الي فمه وقبلها في حنان قائلا: على فكره خالد كلمني وكان بيدور عليكي

بدأت أنفاسها تتهدج وقالت بحده: محدش يقوله أنا فين ولا يعرفه حاجه.

نظرت لها دينا وهالة في دهشه بينما ربت شريف على يدها في رفق: متقلقيش أنا مقلتلوش حاجه بس ايه اللي حصل؟، دي اول مره تتخانقوا مع بعض!.

اشاحت بوجهها للجهه الاخري قائله بحسم: مش عايزه اتكلم في الموضوع ده، احنا خلاص هنتطلق.

شهقت هالة ودينا في ذهول بينما قال شريف بهدوء : خلاص براحتك محدش هيضغط عليكي بس ارتاحي دلوقتي.

في تلك اللحظه دق هاتفه فخرج ليرد بينما جلست هالة الي جوارها والدهشه تتملكها من موقفها وسلوك شريف الذي رأت منه حنانا لم تكن تتوقعه ولكنها قالت محاوله تغيير الجو: ليلي أنا رجعت لحسن خلاص.

نظرت لها ليلي في فرح قائله: مبروك، امتي ده حصل؟

قالت بخجل: النهارده ، قالي انه طلق مراته وانه ندمان ورجعتله.

قالت دينا بتهكم: وطبعا صدقتيه ونسيتي كل حاجه وجرحه ليكي واهانتك

نظرت لها هالة غاضبه بينما رمقتها ليلي بنظره معاتبه وهي تقول: دينا مالوش لزمه الكلام ده دلوقتي

قالت في غضب: انتو احرار أنا خارجه بره شويه.

خرجت بالفعل وتركت هالة غضبه ودهشه من موقفها بينما ربتت ليلي على يدهاقائله بابتسامه ودوده: احسن حاجه عملتيها، حسن بيحبك بجد وكمان ماما حكتلي على امه واللي عملته عشان ترجعي، سيبك من دينا هي بس متعصبه شويه من سامح.

قالت بحزن: أنا منستش اهانتي ولا هانت علنا كرامتي ، حسن اعتذرلي كتير وأنا حسيت بندمه في كلامه وعينيه وكمان البنات محتاجين ابوهم جنبهم.

قالتي مهونه عليها: عارفه يا هالة زي ما عارفه ان حسن حد كويس وان اللي حصل كان مجرد نزوه ومش ممكن يتكرر ، حافظي على بيتك وجوزك واوعي تفرطي فيه.

قالت هالة بخبث: طيب لما انت بتنصحيني كده اومال عايزه تسيبي خالد ليه؟

قالت ليلي مقاطعه : هالة لو سمحتي أنا مش قادره ومش عايزه اتكلم في اي حاجه دلوقتي

قالت هالة بهدوء بعد أن رأت ذلك الالم الذي يقطر من كلماتها: خلاص هدي نفسك

نظرت للجهه الاخري قائله: لو سمحتي يا هالة سيبيني دلوقتي ، أنا محتاجه ارتاح.

قبلتها في جبهتها وخرجت واغلقت الباب خلفها بينما كان شريف بالخارج يتحدث الي ناديه التي تملكها القلق لعدم مجيئه فأخبرها بما حدث لليلي ، ألحت عليه أن يخبرها بعنوان المشفي لتحضر لكنه رفض وأصر أن تبقي بالشركه.

بعد انتهائه من مكالمته التفت الي دينا التي كانت تتحدث في الهاتف وحين اقترب سمعها تتحدث الي أمها تخبرها بعنوأن المشفي فعلم أنها بالطريق وعلى وشك الوصول فقرر أن ينسحب ولكن في الاول دخل ليطمئن على ليلي التي كانت قد استسلمت لاحزانها وتركت دموعها تنهمر لتغرق وسادتها فلم تشعر به حين دخل الا عندما وضع يده على كتفها فالتفتت اليه فتلاقت اعينهما فاشاحت بوجهها سريعا

فقال بانفعال: ليلي ايه اللي عمله خالد خلاكي في الحاله دي، انت لازم تقوليلي لإني مش هرحمه.

علا صوت بكائها دون أن تجيب فاعتصر الالم قلبه فقال منفعلا: اقسم بالله إني مش هسيبه أيا كان اللي عمله فيكي.

تركها ورحل في غضب وهو يصفق الباب خلفه بينما استمرت في نحيبها.

استقل سيارته المصفوفه اسفل المشفي ورحل بينما كانت سهير تنزل من سياره الاجره في نفس اللحظه ورأته غاضبا يستقل سيارته فشعرت بدقات قلبها تتصارع وتمنت لو توقفه لتعتذر له عما كان منها ولكنها قررت ترك الامور للزمن فوحده كفيل بمداواه جرحه وتمنت أن تنصلح العلاقه بينهما في يوم.

****

الفصل الرابع والثلاثون

(إن أمنيه البدء من جديد لشيء مألوف لدينا جميعا ومن المؤسف أنها لو تحققت لارتكبنا ذات الاخطاء أو أكثر منها فداحه) باسيكاليا

تناولت دينا كوب النسكافيه من ريهام وهي تنظر الي الصغيره في فرح وتسأل عن احوالها فأخبرتها ريهام أنها اضطرت لاحضارها هنا في المشفي لأن أمها مريضه ولا تستطيع رعايتها فحملتها دينا في سعاده وهي تضمها إليها وتقبلها وفجأه ظهر ياسر أمامها فشعرت بالارتباك امام نظراته الصلبه الجامده وهو يتناول ساره منها شاكرا وهم بالرحيل، اسرعت الخطي خلفه ووقفت امامه تمنعه من الرحيل بنظرات متسائله عما يضايقه وان كانت بداخلها تعلم السبب جيدا ، قال في استنكار: يعني مش شايفه انك عملتي حاجه؟!

قالت وهي تزفر في حنق: كل اللي عملته إني اخدت حقي منه وهو يستاهل اللي حصله

قال ياسر في حده: لأ يا دينا ميستاهلش لإن سامح عمره ما غش في شغله وانت عارفة ده كويس، هو يمكن ظلمك ومداكيش فرصه تدافعي عن نفسك لكن رجع ندمان واعتذرلك يبقي ليه؟

قالت بضيق: كل حاجه خلاص خلصت أنا طلبت منه الطلاق بس هو رفض ، عايز يذلني ويعذبني بس أنا هرفع القضيه وهكسبها وهاخد كل حقي.

قال بإباء: خلاص انت حره بس اعرفي كويس ان في اي معركه لازم يكون في خسايز

قالت في الم: الخسايز أنا خسرتها خلاص دلوقتي دوره هو.

قال بحده: لو انت فاكره ان حرمانك من الاولاد هي دي الخسايز الوحيده تبقي غلطانه

نظرت له بخوف متسائل فقال بصرامه: أنا قلتلك اني بحبك وعايزك وإني بتمني اليوم اللي تكوني فيه ليا، كنت بتمناكي دينا اللي عرفتها وحبيتها اللي قلبها ما فيهوش غير الحب والبراءه لكن دلوقتي معتقدش اني الزمك ، إنما انت انتقمتي وحقوقك هتاخديها ومبقاليش مكان في حياتك اللي بقت مليانه حقد وكره وغل.

قالت باعين دامعه: ياسر انت بتقسي علينا اوي، أنا بحبك بجد وعايزاك.

قال بحسم: انت عايزه كل حاجه يا دينا عشان كده بتخسري كتير ، مافيش حد بياخد كل حاجه عايزها وأنا خيرتك وانت اخترتي وللمره التانيه اختارتي الفلوس وخسرتيني، بعد اذنك.

تخطاها ورحل وظلت ترمقه بأعين باكيه نادمه وطفلته تشير لها بأصابعها مودعه والالم يعتصر قلبها.

امسكه من ياقته في حده وهو يشده اليه قائلا في انفعال: يعني ايه متعرفش ، أنا مش هسيبك غير لما اعرف انت عملت فيها ايه وايه اللي وصلها لكده.

قال خالد في قلق وهو ينزع ياقته من بين يديه: ليلي فين وايه اللي جرالها

رد بانفعال: في المستشفي وعندها نزيف جامد وحالتها النفسيه زفت

اطرق خالد ودمعت عيناه فامسكه شريف ثانيه في حده قائلا: أنا عايز اعرف ايه اللي حصل بالظبط والا مش هرحمك.

في خجل حكي له خالد كل ما حدث والدموع تترقرق بعينيه اسفا وندما على ما فعله ، انتهي من حديثه ليجد نظرات شريف المتقززه ترمقه قائلا: لولا اني خساره اضيع مستقبلي عشان واحد واطي زيك كنت قتلتك وريحتها منك.

قال في رجاء: ارجوك أنا عايز اشوفها، هموت من القلق عليها اعمل فيا اللي انت عاوزه بس ارجوك خليني اشوفها واطمن عليها.

قال شريف في تحدي:طبعا هتشوفها عشا ن وقتها تاخد قرارها وصدقني وقتها مش هرحمك.

بالرغم من أن المحامي اكد لها أنها ستكسب القضيه في حاله اثبات الضرر النفسي جراء حبسه الا أنها تنازلت عن الدعوي ليس هذا فقط بل ذهبت الي فؤاد بيه واوضحت له الامر وترجته أن يتنازل عن القضية وأنها ستمنحه التعويض الكافي، امام اعترافها لم يدر ماذا يفعل لكنه كرجل عملي قرر أن يخرج بأقل الخسائر الممكنه خاصه وأنه لن يستفيد من سجنه شيء لذا حدد قيمه التعويض الذي يرضيه، رغم أنها قيمة مبالغ فيها الا أنها وافقت ودفعتها له مقابل الافراج عن سامح وتنازله عن القضيه.

كان حسن قد استشاط غضبا وقلقا حين عاد الي هالة في منزل والدتها فلم يجد احد ، تلاعبت به الظنون خاصة عندما وجد هاتفها مغلقا واحتار اين عساه أن يجدها لكنه فجأه وجدها تطلبه فدق قلبه في عنف وهويتمني الا يكون مكروها اصابها او اصاب

ايناس، امام قلقه حاولت التماسك واخبرته بما حدث في عجاله وطلبت منه أن يأتي للمشفي ليأخذها وبالفعل بعد اقل من نصف ساعه كان لديها وبعد أن اطمئن الي حال ليلي استأذنها في الرحيل واعدا بزيارتهم في الغد وعادت هالة معه الي منزلها حيث مآواها وأمانها الذي افتقدته منذ مده وكانت ساميه وندي في انتظارها.

كانت المفاجآت تتوالي على سامح دون هدنه فقد اخبره محاميه أن فؤاد بيه تنازل عن القضيه بعد أن دفعت له دينا التعويض كما أنها تنازلت عن قضيه الطلاق ، لم يدر فيم يفكر ولا ماذا يفعل لكن بمجرد خروجه وجد دينا بانتظاره وعلى وجهها اصرار لا يفهمه فقالت: سامح لو سحت طلقني، أنا اتفقت مع المحامي على صيغه التنازل اللي تعفيك من كل التزاماتك ناحيتي .

نظر لها في عدم فهم فهو يعلم ان ارادت الطلاق لنالته بحكم المحكمه وقتما كان بالسجن لكنها دفعت التعويض من اموالها فقط لتخرجه اذن لماذا تطلب الإنفصال الآن بل وتتنازل عن كل حقوقها.

قال سامح والدهشه تتملكه:طيب ليه؟، خرجتيني من السجن ليه ودفعتي التعويض ودلوقتي...

قالت تقاطعه: ودلوقتي عايزه اتطلق وببريك من كل حقوقي.

ليه كده؟!

صمت منتظرا اجابتها والفضول يعتريه فقالت بهدوء: عشان عايزة أطهر نفسي من ذنبي ، عشان مش عاية اخسر اكتر من كده، عشان نفسي أبدأ من جديد.

ربما لم يفهم ما قالته ولم تعطه هي الفرصه لذلك لكنه لم يملك سوي أن يلبي طلبها وفي هدوء وألم قالها: انت طالق.

"يقولون ليلي عذبتك بحبها...

ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب"

لم يكن غيره الي جوارها بعد أن استأذنت ريهام لتكون بجوار والدتها المريضه، في ضعف نظرت له قبل أن تقول بصوت واهن: انت مامشيتش ليه ؟!

قال بحنان: لاني مقدرتش اسيبك لوحدك.

قالت بجديه: ماما هتجيبلي غيارات وهترجع على طول مش هتطول ، كان ممكن تمشي أنا اصلا بقيت كويسه.

قال بابتسامه متذاكيه: أفهم من كده انك مش طايقه وجودي وانك عايزاني امشي

قالت بسرعه: لأ مقصدتش بس انت جنبي من امبارح ومنمتش واكيد تعبت.

بصوت وكأنه يخرج من قلبه قال: ياريت التعب كله كده.

سكتت فسكت بينما تحدثت العيون حوار لا يفهمه سواهما، تعلم جيدا أنها غير مهيئه وأن جرحها لا يزال حديثا وأنها تحتاج للوقت لمداواته كما تعلم أن جرحه لها ايضا مازال يئن بين جنباتها يذكرها بخذلانه، قالت بتأثر وعتاب: هربت ليه مني زمان وسيبتني؟

دق قلبه بعنف وتوترت اعصابه وهو يسمعها تعاتبه بهذا التأثر وشعر بخنجر يخترق قلبه فاطرق وقال والدمع في عينيه:في حاجات بيبقي الافضل انها تفضل مجهوله.

بدي الرجاء في عينيها يستعطفه لتعرف ما يخفيه بينما بدي أمامها ضائعا ، أمام عينيها فقط يفقد قوته وتنهار حصونه وتنفك مزاليج اسراره ، اطرق قائلا: قبل ما اتقدملك كان لازم أسافر لأهلي عشان افاتحهم في الموضوع ، وقتها كانت ساره بتولد وكانت تعبانه اوي فكان لازم اسافر اطمن عليها .

سكت فنظرت له تستحثه على اكمال كلامه وقبل أن يفتح فمه ليكمل كان باب الحجره يفتح بعد أن طرق احدهم عده طرقات.

نظرت فوجدت شريف أمامها ومن خلفه خالد يقف مطرق الرأس كتلميذ خائب ينتظر عقابه، اعتدلت في جلستها والإنفعال يبدو جليا على ملامحهاوتوترت اطرافها قائله بحده: انت ايه اللي جابك هنا، أنا مش قلتلك مش عايزه اشوفك ولا اسمع صوتك.

قال شريف محاولا تهدأتها:ليلي اهدي واللي انت عايزاه هيكون.

قالت بعصبيه: مش عايزه حاجه غير انه يبعد عني ويطلقني ، أنا مش عايزه اشوفه قدامي ولو حتي صدفه ، كفايه بقي ارحموني.

قام كريم بهدوء واقترب من خالد ، حضرتك ممكن تطلع بره ، الوضع مش مستحمل.

نظر له خالد بغيظ: ومين حضرتك بقي وإيه اللي جابك هنا ؟

تدخل شريف : لو سمحتو اتفضلو انتو الاتنين بره دلوقتي.

بالفعل خرج كريم بينما ظل خالد حتي اشاحت بوجهها الباكي الي الجهه الاخري رافضه رؤيته فلم يجد سوي الخروج بينما اقترب منها شريف محاولا تهدأتها بينما اصرت هي على الطلاق لتخلص مما هي فيه ولم يجد شريف بدا من اخبار خالد بقرارها الذي بدي أنها لن تتراجع عنه رغم مبرراته.

بدي الإنفعال يتملكه حين اخبره شريف بقرارها فقال: أنا قلت اللي هي عايزاه هعمله لكن الطلاق مستحيل وده اخر كلام عندي.

رحل بعصبيه بينما تملكت الحيره شريف الذي قرر أن ينتظر خروجها من المشفي وأن تستقر حالتها ليعرف رأيها النهائي بعيدا عن أي انفعالات.

بدأت تتحسن وهي تشعر بوجود كريم الي جوارها طوال فتره وجودها بالمشفي حتي آثار دهشه سهير التي لم تعقب على ما عرفته عن خالد وما فعله بها فقط خوفا من انفعالها وانتكاستها من جديد، ودت لو تلومها على اختيارها من الاساس لكنها تذكرت دينا وتلك الحاله التي تركتها عليها منذ طلاقها من سامح وبدأ ضميرها يؤنبها على تلك الزيجه من الاساس فقد تركتها زهره تذبل في مقتبل عمرها وكأنها قطفت قبل الاوان.

كانت زياره الحاج عبد العال جل ما ادهشها في هذا اليوم، في البدايه توقعت أنه على علم بالحقيقه من البدايه وأنه شارك خالد اثمه باخفاء الامر عنها لكنها تفاجئت بجهله بالامر مثلها وأنه اخفي ذلك حتي عن والده.

قال الرجل بتأثر: تخيلي اني أنا ابوه معرفش انه سافر وعمل عمليه وكان لوحده ومخبي عليا الموضوع ومعرفتش غير مبارحى لما سألته عنك بالصدفه فقالي انك في المستشفي وحكالي اللي حصل.

سكت برهة وهو يقرأ تعابير وجهها التي كانت صارمه وكأن لا حياة فيها فقال في حنان: يا بنتي انت ليكي حق تعملي اللي انت عايزاه حتي لو طلبتي الطلاق ده حقك ومحدش يقدر يلومك بس أنا عايزك تفكري تاني وتفتكري قد ايه حبك وانه خبي عليكي وعليا بس عشان بيحبك وكان خايف انك تسيبيه ، انت متتخيليش هو عامل في نفسه ايه ، أنا روحتله لقيته حابس نفسه وكانه عايش في مقبره خاسس لا اكل ولا شرب وشبابيك البيت مقفلها ودقنه سايبها، حالته تصعب عليكي، صدقيني أنا مش بقولك كده عشان الومك أنا عارف انك مظلومه بس عايزك تحكمي قلبك وماتقسيش عليه وعلى نفسك، فكري كويس ولو حسيتي انه لسه ليه مكانة عندك سامحيه عشان نفسك مش عشانه.

اقترب واعطاها منديلا جففت به دموعها التي بللت وجهها ثم ربت على كتفها في حنان قائلا: انت عارفة انك اكتر من بنتي وأنا بحبك قد ايه وعشان كده مش هضغط عليكي وقرارك عمري ما هلومك عليه بالعكس هتلاقيني جنبك زي ابوكي واكتر كمان .

ارتمت بين احضانه تبكي وتنتحب فهي تحبه حقا وتشعر بالالم لكن جرحها كان اكبر منها.

بالرغم من تعلقها الشديد بساره إلا أنها وافقت أن تسافر معه ، بدي دهشا من موقفها خاصه وهو يعلم أنها لا تحبه وأنها تعتبره سببا في موت ابنتها لكنها في وهن اخبرته أنها امرأه كبيره وعلى فراش الموت وهي لا تتمني لساره أن تذوق اليتم ثانيه وتحرم من والدها كما حرمت من والدتها لذا تركتها له متمنيه أن يمنحها السعادة والحنان الذي افتقدته وودعته بأعين باكيه متمنيه أن تراها قريبا ان امد الله في عمرها .

كانت كل حقائبه معده وكذلك جواز سفره، نظر مودعا لفيلته التي حلم يوما أن يسكنها معها وتتربي ابنته بينهما في حب لكن القدر حرمه حلمه في قسوه وللمره الثانيه خانه قدره حين ترك لها الاختيار فاختارت خسارته بصدر رحب دون تفكير، تنهد في حسره ووضع ساره بمقعدها والتفتت الي مقعد السياره متجها الي المطار لكنه توقف فجأه حين رآها أمامه تلهث من فرط الاجهاد فنزل من سيارته ناظرا لها في دهشه فقالت بصوت متهدج: ياسر أنا مش ممكن اخسرك مره تانيه، اي خساره ممكن اعوضها إلا انت.

قالت جملتها تلك والقت نفسها بين زراعيه بين ذهوله ودهشته لكنها دفنت وجهها بين احضانه قائله في حب: أنا اتطلقت من سامح واتنازلت عن كل حقوقي وكل اللي املكه دفعته تعويض عشان يطلع من السجن.

ابتعدت خطوه بعيده عنه وهي ترقب تلك الابتسامه في عينيه: ياسر أنا بحبك ومقدرش ابعد عنك ، أنا مينفعش غير اني اكون معاك برضاك او غصب عنك.

قالتي جملتها بمرح بينما عيناها تذرفان الدموع شوقا وحبا فقال في تحدي يغيظها: بس الاول لازم نسأل ساره مش ممكن متوافقش!

استدارت إليها فرأتها جالسه بالمقعد في هدوء بينما تنادي عليها بطريقتها الطفوليه فضحكت واستدارت تحملها بين يديها فتشبثت برقبتها في حب فقالت بمرح: بيتهيألي كده معندكش حجه.

اخرج التذاكر من جيبه وفي هدوء مزقها وهو يضع زراعه على كتفها ويضمها هي وساره اليه فضحكت الصغيره في مرح ووضعت احدي زراعيها حولها والاخري حوله وضمهما في حب واتجها صوب الفيلا .

****

الفصل الأخير

كانت حالتها قد استقرت وتوقف النزيف فكتب لها الطبيب بعض العقاقير التي تداوم عليها ثم أذن لها بالخروج.

بالرغم من كل المرارة التي تشعر بها الا أن رجوع هالة لبيتها اسعدها كما فاجأها قرار دينا في الارتباط من ياسر بعد انتهاء شهور عدتها واكتملت سلسله الفرح بمكالمه شريف الذي اخبرها في الارتباط ب"ناديه " فضحكت في حنان وهي تخبره أنها كانت تعلم من البدايه قبل حتي أن يدرك هو حقيقه شعوره ثم اردفت بود:ناديه بنت حلال اوي وبتحبك ، روح كلم اهلها واتفق معاهم على الخطوبة .

بدا الارتباك في صوته فشعرت بما يعتمل بداخله فقالت تشجعه: متقلقش من حاجه هي اكيد حكت لهم على كل ظروفك، ومرض والدتك مش ذنب ولا عيب ومسيرها في يوم تتحسن اتوكل على الله ومتترددش .

شكرها على دعمها ثم قال في حيرة: وبعدين فيك ياليلي هتعملي ايه مع خالد؟

تغيرت نبرة صوتها فجأه وقالت بألم:لوسمحت ياشريف بلاش نتكلم في الموضوع ده دلوقت،أنا مش عايزة حاجه تضايقني بعد الخبر الحلواللي لسه قايلهولي.

ضحك وهو يحاول أن يغير الموضوع وأخذ يسالها عن تفاصيل المقابله وماذا يرتدي وكيف يتصرف وهي تضحك من خوفه وارتباكه وفي النهايه لم تجد بد سوي أن تقول :أنا عندي فكره تقولها هي تفاتح اهلها في الموضوع وان وافقوا تروحلهم بالمأذون علطول .

قال مصدقا مزاحها :فعلا ينفع مروحش وهي تكلمهم ؟!!

ضحكت كما لم تضحك من قبل وهي تتهمه بالسذاجه وأنه لن ينضح ابدا.

ارتدت ملابسها في سرعه ولهفه بعد أن اتتها تلك المكالمه التي جعلتها تترك كل شيء لتنزل في الحال حتي أنها لم تسمع نداء والدتها التي انتابها القلق من تصرفها المفاجئ.

دقائق وكانت امام شقته تلهث ولاتكاد تلتقط أنفاسها وهي تضغط زر الجرس في تواصل دون انقطاع كأنها تغشي ألا يسمعه ولكن دقيقه واحده وانفتح الباب بوجهه المندهش من لهاثها ومن تواجدها امامه هكذا فجأه، نظرت له في عتاب دون أن تنطق ثم اندفعت الي الداخل في رعونه وغضب فاغلق الباب ووقف قبالتها فقالت بعد أن تمالكت أنفاسها: للمرة التانيه كنت هتسافر من غير ماتقولي.

أطرق في آسي دون أن ينطق فقالت بحده:ليه ياكريم؟ كل مرة بتصر انك تسيب لي جرح ، بعد ما بحس انك قريب مني فجأه بتختفي وتسافر وتسيبني اتعذب، ليه؟

ظل مطرقا فاقتربت منه وقالت برجاء:/ لو سمحت بصلي.

رفع نظره إليها فرأت نفس الدمعه المتألمه في عينيه فقالت بتأثر :عايز تبعد ليه؟

سألها في آسي: عرفتي منين اني مسافر؟

قالت بدهشه : يعني فعلا كنت ناوي تسافر من غير متقولي، عموما ريهام هي اللي كلمتني وقالتلي انك بتحضر شنطتك عشان طيارتك بعد ٣ ساعات.

عاد لصمته جلادها الذي تمقته ففقالت بإباء وهي تهم بالرحيل: عموما أنا اسفه اني فرضت نفسي عليك وان كنت هتسافر عشان تهرب مني فمالوش لزمه لإني هبعد عن حياتك للابد.

همت بالرحيل فمسك يدها باكيا وسقط على ركبتيه أمامها وهو يبكي كطفل في اول يوم دراسي مودعا امه لأول مره، قال في مراره من بين دموعه : ارجوكي ما تمشيش

نظرت له في الم وحيره وتراقصت الدموع في مقلتيها خوفا عليه فقالت وهي تساعده على النهوض:في ايه يا كريم؟ ايه اللي انت مخبيه عليا ؟

قال محاولا التماسك: ليلي انت اجمل حاجه حصلتلي في حياتي ، انت الحلم اللي هفضل احلم بيه لحد ما اموت ، صدقيني عمري ما قصدت اجرحك بس غصب عني.

اطرق لحظه ثم قال بآسي: ليلي أنا عندي سرطان ولازم اعمل عملية بعدها استمر على الكيماوي لو كان لسه في عمري بقيه.

شهقت في فزع وهي تضع يدها على فمها بينما اتسعت عيناها دهشه وألم وقبل أن تستوعب صدمتها قال مكملا باسي: اكتشفته بالصدفة وأنا مسافر قبل ما ساره تولد ، لما عملت التحاليل قبل السفر عرفت وقررت أسافر ومأرجعش ، حاولت اتعالج بره بس نسبه الشفا كانت قليله والحل الوحيد كان العمليه وعملتها بس رجع تاني فعرفت انها النهايه فكان لازم ارجع واشوفك واخليكي تسامحيني قبل ما ارجع تاني لأن المرة دي ممكن تكون النهايه.كانت صورته مهزوزه أمامها تكاد لا تراه من خلف غشاوه دموعها التي هطلت كأمطار ملحيه تنساب على خديها في الم ودهشه وبصوتها الباكي قالت: مقلتليش ليه؟

قال بالم: عشان مكنتش عايز اشوف الشفقه في عنيكي، عشان بحبك كنت لازم اسيبك تعيشي من بعدي، عشان متفضليش تتألمي على ذكري عمرها ما هترجع في يوم

قالت بالم باكي: انت متتخيليش بعدك جرحني قد ايه؟

قال: عشأن بحبك كان لازم اجرحك ببعدي، عشان تقدري تنسيني كان لازم تكرهيني

قالت بشرود: كل اللي جرحوني جرحوني باسم الحب، انت في الاول وبعدك خالد

امسك يدها في وهن وقبلها : خاف يخسرك عشان كده جرحك، سامحيه لانه بيحبك بجد.

قالت باعين دامعه والدهشه بعينيها: انت اللي بتقولي كده يا كريم!!

قال وهو ينظر الي عينيها بعشق: أنا الوحيد اللي عارف خالد عمل كده ليه، يمكن لو لحالتي علاج كنت عملت زيه وخبيت عليكي بس عشان تكوني معايا عشان مااتحرمش منك، ثم اكمل والدموع تغلبه فتغطي عينيه: ارجعيله يا ليلي خالد بيحبك، سامحيه وسامحيني،انسيني لإني سحابة صيف عابره مش ممكن تمطر على ارضك ولا يمكن ترويها في يوم .

بكت وهي ترمي نفسها بين ذراعيه كما لم تبك احدا كل احزانها تكالبت عليها فاعتصرتها الما ، ألم الحب والفراق والمرض ، ظلت تبكي حتي امتزجت دموعهما وهو يضمها الي صدره مودعا ثم قال بصوته الباكي مغنيا اغنيتها المفضله التي طالما عشقت سماعها منه:

امشي واضحك يا ليلي مكابره على اخبي عن الناس احتضاراتي

لا الناس تعرف ما امري فتعزرني ولا سبيل لديهم في مواساتي

يرسو بجفني حرمان يمص دمي ويستبيح اذا شاء ابتساماتي

معزوره أنت ان اجهضتني املي لا الذنب ذنبك بل كانت حماقاتي

ظل نشيجها يرتفع وهي تسمع كلماته تمزق قلبها وكأنها تسمعها للمره الاولي بكل هذا الاسي والألم الذي يقطر من صوته الباكي ، خرجت كلماته محمله بأنات قلبه ومراره مرضه ، تسقط كلماته محمله بدمعه فتتشبث به اكثر خشيه الفراق المحتوم والمصير المقدر.

قال وهو يبعدها عن صدره في رفق: ليلي عشان خاطري اضحكي عايز اخر حاجه اشوفها قبل ما اسافر هي ضحكتك.

وكأنما اخبرها أن تستزيد من بكائها فضمها اكثر في رفق وهو يرجوها ألا تزيده عذابا بدمعها ثم اردف وهو يمحي دمعها: لو تعرفي دموعك عزيزه عليا ازاي عمرك ما هتبكي تاني.

قبل رأسها مودعا قبل أن يسحب حقائبه ويضعها امام الباب ثم اقترب منها وأمسك بيدها وهو يقبلها للمره الاخيره في ضراعة قائلا: ارجوكي مترفضيش اخر طلب ليا.

اومأت برأسها موافقه فقال:لازم ترجعي لخالد مش هطمن عليكي غير وانت معاه، سامحيه وابدأي صفحه جديده ، لازم تعيشي حياتك زي ماكنت بتمنهالك.

ثم ابتسم بمراره : ولحسن الحظ انك هتعيشي في شقتي.

عادت للبكاء فاقترب قائلا في عتاب: احنا اتفقنا خلاص مفيش دموع ، كفايه.

مسح وجهها بكفيه وهو يتأملها للمره الأخيره كطفله بين يديه ثم امسك بيدها وفتح الباب ودق جرس الشقه المقابله ، ثوان وظهر خالد ناظرا اليهما بدهشه خاصه عندما وجد يده تعانق يدها فبدي غيظ مكتوم على ملامحه ولكن راعه عينيها الذابلتين من البكاء فقال كريم مستدركا:ليلي هترجعلك ، خلي بالك منها حبها من كل قلبك وحافظ عليها واعرف انك لو خسرتها عمرك كله مش هيكفيك تندم عليها.

تركها وهو ينظر إليها مشجعا لكنها لم تتحرك من مكانها وعادت الدموع لمقلتيها فاقترب خالد منها وضمها في حنان ظنا منه أنه سبب دموعها.

حمل كريم حقائبه مودعا فودعه خالد واولاهم ظهره ، راقباه حتي غاب عن اعينهما فانسابت دمعه اخيره مودعه له متخاذله على اعتاب حبها.

بينما التفتت ليلي الي خالد الذي امتدت يده في حنان تضمها فدفنت وجهها بين زراعيه تلتمس دفء احضانه تبكي ماضيها الراحل وحبها الاول، تشعر بيديه تطوقانها في حب جارف وخوف وألم عليها فتتشبث به آمله أن يطرق النسيان باب قلبها وأن ينسيه حبها مراره فقدها وألم الفراق.

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً